مطالعات

فى سفر التكوين

اختمرت الفكرة بعد طول التمعن والاستبصار، وكثرة التأمل والبحث، وعمدت أن أكتب فى مطالعات استخلصها نقداً وتحليلا من سفر التكوين. وأردت أن أحلل فى مطالعاتى الأولى شخصيتين كبيرتين ليهوديين من أبناء ابراهيم، بل ولدى عم أحدهما زعيم سياسى والآخر زعيم اجتماعى، اسبغت عليهما روايات سفر التكوين ثوباً من القداسة وخصتهما برسالة من الله يؤديانها لأهل الأرض. أما الأول فالصديق يوسف. وأما الثانى فكليم الله موسى.

ولم أكد أبدأ بتنفيذ عزمى حتى وصلنى من الأستاذ الكبير جبر ضومط، استاذ البيان بالجامعة الامريكية ببيروت كتاب خص الكلام فيه بنقد تحليلى فى سفر التكوين(١) فلم اشأ أن أطالع الكتاب قبل أن أكمل مقالى هذا حذر أن يكون للفكرات التى بثها الأستاذ فيه أثر فى تحويل مجرى الفكرة التى اختمرت فى رأسى من قبل، وفضلت أن لا اكب على مطالعة الكتاب إلا بعد الفراغ من كتابة ماجال فى خاطرى من الفكرات، وبذلك أكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بحرية رأيى واستقلال فكرتى من جهة، وأكون ابين خطة أزاء نقد ما كتب الأستاذ من جهة أخرى. ولعلى أستطيع أن أنقد الكتاب فى هذا العدد فأكون قد أديت واجباً وأرضيت ضميرى.

اعتقدت منذ زمان طويل أن أكثر الأسفار المقدسة لم تكن إلا دعوات سياسية اجتماعية قصد واضعوها إلى أغراض اختفت وراء ثوب القداسة التى أسبغ عليها. واعتقدت فوق ذلك أنى عجزنا عن تحديد الزمان الذى كتبت فيه أكثر هذه الأسفار والشك الذى يساور الباحثين فى حقيقة الأشخاص الذين كتبوها أو جمعوها، أو المنابع

---

(١) « سفر التكوين » بحث نظرى فلسفى تشريحى لبيان من هو كاتب هذا السفر؟ الذى هو أقدم سفر تاريخى فى العالم والغاية من كتابته ـ تأليف الاستاذ جبر ضومط ـ ظهر حديثا ببيروت أخرجته مطابع قوزما

التي استقوا منها بعض المعلومات أو القصص التي بثت فيها ، هى أكبر الحوائل التى تحول دون درس هذه الأسفار درساً تحليلياً عميقاً يمكن من طريقه أن نستشف حقيقة الدعوات السياسية أو وجوه الاصلاح الاجتماعى التى رمى اليها أولئك المصلحون

خذ لذلك مثلا بسيطا فى خروج ابراهيم من أور الكلدان ! فمن ذا الذى يستطيع إن يدعى القدرة على معرفة السبب الحقيقي فى خروجه ؟ أن سفر التكوين لايعرفنا عن ذلك شيئاً على وجه التقريب فهو على أن الله أمر ابراهيم أن يخرج من أور الى أرض كنعان من غير أن يحاول أبداء أى سبب سياسى أو اجتماعى معروف . على أنى أرجح أن ابراهيم لم يخرج من أور الكلدان ويهبط أرض كنعان إلا هارباً مضطهداً كما هرب موسى من أرض مصر وكما تجول عيسى فى أرض فلسطين وسوريا يختفى عن الانظار زمانا، وكما هاجر محمد من مكة إلى المدينة .ولعل السبب الأوحد الذى يمكننا أن نعزو اليه هجرة ابراهيم راجع الى الاختلاف على قصة الخلق والطوفان.فان النزعة الدينية العبرانية التى تتجلى فى نفسية بطارقة اليهود العظام والتى ورثوها بالضرورة عن جدهم الاعظم ابراهيم. إنما تدل ترجيحاً على أن السبب فى هجرة إبراهيم يرجع إلى خلاف دينى . فاذا قارنت قصة الخلق الكلدانية الأشورية وقصة الطوفان بالروايتين الشعريتين اللتين وردتا فى سفر التكوين ، وهى روايات لابد من أن تكون قد تنوقلت على مدي أزمان طويلة بين العبرانيين وتلاقحوها بعضهم عن بعض، فانك تجد خلافا يسيرا فى الوقائع والاسماء ،هو فى الراجح السبب فى خروج ابراهيم مضطهداً من أور الكلدان . فان «أوت نابشتيم» الذى ضمته الآلهة إلى مصافهم وهو إنسان، والسبب فى الطوفان الذى أهلك أهل الأرض وأحياءها ، وبناء الفلك، كل هذا له فى سفر التكوين ماينا ظره مع اختلاف فى الاسماء والنسبة العصبية فان «أوت» استبدل «بنوح» ، وهنا يجب أن نلاحظ الوزن اللفظي، ثم صار جدا لابراهيم من طريق أولاده حام وسام ويافث . ثم يترك سفر التكوين حاما ويافثا ويمضى فى روايات الجد الاكبر لليهود «ساما» الذى اليه ينسب الساميون . فلو اننا استطعنا أن نعرف سبباً من الظروف السياسية والاجتماعية التى حوطت ابراهيم ، إذن يكون فى مقدورنا أن نثبت حقيقة الدعوة التى ذهب إليها ابراهيم وكانت على الارجح السبب فى هجرته إلى أرض كنعان، وإذن يمكننا أن نحلل الروايات

المقدسة تحليلا سياسيا اجتماعياً ونخلع عنها ثوب القداسة الذى أسبغ عليها لاغراض لاتخفى على الباحث الخبير .

وتبدأ قصة الطوفان البابلية بأن نذيره قد غشى « أوت » (نوح البابلى) فى حلم من الاحلام ، إذ سمع صوت الآله يقول :

« أنت يارجل « شورباق » يابن « أوبارا توتو » حطم بيتك وأغفل متاعك وملكك وانج بحياتك . أترك امتعتك ونج حياتك واجمع من كل بزرة حية من كل نوع وادخل بها فى الفلك »

أما السبب فى سفر التكوين فغضب الله على أبناء الارض وتخليصاً لابناء الله منهم ، وان الله أراد أن لايدين روحه فى الانسان الى الأبد بعد أن تناسل أبناء الله من بنات البشر . وفى القصة البابلية إشارات كثيرة إلى مثل هذا الزعم الغريب . وفيما عدا ذلك تتفق القصتان اتفاقا غريباً فى بناء الفلك وفى تحديد مقاييسه وفى حمل الاحياء فيه و إرسال الطيور من الفلك لترى ان كانت المياه قد انحسرت عن رؤوس الجبال وفى الطوفان وتهطال المطر إلى غير ذلك . فالراجح من كل هذا أن ابراهيم الذى نقل نواة هذه الاقاصيص البابلية معه من أور الكلدان إلى أرض كنعان لم يحمل على الهجرة الا لخلاف دينى أضطره إلى الهرب بعد أن اعتبر هرطوقا عند أهل بابل . وإذا صحت روايات سفر التكون ، لامن جهة الواقع بل من جهة رواية الأقاصيص كما كانت شائعة فى عهد كتابة السفر ، صح عندنا هذا الرأى ، وعلى الأخص إذا تذكرنا أنه بعد ذكر أولاد نوح و نسبة ابراهيم إلى سام ، لاتخلص من السفر بشىء إلا بتاريخ أولاد ابراهيم إلى آخر زمان يوسف الصديق فى ارض مصر

كل هذا يحملنا على أن نعتبر سفر التكوين أخطر الأسفار التاريخية التى وصلت الينا عن القدماء وان فيه من الشخصيات التى مثلها بطارقة العبرانيين على توالى الازمان ما يجدر بنا أن ندرسه درساً قيما فى نور الأساليب الحديثة ، وأننا لن نكون أصح رأياً أو أوضح طريقة منا إذا عمدنا إلى درس الحالات التى قامت من حول كل منهم وبيئاتهم والازمان التى أظلتهم والحالات الاجتماعية التى خضعوا لها وعملوا على أن يدمغوها بالطابع الذى قام فى أذهانهم أو أن يصوروها بالصورة التى ظنوا أنها جديرة بالانسانية.

بعد هذه المقدمات لانرى من موجب لزيادة الشرح والبيان عما يجول بخاطرنا من الفكرات حول هجرة ابراهيم من أور الكلدان. غير أنه لايجدر بنا أن نغفل فى هذا البحث أمراً آخر يدور حول ابراهيم وحول معتقده الدينى. وهذا الأمر على اختصار القول ينحصر فى أن ابراهيم كان موحداً، فى حين كان الكلدانيون من المكثرين.

إن قصه الخلق البابلية وكذلك قصة الطوفان، كلتاهما تدلان على أن البابليين والكلدانيين كانوا من المكثرين. كانوا يجرون على نفس القاعدة التى جرى عليها اليونان والرومان فى معتقداتهم الدينية، بل جروا على نفس القاعدة التى جرت عليها كل الأمم القديمة التى وصل الينا طرف من اخبارهم وأديانهم. ولاجرم أن الذى يقول لا اله إلا الله، فى بيئة ماعرفت من الله إلا أنه رئيس آلهة كثيرة، يعتبر هوطوقاً. ولعل هذا هو السبب فى هجرة ابراهيم من أور الكلدان الى أرض كنعان

والدليل القاطع على هذا أن الرب تجلى عدة مرات لابراهيم وهو الذى أمره أن يغادر أور الكلدان إلى أرض كنعان. كذلك نجد أن الله تجلى مرة أخرى لابراهيم بعد أن انفصل عنه لوطاً وسكن أرض سدوم، وأن الله وعد ابراهيم، خليله وصفيه، بأن يهبه ونسله كل الأرض، وأن نسله سيكون بعدد الحصى والتراب.

ثم نجد من بعد ذلك سفر التكوين وقد حصر رياسة العبرانيين سياسياً ودينياً فى اسحق، باعتباره وارث ابراهيم أبيه، دون اسماعيل. ذلك لأن اسماعيل كان ابن أمة هى هاجر، وأن اسحق كان بن أميرة هى ساراى أو سارة. إذن كان ابراهيم رئيساً دينياً وسياسياً معاً، وأنه أورث هذه الرياسة ابنه اسحق. وإذن كان ابراهيم أحد بطارقة العبرانيين الكبار. فهل يمكن أن يكون لرجل موحد مقام فى أرض تكثير من غير أن يكون ذلك الأمر سبباً فى الاحتكاك الفكرى؟ ذلك بعيد كل البعد، لاسيما إذا تذكرنا أن ابراهيم كان ذا منازع دينية، وأنه كان بحكم وجوده ذا رئاسة دينية، وأنه كان من الذين يتجلى لهم الله.

خذ بعد ذلك كل القصص الكلدانية التى حشيت فى سفر التكوين، تجد أن هذا السفر قد انتحل كل ما كان لدى البابليين من المعتقدات فى الخلق والطوفان وما يليهما، ماعدا أمر واحد، هو التوحيد. إذن فالدين اليهودى عبارة عن اقاصيص بابل منسوبة

إلى الله الواحد الاحد ، دون بعل وشركاه . وإذن يكون مابقي بعد ذلك من العبارات التاريخية كناية عن تاريخ كامل لقبائل العبرانيين واصلهم وتفرعهم .

***

يوسف الصديق أحد الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب — اسرائيل — وأصغرهم سناً وكان ابن سبع عشرة سنة يرعى الغنم وهو غلام عند بنى بلهة و بنى زلفة امرأتى أبيه . وكانت نمائم تنم ووشايات يوشى بها على غير علم من يعقوب، فأتاه بها يوسف وأطلعه عليها . وكان اسرائيل — يعقوب — يحب يوسف حباً جماً لانه فضلا عن صغرسنه وأنه ابن شيخوخته، كان صادق القول كبير النفس فيه كل الصفات التي تؤهل به إلى زعامة سياسية اجتماعية عليا ، وكان من فرط حبه ليوسف أن صنع له قميصاً ملونا بألوان ، فاصبح هذا الأمر دليلا عند اخوته على أن يعقوب يحب يوسف أكثر من اخوته فأبغضوه وبيتوا له على ضغينة .

و الظاهر كل الظهور أن يوسف من طينة العبرانيين خالص من كل شائبة . فان أحلامه التى كان يحلمها والتفسيرات التى كانت تفسر بها، تنم على أن العبرانيين حتى عهد يوسف، لم يخلصوا من الوراثة البابلية الكلدانية . فان كل ألواح بابل وكل الأقاصيص التى تقص فيها إنما تقوم على احلام أو تبدأ بأحلام هى عندهم بمثابة الوحى الهابط من سماء الغيب ، وسفر التكوين ينص على أن يوسف حلم حلمين ، ترك القرآن احدهما واثبت الآخر . أما الحلم الأول فعلى انه حلم انه واخوته يحزمون حزما فى الحقل فانتصبت حزمته وسجدت لها بقية حزم اخوته . فقالوا له — ألعلك تملك علينا ملكا أو تتسلط علينا تسلطا . و هذا لم يثبته القرآن . ثم حلم مرة أخرى فرأى أن الشمس والقمر واحد عشر كوكباً قد خروا له ساجدين ، وهذا ما أثبته القرآن وبه تبدأ قصة يوسف فيه . على أن أباه قد انتهره وقال له — « هل نأتى أنا وأمك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض »

ينص القرآن على أن أخوة يوسف احتالوا على أبيهم ليرسل معهم يوسف يرتع و يلعب وأنهم له لحافظون ، فتردد يعقوب حذر أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون . أما سفر التكوين فينص على

أن يعقوب ارسل يوسف وراء أخوته يقتص خبرهم وهم يرعون الغنم — وكانوا قد هبطوا ناحية يقال لها شكيم ، فذهب اليهم من وطاء حبرون حتى إذا أتى شكيما ضل فى الحقول سعيا وراء اخوته حتى أرشده مرشد الى حيث نزلوا بعد ارتحالهم من تلك الأرض ، فذهب اليهم فى ناحية يقال لها دوثان .

فلما أبصروه قالوا « هوذا صاحب الأحلام قادم » وأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه وأن يقولوا لأبيه أن وحشاً أكله . فلما سمع رأوبين أحد اخوته هذا الرأى صرفهم عنه وقال لهم لاتسفكوا دماً ، بل ألقوه فى البئر «التى فى البرية » فلما جاءهم خلعوا عنه قميصه الملون وطرحوه فى البئر .

ثم جلسوا ليأكلوا وإذا قافلة من الاسماعيليين قادمة تقصد مصر بمتاجرها . وهنا اقترح يهوذا أخوهم بأن يبيعه إلى الاسماعيليين ، فأخرجوه من البئر وباعوه بعشرين من الفضة «وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » ثم أخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً وغمسوا القميص فى الدم ثم أحضروه إلى أبيهم وقالوا له حقق أهذا قميص ابنك أم غيره . فلما حقق أنه قميص يوسف حزن حزناً عميقاً إذ اعتقد بأن وحشاً أكله

أما رواية القرآن فتقول

« وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا ياأبانا إن ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين» على أن رواية أنهم جاؤوا على قميصه بدم كذب متفقة فى كلا السفرين : القرآن وسفر التكوين

أما المديانييون — الاسماعيليون — أى أهل مدين الذين ورد ذكرهم فى قصة موسى — فبعد أن نزلوا مصر باعوا يوسف إلى فوطيفار خصى فرعون ورئيس الشرطة فى ذلك الحين.

غير أن القرآن لايعين إسم من اشترى يوسف فى مصر ولا مركزه الاجتماعى ولا يعين إن كان خصياً أوغير خصى ولعل فى الترجمه العربية إختلافاً عن الأصل العبرانى، فى تعيين أنه خصى لأنك لاتلبث على روايه سفر التكوين غير قليل حتى تجد أن البركة حلت بيت المصرى بسبب نزول يوسف فيه وأن المصرى ترك كل أمره ليوسف ،

حقله و بيته، وأن امرأة سيده» رفعت عينها إلى يوسف و قالت اضطجع معى فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدى لايعرف معي مافى البيت وكل ماله قد رفعه إلى يدى. ليس هو فى هذا البيت أعظم منى و لم يمسك عنى شيئاً غيرك لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر وأخطىء إلى الله. و كان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أن لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها» (١)

و رواية القرآن تتفق مع رواية سفر التكوين فى هذا — « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه و غلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون » — على أن سفر التكوين ينفى نفياً باتاً أن يوسف مال اليها ، فى حين يقول القرآن — « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين »

ثم رواية القميص . تجد أن سفر التكوين قد نص على أن يوسف دخل البيت ليقضى أمراً فأمسكت به زوجة فوطيفار ليضطجع معها . فترك ثوبه فى يدها وهرب فنادت أهل بيتها وقالت — « أنظروا . قد جاء الينا برجل عبرانى ليداعبنا . دخل إلى ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم . وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى خارج . فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته. فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به الينا ليداعبني وكان لما رفعت صوتى وخرجت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى خارج » (٢)

واليك رواية القرآن مسوقة من غير انقطاع — « واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين »

« ١ » تك إص ٣٩ : ٧ إلى ١٠ .

«٢» تك إص ٣٩ : ١٤ ال ١٨

أما سفر التكوين فيغفل قد القميص وشهادة الشاهد ويغفل اقتناع سيدها ببرهان الشاهد، ويرسل يوسف إلى السجن ليلقى جزاء ماقدمت يداه. على أن رواية القرآن قاطعة فى اقتناع السيد بخطأ زوجته. ولذا لا تجد فى روايته أى مسوغ لسجن يوسف فيما بعد.

ويسوق القرآن رواية أخرى لا تجدها فى سفر التكوين من أثر أو إشارة تلك هى رواية النسوة اللائى تكلمن فى أمرها وأمر يوسف — «وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً انا نراها فى ضلال مبين. فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم. قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين» (١)

ولا شك عندى مطلقا فى أن رواية القميص وشهادة الشاهد على الصورة التى سيقت فى القرآن لم يكن لها من موضع إلا أن يصح التعقيب عليها برواية النسوة والمائدة. وإلا فلماذا يستحق يوسف السجن حتى بعد اعتراف زوجة فوطيفار بأنها راودته عن نفسه وانه استعصم. والدليل القاطع على هذا أن القرآن يقول — «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين» (٢)

كذلك تتفق رواية القرآن وسفر التكوين فى أنه دخل معه السجن فتيان ساق ملك مصر والآخر خبازة وأن أولهما حلم أنه يسقى ربه خمراً إلا بعض تفاصيل فى أنه رأى الكرم والعنقود وأنه عصر العنقود وسقى فرعون، وقد أهملها القرآن. وأن الثانى رأى انه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، مع بعض تفاصيل أهملها القرآن كذلك — وقد فسر يوسف الحلمين فقال للأول أنه يعود إلى سقاية فرعون، وقال للثانى أنه سيصلب فيأكل الطير منه. وكذلك تتفق الروايتان فى أن يوسف طلب إلى الساقى أن يذكره عند فرعون، وأنه نسى أن يذكره، أما القرآن فينص

---

١ — يوسف: جزء١٢

٢ — يوسف: جزء ١٢.

على أنه نسى بضع سنين ، فى حين أن سفر التكوين ينص على أنه نسى من غير أن يحدد كم لبث فى السجن من بعد ذلك (١) غير أنه يعود فى أول الاصحاح الحادى والأربعين يحدد الزمان بسنتين اثنتين تعيينا فيقول — « وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلماً » (٢)

« وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » (٣) ويتذكر رئيس السقاة يوسف ويفسر يوسف الحلم بأن مصر سيصيبها سبع سنين من القحط تتقدمها سبع سنين من الخصب والخير الكثير، وأنه يجب أن يكون على خزائن الأرض قوى أمين يخزن لسنين القحط من سنين الخصب . وكان أن الملك اختار يوسف ليكون على خزائنه — « قال أجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٤)

إلى هنا تنتهى رواية يوسف باعتبارها ترجمة عن حياته وتبدأ روايته باعتباره وزيرا ملكيا متفانيا فى حب الملكية ، حتى لقد بلغ منه حب الملكية واعتقاده بأنها أصلح صور الحكم أن عمل على أن تكون كل ملكية الأراضى من حق الملك وأن يكون له الناس عبيداً يسخرون لأمره يزرعون ويحصد ،ويجمعون ويخزن .
على أننا لا يحسن بنا أن نسوق الكلام فى هذا الأمر من غير أن نرجع إلى سفر التكوين ننقل منه فقرات سوف نحتاج إلى أن نذكر بها القارىء فى سياق بحثنا هذا . جاء فى سفر التكوين (٥)

« ولم يكن خبز فى كل الأرض . لأن الجوع كان شديداً جداً ، فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع ، فجمع يوسف كل الفضة الموجودة فى أرض

---

(١) القرآن — « وقال للذى ظن انه ناج منهما أذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين — » سفر التكوين — « ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه » إص٤٠: ٢٣»
(٢) يلاحظ أن بضع سنين أكثر من سنتين .
«٣» يوسف : جزء ١٣ .
«٤» يوسف : جزء ١٣ .
«٥» تساق الرواية هنا بعد هبوط يعقوب أبيه وأخوته وكل أهله مصر وبعد أن مرت سنى الشبع فى أرض مصر

مصر وفى أرض كنعان بالقمح الذى اشتروا ، وجاء يوسف بالفضة إلى بيت فرعون، فلما فرغت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزاً ، فلماذا نموت قدامك لانه ليس فضة أيضاً فقال يوسف هاتوا مواشيكم فاعطيكم بمواشيكم إذ لم يكن فضة أيضاً . فجاءوا بمواشيهم إلى يوسف . فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيل وبمواشى الغنم والبقر وبالحمير . فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم » (١)

« ولما تمت تلك السنة أتوا اليه فى السنه الثانية وقالوا له لا نخفى عن سيدى اذ قد فرغت الفضه ومواشى البهائم عند سيدى لم يبق قدام سيدى إلا أجسادنا وأرضنا (٢) لماذا نموت أمام عينيك نحن وارضنا جميعاً . اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون . واعط بذاراً لنحيا ولا نموت ولا تصير أرضنا قفراً » (٣)

« فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون . إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون . وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه (٤) إلا أن أرض الكهنة لم يشترها . إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون . فأكلوا فريضتهم التى أعطاهم فرعون . لذلك لم يبيعوا أرضهم (٥)

« فقال يوسف للشعب إنى اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون . هوذا لكم بذار فتزرعون الأرض . ويكون عند الغلة أنكم تعطون خمساً لفرعون . والأربعة الأجزاء تكون لكم بذاراً للحقل وطعاماً لكم ولمن فى بيوتكم وطعاماً لأولادكم . فقالوا احييتنا ليتنا نجد نعمة فى عينى سيدى فنكون عبيداً لفرعون . فجعلها يوسف فرضاً على أرض مصر إلى هذا اليوم (٦) لفرعون الخمس . إلا أن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون »

⁂

ليس لنا أن نشك فى أن فرعون قد حلم وأنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع

«١» يلاحظ هنا أن سياسة يوسف كانت ترمى الى تقوية الملكية . فبعد أن أخذ الفضة وجمع المواشى الى بيت فرعون أخذ من الاهالى الارض أيضاً لتكون من حق الملك .

«٢» اشارة إلى أن الارض كانت ملكا للاهالى قبل أن يبدأ يوسف بتنفيذ سياسته الاجتماعية .

«٣» تعبير صادق عن حقيقة السياسة التى اتبعها يوسف .

«٤» يلاحظ هنا أن التحديد اعتبارى صرف

«٥» ظاهر جداً أن يوسف استعان بسلطة الكهنة الدينية على اخضاع الشعب .

«٦» اشارة إلى أن سفر التكوين قد كتب فى تلك الايام أو بعدها بقليل .

عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . ولكن الذى لنا أن نشك فيه هو أن سني الشبع وسنى القحط قد وقعت كما تنص عليه رواية سفر التكوين . لهذا نعتقد اعتقاد تغليب أن حلمى فرعون قد اتخذهما يوسف ذريعة سياسية استغلها ليخرج الأرض والأموال من يد الشعب إلى يد الملك . ولدينا على ترجيح هذه الفكرة مبرران الأول تفانى يوسف فى سياسته الملكية واعتقاده أن الملك يجب أن يكون ملكا إلى آخر ما يمكن أن يذهب معنى الملكية فيكون صاحب الأرض وصاحب الفضة وصاحب القوت . والناس له عبيد يستغلهم كيف يشاء وعلى الوجه الذى يريد . والثانى أن يوسف أراد بذلك أن يستعبد الأهالى (المصريين) لملك اجنبى يريد من طريق استعبادهم أن يسخرهم فى المحافظة على عرشه الذى أخذه من ملوك مصر اغتصابا . فاذا جمعت بين السببين ، اعتقاد يوسف السياسى، والحاجات التى قامت فى ذلك العصر خرجت من ذلك بفكرة عامة تؤيد ما نذهب اليه من رأى .

وهنا يجب علينا أن نأتى على بعض حقائق تاريخية نستخلصها من تاريخ ذلك العصر الذى حكم فيه يوسف مصر (١) فالمعروف أن الأسرة الثالثة عشرة قد انتهى عهد حكمها فى مصر وسط اضطرابات أهلية كبيرة كما دل حكم ملوك الأسرة التى تلتها وقصر مداه على أن روح الفراعنة كانت قد أخذت تضمحل وتضعف . لذلك انتهى الامر بأن تقلص ظلهم وباد مكانهم . لهذا عاثت قبائل اسيوية فى أرض مصر فسادا بعد أن استقوت على أهلها . ويعرف هؤلاء بالهكسوس أو الرعاة وكان أكثرهم من العنصر السامى أصلا . ولقد حكم هؤلاء بلاد مصر أكثر من ٦٦٩ سنة وحكموا وادى النيل فى ثلاثة أسر تربعت على عرش مصر تتابعا . ولقد كان لاستبدادهم وتخريبهم أثر ظل ثابتاً فى عقلية المصريين ولم يمح منها أبداً . فقد بدؤوا حكمهم بالتحطيم والتحريق والسرقة والنهب ، ثم تربعوا من بعد ذلك فى ممفيس وصان ومن هنالك امتدت سلطتهم إلى أرض مصر جميعها . غير أن هؤلاء الغزاة لم يلبثوا أن خضعوا لمقتضيات الحضارة المصرية فاصطبغوا بالثقافة الفرعونية القديمة ، حتى لقد أصبح المغزو بالقوة غازياً بالتسلط الأدبى ، فاصبح الرعاة فراعنة بالاسم دون

«١» راجع كتاب سايس ــ Early Israel ــ ص ١٥٨

الفعل . فانتحلوا عن المصريين عاداتهم وطرق معيشتهم والقابهم الملكية والأميرية ، ومع الزمن اخذوا طريقة التعليم والكتابة . وكان بلاطهم مملوء بالموظفين المصريين ، وأعيد بناء المدن والهياكل ، وأصبحوا القوامين على الآداب والثقافة المصرية البحتة. والدليل على هذا أن المقالة الرياضية الوحيدة التى وصلت الينا عن المصريين القدماء قد أهديت إلى ملك هكسوسى عنواناً على أنه من حماة العلم . على هذا نجدان المصريين قد استقووا على ملوكهم الأجانب من الناحية الأدبية ، ماعدا امراً واحداً هو الدين ، فانهم بقوا على دين أجدادهم ، كما بقي الهكسوس على معتقداتهم القديمة التى أتوا بها من جوف آسيا . فقد ظلوا يعبدون آلهاً سامياً شبيهاً « ببعل » الكلدانى ، أسبغوا عليه اسما انتحلوه عن الحثيين فسموه « سوتخ — Sutekh — وحاول أحد ملوكهم أن يلزم المصريين عبادته غصباً فكان ذلك سبباً فى بدء حرب الاستقلال التى انتهت بطردهم من مصر . فقد أرسل الملك أبوفيس الثالث — Apophis — من ملوك الأسرة السابعة عشرة إلى « اسكتن رع » أمير طيبة يأمره بأن يقلع عن عبادة « آمون » آله طيبة وان يدين بعبادة الآله الذى يعبده الملك . فقاوم الأمير هذه الأرادة، وكان ذلك بدء حرب استقلال طويلة دامت أكثر من خمسة أجيال (١٥٠ سنة) وكانت النتيجة أن انتصر المصريون على غزاتهم وبذلك عاد الهكسوس إلى آسيا ، واعترف بعد ذلك بأمير طيبة فرعوناً على مصر المتحدة سنة ١٦٠٠ ق . م .

وحدث فى زمان حكم الهكسوس أن زار ابراهيم شمال مصر (الدلتا) ، عندما كانت مدينة « صان » مقر حكمهم بالقرب من الحدود الأسيوية ، كما كان لهم على الحدود نفسها قلعة حصينة تدعى أفاريس — Avaris — وكانت اقامتها حيث هى لتكون دريعة لغزوات الأشوريين من آسيا وسيفاً مسلولا على رأس المصريين فى أفريقية .

والراجح جداً أن فرعون يوسف الصديق هو أبوفيس الثالث بعينه الذى بدأت فى زمانه الحرب الاستقلالية ، فكأن الوزير العبرانى قد شهد بدء الحرب وقدر لها نتائج كانت سياسته نتيجة لتقديراته .

الهكسوس غزاة فاتحون . ومهما جرى عليهم الزمن فى أرض مصر فانهم ولا شك كانوا أقلية تحكم أكثرية بالقوة . فاذا قامت حرب استقلالية وعلى الاخص اذا

كان لهذه الحرب علاقةبالدين و بآمون كبير آلهة مصر كان لها أثرها الكبير فى زعزعة الملك وهز العرش من أساسه. فاذاتذكرنا أن سلطةالهكسوس لم تكن من القوة والقدرة البالغةبقدر ما كانت فى شمالى مصر، وأنها كانت ضعيفة فى صعيدها ، عرفنا لماذا بدأت الحرب من الجنوب ولم تبدأ من الشمال. أضف الى ذلك أن نظام الحكم فى مصر القديمة كان نظاماً كهنوتياً أولاوقبل كل شيء . وكثر ماترى أن الكهنة استطاعوا أن يخضعوا الملوك وأن يخلعوا ملوكا عن عروشهم.من هنا نستطيع أن نعين على وجه التقريب مركز الهكسوس أزاء شعب كالشعب المصرى أريد به أن يغلب على أمره حتى فى أمر دينه وسط نظام قائم على السلطة الكهنوتية منذ أبعد الأزمان.

ثم يجب علينا أن نتذكر ان بين الهكسوس و بين العبرانيين علاقة المزاج على الأقل (١) فهما عنصران اسيويان ساميان. ولا يبعد أن يكون بين مقتعداتهما الدينية من القرب بقدر ما كان بين مزاجهما التكوينى . لهذا لا يكون من البعيد عقلا ان يتخذ ملك هكسوسى (أبو فيس) وزيراً عبرانيا (يوسف) ليتعاونا فى وقت شدة على اخضاع شعب كلاهما عنه غريب، بل أن فى اخضاعه كل ما يمكن أن يتطلعا اليه فى الحياة ، لاسيما اذا اجتمعت المطامع الملكية من نفس الملك، مع المطامع الاصلاحية فى نفس الوزير.

و يحلم الملك الهكسوسى أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات (٢) ثم يولى يوسف على خزائن الأرض ويجمع كل الحبوب فى مخازن الملك و يذر الحب فى سنبلة إلا ما احتاج اليه. و يحتاج المصريون إلى حب للبذار فلا يجدون الا فى مخازن الملك . و يظل يوسف يعطيهم الحب للبذار سبع سنين و يجمع ماتخرج الأرض سبع سنين. فاذا منع عنهم حب البذار فى أول السنة الثامنة فهنالك ولا شك القحط وهنالك ولا شك الدمار والخراب . ومخازن الملك مملوءة بما يكفيه ويكفى الناس ، ثم يجمع الفضة و يجمع المواشى ثم يشترى الأرض للملك . لماذا ؟

سياسة معقولة فى زمن انتقاض وفتنة يقصد بها الاستقلال التام . يصبح المصريون عبيداً للملك يسخرهم كيف يشاء فيجعلهم مستفلحين أو «جنداً» باللقمة. من صلح منهم

١– من رأى بعض ثقاة الباحثين أن الهكسوس عنصر عبرانى بالفعل

٢– ولا يبعد أن يكون ذلك حادث مفتعل اذاعه يوسف ليستغله سياسيا وان كان العقل يمكن أن يسلم بان فرعون من المحتمل أن يكون قد حلم ذلك الحلم .

لافلاح الأرض فلها ومن صلح منهم للجندية فيساق إلى جند أمير طيبة يدافع رغم أنفه عن ملكه الهكسوسي ووزيره العبراني.

بقى أمامنا شيء واحد هو ان الحرب الاستقلالية كانت فى بدء شبوبها عندما استوزر الملك الهكسوسى (بن عمه) النبيل العبرانى. ولا جرم أن السياسة التى اتبعها يوسف لسياسة هى من اجدر السياسات برجل يزن الظروف القائمة من حوله وينظر الى أبعد اطراف المستقبل ويقدر اسوأ التقديرات.

هذا مانرى فى قصة يوسف وفى احتمالاتها التاريخية. وسنعود فى العدد القادم الى الكلام فى هبوط العبرانيين الى مصر وخروجهم منها، لنستخلص من قصة موسى شخصية اخرى هي شخصية الزعيم السياسى. والراجح ان هذه الشخصية لم تظهر الا بعد أن خرج الهكسوس من مصر. لانه لايعقل ان يستبد هكسوسى بعبرانى بل أن الاستبداد بالعبرانيين لم يبدأ الان بعد ان حكم مصر اهلها انتقاماً من الهكسوس ومن وزيرهم الذى استطاع ان يطيل مدة الحرب الاستقلالية خمسة اجيال متتابعة ؟

اسماعيل مظهر

شعر التصوير

القصر الحزين

في جيرة سيدي بشر

عن الجزء الأول من ديوان « وحي العام » للدكتور أبي شادي
الذي سوف تصدره « دار العصور »

على ربوةٍ من شاطئ البحرِ قد بدا — حزيناً عليه من شحوب المنى وجد
وفي قربه الأمواجُ بين تلاطمٍ — وبين اصطدامٍ حوله النحسُ والسعدُ !
وقد نضرَ العشبُ الذي في فنائه — ولكنه ذكرى من الأمس يمتدُّ !
وقد أُغلِقَ الكشكُ الذي كان مؤئلا — لحارسه مذ صار يحرسه المجدُ !
تأمَّلتُه في صورةٍ منكِ نقشُها — يجدِّدُه مذ فاته الحظُّ والجد
ويا حسنَ هذا اللطفِ في وقفةِ الرضى — ونقشكِ ألواناً يحنُّ لها الوردُ
خلعتِ عليه من ملاحتكِ الحلى — أشعةَ حسنٍ كلُّنا حولَه عبدُ
وقلتِ : أهذا الرسمُ ما أنت تشتهي — فقلتُ : كفاني أنه بكِ يعتدُّ !
خطوطٌ لها جمٌّ المعاني التي حوت — حياةً وسحراً لا يقاسُ به الحمدُ
تعجلتِ في تكوينها مثلَ خالقٍ — فما فاتها الاتقانُ لو نالها النقدُ !
وما قدرُ شعري في بيانٍ وزينةٍ — ونقشُكِ هذا الفنُّ والنورُ والخلدُ
فما صغتُه يغني غناءً بقدرِه — عن الشعرِ ، لا يخبوا ولا هو ينهد

فياليتنى (القصرُ الحزينُ) ، فمندها ... اذا زُلْتُ لم يُحسَبْ كفقدِ لىَ الفقدُ !

حفظت له فى لوحة الفنِّ عُمْرَهُ ... وعُمْرِىَ — مهما جلَّ — غايتُهُ اللَّحد

وشابهتُهُ فى شُهرةٍ وتعاسةٍ ... فأدركهُ عطفٌ وما جاءنى بعدُ

وأسمعُ وعْداً عن غرامى بجَنَّةٍ ... فتنتثِرُ الأحلامُ حولىَ والوعدُ !

وكلُّ إلهٍ ذو وعودٍ جميلةٍ ... وليستْ وُعُودٌ منكِ يحصرُها العدُّ !



عباس محمود العقاد

-١-

يقول جول لمتر الناقد الفرنسى المعروف : «لا أكاد أفرغ من كتاب أقرؤه حتى يذهب بى الانفعال مذاهبه حزناً وفرحاً، وقد أضطرب من شدة السرور وكأنما خالطنى ذلك فى اللحم والدم »

احذف هذا الشعور النبيل القائم على الفهم و الحق و على القلب والعقل ، وضع فى مكانه ألأم شعور و أخزاه يخرج لك عباس العقاد الجلف الأسوانى قائلا : «لا أكاد أفرغ من قراءة كلمة طيبة لأحد من خلق الله حتى أمتلىء حقداً وغما و أرانى أشعلت النار فى لحمي ودمى»

إن لم يقل هذا المغرور ذلك فقد قالته أفعاله فى ألأم لغة وأخس طبيعة، وهو دائب منذ عشرين سنة لايعمل إلا بهذه القاعدة ولا تعمل فيه إلا هذه القاعدة و كان يظن أن الناس يهابونه ولكنه لما طرد أخيرا من جريدة البلاغ رأى حيطان الشوارع نفسها تكاد تشتمه وأيقن أنه أهون وأسقط من أن يعبأ به أحد، وعلم أن الاحترام كان لمنزلة جريدة البلاغ لا لمنزلته هو .

وماذا كان يعمل فى جريدة البلاغ و لماذا طرد منها ؟ كان الوفد يحتاج إلى سفيه أحمق يسافه عنه جريا على القاعدة الحكيمة القائلة : إن الكريم لا يحسن به أن يكون سفيها فيجب أن يتخذ له من يسافه عنه إذا شتم، فلم يروا أكفأ من العقاد وقاحة وجه وبذاءة لسان وموت ضمير وحمقاً أكبر من الحمق الانسانى ولؤم نفس بقدر مجموع كل ذلك

وما تقول فى كاتب يناقش الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة والكاتب الذكى والانسان الرقيق فيكتب فى صدر جريدة البلاغ كتب الولد المسطول !!! ويناقش خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم وهو كاتب سياسى محنك دقيق الفكر وقد زعم فى بعض

المسائل أنها مسألة إقتصادية فيقول له العقاد فى صدر البلاغ : إقتصادية ماذا يامغفل

فلما جاءت الوزارة الأخيرة و أخذت فى السياسة بالنزعة الأخلاقية وجعلت تنذر الصحف و تقفلها خاف صاحب البلاغ أن تجنى على أهلها براقش فاذا نبحت جرت عليهم الموت فلم يجد للعقاد معنى فطرده إذا أصبحت السفاهة معاقبا عليها فكأن ختامه زفت

ولكن هل لهذا العقاد قيمة حقيقة ؟ وهل يخشاه أحد من الأدباء كما يظن هو أو كما يخيل إلى بعض الناس فى خارج مصر ؟

أما أنا فأذكر للقراء أحدث دليل وقع من أيام فقط. وذلك ما بلغني من أن أديباً كبيراً أراد العقاد أن يواجهه بلؤمه فى مجلس رئيس تحرير مجلة من أكبر المجلات فثار فيه الأديب وقال له فى وجهه بالحرف الواحد . أنت وقح سافل وأنا أحتقرك ولا أعرفك

هذه هى منزلة الرجل . وماذا تظنه فعل حين سمع هذا ؟ قال له دمه فى داخل ضميره : صحيح صحيح ! ! فسكت وقام وكاد الباب يبصق فى وجهه .

الأمر كله وهم وخداع، كالحمار يلبس جلد الأسد . فلما رأى القراء هذا العقاد لا يكتب إلا سباباً وحقداً ولؤماً وتطاولا على الناس ودعاوى فارغة وتضليلا و إيهاماً بايراد آراء الفلاسفة وزعمه مناقشتها. ظنوا من تتابع كل هذا ما لابد أن يظنه الضعفاء ويتأثروا به من عمل التكرار . وقد قيل ان الذئب إذا واثب إنساناً ضال حواسه فجعل يثب بغاية السرعة أمامه وخلفه و يمينه وشماله وفوقه ليخيل اليه من تتابع هذه الحركة السريعة انه ذئاب كثيرة لا ذئب واحد، وبعبارة أخرى ليدير أمام عينيه « فلم » ذئاب سينمانوغرافى كاذب لا حقيقة له و هكذا يفعل هذا الذئب البشرى العقاد .

ومن أين كل هذا وما سببه ، نحن لا نجرى إلا على أحدث قواعد النقد ، وهذه القواعد تقضى بأن الافكار راجعة إلى أحوال عصبية وأن ما فى داخل الانسان هو الذى يصنع ما فى خارجه، وكذلك الكاتب فى كتابته. فلا تصل إلى حقيقتها إلا بعد أن تقف على حقيقة مشاعره وأخلاقه وطباعه وأصله وفصله هى وحدها تفسيره وتفسير ما يكتب وما يعمل .

على هذا الأصل يجب أن يعرف الناس هذا المخلوق المسمى العقاد . والذين قرؤا ما كتبته عنه جريدة الاخبار وعن مولده ! ! يعرفون أن مثل هذا المخلوق ظل العالم

كله فى نظره كالشارع الذى يلقى فيه اللقيط فهو لا يرى له مكاناً ولا سكاناً والعالم وأهله فى ناحية وهو وحده فى ناحية أخرى فهو يكره الوجود من نفسه ويكره نفسه من أجل الوجود .

سل الأطباء ما الذى يؤثر فى الجنين أشد تأثير ويخرجه شرساً حقوداً لئيما بالغريزة ؟ انهم يجيبونك إن هذا يحدث حتما مقضياً اذا كانت الأم فى أشهر حملها لا تفكر مثلا الا فى الحقد على رجل غدر بها والغيظ من لؤمه الخ فيجيء الجنين مصنوعا فى هذا المعمل ؟؟ ولن يفلح فيه بعد ذلك أدب ولا تهذيب ولا علم

لو كان العقاد يرضى ان يقال عنه إنه مترجم لأنصف نفسه وأراحها ولكنه يزعم — فى وقاحة أهل الشوارع — ان لا عبقرى غيره . فاذا ذهبت تقرأ كتبه رأيت أحسن ما يكتبه هو أحسن ما يسرقه وهذا أمر مجمع عليه ومع ذلك لا يريد اللص الا أن يعد من أرباب الأملاك ! ! !

تأمل أسماء كتبه : «ساعات بين الكتب مراجعات» فى الأدب والفنون . مطالعات فى الكتب والحياة » ماهذا ؟ هل هى الا اللصوصية الأدبية تسمى نفسها من حيث لا يشعر الأحمق ؟

واذا ذهب كل انسان يقرأ الكتب التي تعد بالملايين ويلخص كل كتاب فى مقالة أو مقالات فهل يعجز عن هذا العمل أحد وهل يكون كل الناس عباقرة لأنهم قرؤا وفهموا وسرقوا ولخصوا ؟ لقد هانت العبقرية وأصبح خمسة آلاف من طلبة البكالوريا فى هذه السنة وحدها خمسة آلاف عبقرى أنجبتهم مصر فى عام

ويدعى العقاد أنه إمام فى الأدب فخذ معنا فى تحليله ، أما اللغة فهو من أجهل الناس بها وبعلومها وفى مقالته فى مقتطف شهر يونيو الماضى تراه يجيء مرتين فى موضعين مختلفين بكلمة « الاثنى عشر »منصوبة من حيث لا يجوز الا رفعها ، وقلما تخلو مقالة له من لحن ، وأسلوبه الكتابى أحمق مثله فهو مضطرب مخل لا بلاغة فيه وليست له قيمة وهو يقر بذلك ولكنه يعلله أنه لا يريد غيره فقهم نحن أنه لا يمكنه غيره هو من جهة اللغة والبيان ساقط لا يكابر فى هذا ، أمسك هذه المقدمة أولا ثم خذ

منه نتيجتها . نتيجتها أنه شاعر عبقرى أهبه نزل عليه الوحى فما قيمة ذلك إذا كان لايجيء الا فى أسلوب سخيف ؟

للعربية سرها فى تركيبها و بيانها فاذا أهملناه صارت العربية (كلام جرائد) يصلح لشيء ولا يصلح لشيء آخر ، يصلح ليقرأ و يلقى و لا يمكن أن يصلح للغد والاحتفاظ به .

وأنت تقرأ شعر العقاد فتجد فيه شيئين متباينين — بل متناقضين — الأول بعض أبيات حسنة لا بأس بها و الثانى ألوف من الأبيات السخيفة المخزية التى لا قيمة لها . لا فى المعنى ولا فى الفن ولا فى البيان فعلام يدلك هذا ؟ يدلك بلا شك أن الأبيات الحسنة مسروقة جاءت من قريحة أخرى وطبيعة أخرى غير هذه الذى تعصف بالغبار و الأقذار فان الشاعر القوى لا بد أن يتسق كلامه فى الجملة ، واذا نزل بعض كلامه لعارض ما لم ينزل الا طبقة — واحدة أو ما دونها . إما العقاد فيتزحزح من مائة درجة عندما يسمو ، يعنى يسرق فى بيت او بيتين .

نحن نفتح الآن ديوان هذا السخيف كما يتفق ونخرج بما نصادفه ، وكن واثقا أنك لن تفتح صفحة دون أن تقع على سخافات كثيرة . انظر قوله صفحة ٢٠ «لسان الجمال» :

يامن الى البعد يدعونى ويهجرنى * أسكت لسانا الى لقياك يدعونى

أسكت لسان جمال فيك أسمعه * فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى

هذان البيتان لا بأس بهما ثم يتدحرج بعدهما نازلا . وفى الشطر الاول غلط ككلام الجرائد والروايات السخيفة حين تقول (دعاه الى ان يبتعد) ولا معنى لكم دعاه هنا لانها لا تفيد الا الاقبال وهو يريد ضده . وكان الأفصح أن يقول فيهجرنى ليكون الهجر مرتبا على رغبة صاحبه فى ابعاده فيصور اجزاء المعنى بألوانها . والبيت الثانى تكرار لنصف البيت الأول . وقد تجوز العرب فى قولهم: نطقت الحال بكذا لأن المنظر كالمنطق فالمجاز قريب شائع . ولكن البرود كله ان يقول سمعت وجهك يقول كذا او سمعت لسان جمالك يقول كذا فان هذا يقتضى نطقا حقيقيا فيما لا ينطق الا مجازا وبهذا ينحط المعنى .

واذا كان للجمال فى هذا الحبيب الذى مانظنه بربريا أسوانيا ــــلسان، فلا يعقل ان يكون اما للسان فى غير فم خصوصا بعد ما قال «أسمعه» وإذن صار الحبيب حيواناً عجيباً فى ظاهر أعضائه أعضاء، وما معنى قوله اسمعهفى كل يوم . اذا كان لسان الجمال ناطقا أبدا فالصواب فى كل حين أو فى كل وقت واذا كان أخرس لا ينطق الا مرة فى اليوم فيكون تعبيره حينئذ صحيحا وهذا غير ما يريد المتشاعر

هل تريد الآن أن تعرف اصل المعني على أدق وأجمل ما يتأتى فى الشعر. انظر قول العباس بن الأحنف

أريد لأدعو غيرها فيجرنى   لسانى اليها باسمها كالمغالب

فقلب المتشاعر المعنى وجعل الذى يغالبه لسان الجمال وبذلك سقط الشعر لان ابن الأحنف أراد أن الحبيبةهى غالبة على ارادته فيجره لسانه إلى اسمها إذا أراد أن يبتعد عنه . والعقاد جعل لسان الجمال يدعوه فقط لايجره جراً إذا أراد الحبيب أن يبعده عنه .

وقد عبر أبو تمام أحسن تعبير عن هذا المعنى بقوله

هى الشمس يغنيها تودد وجهها   إلى كل من لاقت وان لم تودد

وتأمل قوله «يغنيها تودد وجهها» فهى كلمة بالعقاد وكل شعره :

نحن نعبث بهذا المتشاعر ونفسح له مهربا كمهرب الفأر بين أظافر الهر لايرسله يميناً إلا ليضربه شمالا . وانما سرق المتشاعر من قول القائل :

تكلفنى هجرانها بلسانها   ويدعواليها حسنها بلسان

وهذا معنى كثير فاش تجده فى الغزل وفى المديح أيضاً وهو فى الشعر الأوروبى أكثر منه فى الشعر العربى

بجانب هذه القطعة قطعة أخرى معربة عن شكسبير يقول فى البيت الثالث منها :

ومالت على أذنيه حتى كأنه   ليسمع منها شجوها والتندما

فما هذه اللام فى «ليسمع» ؟ لام عقاديةولا شك ،أى سخافة و تخليط ، ان هذه اللام لا تأتى إلا زيادة فى التوكيد، وهنا كأن للتشبيه لا للتوكيد أى لم يقع بل كأنه فلا توكيد فى الكلامولا محل لتلك اللام مطلقا إلا أنهامن جهل المتشاعرويقول فيها :

تهدقوى الثبت المريرة من جوى فتعرقه إلا مشاشا وأعظما

فسر «تعرقه» بقوله: عرق اللحم كشطه وأبقى العظام، فاذا كان هكذا فمعنى البيت (تكشط اللحم وتبقى العظام إلا العظام !!!) أهذا بيان أم هذيان؟ ونفتح صفحة ٣٠ فاذا قطعة فى العقاب الهرم يقول فيها:

ويثقله حمل الجناحين بعدما أقلاه وهو الكاسر المتقحم

يريد بالكاسر مثل قول الجرائد التى يتعلم فيها (حيوان كاسر وأسد كاسر) وهو خطأ لأن هذه الكلمة لاتقال إلا للطائر حين يكسر جناحيه للوقوع ويقول بعد هذا البيت:

جناحين لوطارت لنصت فدومت شماريخ رضوى واستقل يلملم

قال فى الشرح: التدويم تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة (كذا) الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا (كذا) هما والجبال سواء». ماالذى فهمت أيها القارىء من هذا الشرح ومن سخافة النظم؟ يريد المتشاعر أن جناحى العقاب الهرم جمدا فلا يطيران فلوهما طارا لطارت فى الجو شماريخ جبل رضوى وقام جبل يلملم بطير فانظر أى اضطراب وأى حمق وأى سخافة ولماذا رضوى ويلملم دون حملايا والألب؟ ويقول

لعينيك يا شيخ الطيور مهابة يفر بغاث الطير عنها ويهزم

بغاث الطير ضعافها وما لا يصيد منها، ومنه قولهم (ان البغاث بأرضنا يستنسر) يريدون ان البغاث ـ مع كونه ذليلا عاجزا ـ لو نزل بأرضنا لانقلب نسرا. فأية قيمة للمهابة التى تفر منها ضعاف الطير؟ أو ليس المعنى الطبيعى الشعرى هو قول ابن حجاج

وكل باز يمسه هرم ترى على رأسه العصافير

وفى صفحة ٣٢ الليل والبحر يقول:

ضل هادى العيون واحلولك الليل فلا فرق بين أعمى وهر !!!

ولهذا الظلام خير من النور اذا كنت لا ترى وجه حر

هنا تظهر سخافة هذا العقاد بأجلى مظاهرها فكلامه لئيم وأسلوبه لئيم وسرقاته

لئيمة . يريد أنك ما دمت لا ترى وجه حر من الناس فالظلام خير من النور .
ماألأمها ما ألأمها . ألا يغور هذا المتشاعر فى الأرض وهو يعرف أنه يسرق ألأم سرقة من قول القائل

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

أعرفت الآن سخف العقاد و لؤم شعره وركاكة بيانه المتهدم وأنه يمشى فى الشعر على رجلين من الخشب !!!!

وفى صفحة ٣٧ يزعم المتشاعر انه يعارض ابن الرومى ولو بصق ابن الرومى لغرق العقاد فى بصقته . يقول

فى كل روض قرى للزهر يعمرها يا حبذا هى أبيات وسكان

ولا أدل على جهل العقاد بالنحو والعربية من هذا فان (ابيات وسكان) هنا فى هذا التركيب يجب ان تكون منصوبة على التمييز وقد جعلها مرفوعة لأنه جاهل جهلا صريحا . ويقول فيها:

نفاه عن عرس الدنيا شواغله ان الحداد عن الأعراس شغلان

من أى لغة جاء (بشغلان) ؟ من قول العامة : عاملها شغلانة !!!!

ومن مضحكات هذه القصيدة

بالغصن شبهه من ليس يعرفه وانما هو للرائين بستان !!

وهل نما قط فى غصن على شجر آس وورد ونسرين وسوسان؟

اذن هذا الحبيب أشجار مختلفة . اما تشبيه قده بالغصن فخطأ فى رأى المتشاعر ويجب أن يشبه قده بالحقل !!! أليس هذا الخلط أسقط ما يمكن أن تعثر بمثله فى أسخف الشعر فى أحط الأزمنة ؟ ولكن العقاد مجدد !! مجدد ايه وهباب أيه !! انظر الأصل الذى سرق منه لابن الرومى

لأى أمر مراد بالفتى جمعت تلك الفنون فضمتهن أفنان

تجاورت فى غصون لسن من شجر لكن غصون لها وصل وهجران

تلك الغصون اللواتى فى أكنتها نعم وبؤس وفرح وأحزان

ما أجمل هذا التصوير وأبدعه فى جعل ثمار تلك الغصون الانسانية نعماً وبؤساً

وأفراحا وآلاما لا كما صنع المغفل الذى جعلها آسا وورداً ونسريناً وسوسانا ولو كانت القافية لامية لحسبناه يجعلها بصلا وثوما وكراثا وفجلا !!! على أن المتنبى أشار الى ذلك المعنى إشارة رقيقة فى قوله : مظلومة القد فى تشبيهه غصنا . ولو كان فى طبع المتنبى الغزل لأبدع واستوفى المعنى ولكنه فى الغزل ضعيف جدا يقلد غيره

ويقول العقاد

يا من يرانى غريقا فى محبته وجدا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟

يعنى إيه ؟ الغصان من به غصة وهى ما يعترض فى الحلق فيساغ بالماء . فما معنى ان يكون الغريق غصان ؟ الظاهر ان هذا العامى المتشاعر ظن أن الغصان معناه الظمآن والغريق لا يسأل هل أنت ظمآن لان الماء يملأ حلقه وجوفه .

وانظر قول البحترى حين لاح له مثل هذا المعنى

كان يحيى ميتا من ظمأ بعض ما أوبق ميتا من غرق

انظر الفرق بين الشاعر الحقيقى مثل البحترى والمتشاعر الدعى الغبى مثل العقاد الذى يقول

إنى الى الرعي من عينيك مفتقر يا ضوء قلبى فان القلب مدجان

فسر (مدجان) فى الشرح بقوله : غائم !!! ومدجان مفعال صيغة مبالغة فكيف تاتى صيغة المبالغة من الرباعى أى فعل أدجن ؟ والظاهر أن هذا العامى فهم من معنى (الرعى) النظر، مع ان قولهم رعاه الله لا يكون الا بمعنى حفظه فالمعنى انه مفتقر الى ان تحفظه عينا الحبيب !! لأن قلبه مدجان .

الحق ان الذى يقرأ هذه القصيدة ويقول ان العقاد شاعر وأنه يعرف العربية لايكون الا مغفلا بل من أشد المغفلين ، وزعم ناظمها أنه شاعر واتيانها فى ديوانه هو الدليل على انه مغفل، ودليل آخر على أنه مغفل قوله:

والشعر من نفس الرحمن مقتبس ٭ والشاعر الفذ بين الناس رحمن !!!

لا نشير الى إلحاد هذا الدعى الزميم فهو يباهي به، ولكنه لما كان يدعى لنفسه انه شاعر فذ فكأنه فى رأي نفسه اله !!! أغيثوه بطبيب مستشفى المجانين أيها الناس

قالوا ان آدم من قرد فقلت لهم: ٭ كلا ولكن فى النجر ثعبان

يعني فى الأصل، وهذا رد من العقاد. داروين وماتركه الى هذا المعني الامن لؤمه وأذاه وطوله

وتفتح الآن صفحة ٦٠ فتراه يقول يصف امرأة فى حمام البحر

البحر يغضب وهى ضاحكة ٭ شتان بين السخط والسخر

وتميل من ظهر الى بطن ٭ طورا ومن بطن الى ظهر

هذا دليل جديد على جهل الرجل بالعروض فان آخر الشطر الاول من البيت الثانى عروض حذاء مضمرة والاضمار مع الحذذ لا يقع الا فى الضرب، اى فى آخر البيت ومعنى هذا انه لا يجوز ان يقول فى هذا الوزن (الى بطن) بسكون الطاء بل يجب أن يكون فى مكان الطاء حرف متحرك.

لخطأ فى النحو وخطأ فى اللغة وخطأ فى العروض وسخافة فى المعنى ولؤم فى السرقة وغباوة فى الذوق. ماذا بقى منك ايها الدعى لتكون شاعرا به ؟، وفى صفحة ٦٥:

فاكتب على هذا الزمان ذنوبه ٭ انا نؤجله الحساب الى الغد

ومع سخافة المعنى عدى (أجل) الى مفعولين وهو لا يتعدى الا الى مفعول واحد و تقلب الآن صفحة ١٠٥ ضيق الأمل:

شر ما يلقى الفتى أجل ٭ ضيق عن واسع الأمل

انظر غباوة اللص لتعرف أنه لص وقابل هذا البيت بقول القائل

أملى من دونه أجلى ٭ فمتى أفضى الى أملى؟

أليس هذا هو الشعر وأليس كلام العقاد هو الهذيان. أعرفت الآن أن هذا السخيف الأسوانى لص يسرق من الجوهرى ويبيع فى سوق الكانتو !!! ؟

(. . .)

« العصور » فتحنا هذا الباب لأننا نعتقد بأن الصحف إنما وجدت لتكون ميدناً تتحرر فيه الافكار وتظهر فيه نزعات الكتاب على حقيقتها. لهذا نرحب بكل نقد ونفتح هذا الباب على مصراعيه لكل كاتب سافراً كان أومقنعاً

الزباء

(زنوبيا)

نقلا عن جيبون مؤرخ الرومان

الزباء هي ملكة تدمر وسيدة الشرق الشهيرة . وهى المرأة الوحيدة التى تغلبت مهارتها الفائقة على الاستكانة والخمول اللذين طبعهما جو القارة الاسيوية وأخلاق أهلها على طبيعة بنات جنسها . وتفوقت بذلك — إذا استثنينا سميراميس — على جمع السيدات اللاتى أنجبتهن اوربا الحديثة فبهرن العالم بحكمهن المجيد

والزباء من سلالة ملوك مصر المقدونيين (البطالسة) تحاكى سالفتها كليو بطرة جمالا وحسنا، وان كانت تفضلها عفافا و إقداما. فقد كانت الزباء تعتبر أبهى سيدات عصرها شكلا وأكثرهن شجاعة : كانت سمراء اللون . ذات أسنان منضدة كعقد من الدر أو زهرة من الأقحوان، وكان لعينيها بريق غريب يمتزج بحلاوة جذابة . وكان صوتها مع شدته جميلا رخيم الحواشي، ومداركها العالية كان يثقفها البحث والاطلاع فلم تكن تجهل اللغة اللاتينية وكانت ملمة باللسان الاغريقى واللغة السريانية، كما أنها كانت تجيد اللغة المصرية القديمة . وقد وضعت فى تاريخ الشرق كتابا نفيسا ضارعت به هوميروس وأفلاطون .

تزوجت هذه المرأة الكاملة من أذينة (Odenathus) الذى ارتقى بنفسه من مركز عادى حتى تبوأ عرش الشرق . فأصبحت بزواجها هذا صديقة ورفيقة لاحد الأبطال . وكان زوجها يلهو — فى الفترة بين الحروب — بالصيد وقنص أنواع الحيوان الضارية كالسباع والدباب شأن الملوك المهرة فى الحروب . ولم تكن زنوبيا أقل منه مهارة فى هذه التسلية الخطرة، وذلك لأن بنيتها لم تكن ليتسرب اليها الكلال وعزيمتها لا يطرقها الملال . ومن عاداتها أنها طرحت جانبا الركوب فى مركب مغطي : وكثيرا ما كانت تبدو على ظهر جوادها فى حلة عسكرية أو تسير على قدميها أميالا عدة فى مقدمة جيوشها .

وقد يرجع الفضل فى نجاح زوجها أذينه نجاحا باهرا الى ما تحلت به من فطنة وقوة نادرتى المثال . فكانت انتصاراتها على الملك العظيم « عاهل الرومان » أساسا وطيدا لشهرتهما وسلطانهما المشتركين

قتل أذينه عام ٢٦٦ قبل الميلاد بيدابن أخيه فى حفلة صيد انتقاما منه لأهانة ألحقها به، فأجهزت زنوبيا على قاتله بعد زمن قليل على مذبح ذكرى زوجها المحبوب وتربعت فى دست العرش ما يزيد على خمس سنين جمعت فيها حولها أخلص أصدقاء زوجها تسترشد بآرائهم فى حكم تدمر وسوريا والشرق . ورأى الرومان خطأ أن يسحبوا الامتيازات التى كان يتمتع بها أذينة بصفة خاصة أيام حياته فوجهوا اليها جيشا عرمرما كان نصيب فائدة التقهقر المعيب مع فقدان رجاله وسوء سمعته، وكانت مدة حكم الزباء المجيدة ممتازة بأرشد الوسائل السياسية . اذ كانت تكظم غيظها وتخفف من حدتها فى مواطن العفو والغفران . وتسدل ستار السكوت الرهيب على عوامل الشفقة والرحمة فى مواقف العقوبة والقصاص . وقد بلغ من شدة اقتصادها أن رميت بالبخل والتقتير غير أنها كانت تبدى فى ظروف عدة دلائل الكرم والسخاء . وكانت البلاد المجاورة لها كالعرب وأرمينا والفرس تخشى عداءها وتخطب من وقت لآخر ودها . وأضافت زنوبيا إلى ممتلكات زجها - التى كانت تمتد من نهر الفرات إلى بحر الأرخبيل - الأقاليم المصرية الغنية بتربتها الآ هلة بسكانها فاسترجعت بذلك تراثا ثمينا من تراث أجدادها واستحقت بعملها هذا احترام عاهل الرومان وتبجيله إياها على أن سلوك زنوبيا كان يشوبه بعض الابهام . إذ أنها جمعت بين عادات أمراء الرومان المألوفة وفخامة الملوك الأسيويين . وربت أولادها الثلاثة تربية لاتينية . وكثيرا ماعرضتهم على جيوشها فى الوشاح الأرجوانى الامبراطورى شأن ملوك الرومان . فى حين أنها حفظت لنفسها تاج الملك مع لقب «ملكة الشرق» العظيم

ولقد كانت زنوبيا تفقد صيتها الذائع وشهرتها الواسعة لو تقاعدت فسمحت لامبراطور الغرب بأن يقترب مائة ميل من حاضرة ملكها، على أن حظ الشرق كان قد تقرر فى واقعتين : أولاهما قرب انطاكية وثانيتهما نت ملكة تدمر تثير حماسة رجالها بوجودها فى طليعتهم

وتبعث فيهم روح الأقدام بما كانت تبديه من ضروب الشجاعة و الفروسية، وكانت قوات زنوبيا العظيمة مؤلفة من نشابين وفرسان مدرعين بملابسهم الحديدية ، فلم يستطع فرسان أورليان الوقوف أمام هجماتها ففروا هاربين طوعا أو كرها وتبعهم التدمريون ، ثم عاد المتحاربون فاشتبكوا فى وقائع فردية تغلب فيها جنود الأمبراطور ورأت زنوبيا أنها لاتقدر أن تحشد جيشاً آخر لانضمام الأمم التي كانت خاضعة لها إلى لواء خصمها المنتصر وأنفذ الأمبراطور أحد قواده لغزو مصر . و كانت تدمر آخر ملجأ لزوجة أذينة فانسحبت إلى داخل جدرانها وأعدت العدة لأشد مقاومة ثم أعلنت فى شجاعة الأبطال أنها ستقرن آخر لحظة من أيام سؤددها وسلطانها بآخر نسمة من نسمات حياتها

و قصد الأمبراطور أورليان إلى تدمر فكان عرب الصحراء يهاجمونه من آن لآخر على غرة فسلبوا من جيشه كثيرا من المتاع والرجال ولكن هذا لم يثن من عزيمة الأمبراطور الذى كان يسير فى مقدمة قواته برباطة جأش على الرغم من إصابته بنشاب صوبه اليه أحد أعدائه . و إليك بعض ماقاله عن هذه الحرب :

«يذكر الرومان بامتهان هذه الحرب التى أشن غارتها على امرأة ولكنهم يجهلون حقيقة الزباء وقوتها، وأنه ليعسر عليهم أن يحصوا معداتها الحربية من أحجار وسهام أو يعدوا كل أنواع المقذوفات والمنجنيقات التى تحصن بها كل جزء من أسوار حاضرتها وإنهم ليصعب عليهم أن يدركوا هول الآلات الحربية التى تقذف النيران والسوائل المفرقعة الملتهبة على مهاجميها، أجل لقد شدد خوف الزباء من العقاب عزيمتها وأولاها شجاعة فائقة تدافع بها دفاع المستيئس المستميت، على أنى أعتمد فى قهرها واذلالها على مساعدة آلهة رومية الذين شملونا برعايتهم فى حروبنا السابقة »

غير أن العاهل — على الرغم من اعتقاده فى معونة آلهته عرض على الملكة شروطا حسنة للتسليم سمح فيها لها بتقهقر شريف ، ووعد بأن يمتع رعاياها بجميع امتيازاتهم القديمة. ولكن الزباء أصرت على رفض شروطه وقرنت رفضها بالازدراء والاحتقار

اجتياز الصحراء قافلين . ويشجعها عليه اعتقادها - بحق - ان ملوك الشرق وخاصة ملك العجم سيقفون مدافعين عن حليفتهم الطبيعية، غير أن حظ اورليان ومثابرته تغلبا على كل عقبة في سبيله . إذ اتفق أن توفى (سابور) شاه العجم فى هذا الوقت فارتبكت أحوال الفرس وبدد الامبراطور الجيوش الفارسية التى كانت معدة لنجدة تدمر أو اشترى ذمم قوادها . كما أنه عاد إلى صفوف الرومان ذلك الجيش الذى كان قد وجه لغزو مصر بعد أن نجح فى استرجاعها الى لواء الامبراطورية، فتضاعف به عددها وزادت قوتها وقوى بطشها . كل هذا حمل الزباء على الفرار من وجه خصمها فامتطت أجود هجانها . وما كادت تصل به الى شاطىء الفرات - على بعد ستة أميال من تدمر - حتى لحق بها فرسان الامبراطور وألقوا القبض عليها وأرجعوها أسيرة بين يديه . وسرعان ما سلمت حاجزتها بعد ذلك . ولكنها عوملت بسخاء لم يكن منتظرا ودخلت فى حوزة الامبراطور جميع أسلحة تدمر وخيلها وإبلها وكل ما فيها من خزائن الذهب والفضة والحرير وكنوز الأحجار الكريمة . ثم ترك الامبراطور فى تدمر حرسا من ستمائة نشاب وعاد الى أماسيه حيث أخذ فى توزيع المكافآت وانزال العقوبات بعد تلك الحرب الضروس التاريخية

وحين مثلت الزباء بين يدى العاهل وسألها مؤنباً ، كيف اجترأت على حمل السلاح فى وجه ملوك الرومان ، كان جوابها أنها تأنف أن تقيم وزنا لامثال « اريولاس » و « جاليناس » ولكنها فى الوقت نفسه لايسعها الا أن تعترف بأنها أسيرته وخاضعة لحكمه . ولما كانت قدرة الاحتمال عند النساء غير طبيعية فانها قل أن تكون ثابتة قوية لذلك فارقت الزباء شجاعتها فى هذه الساعة الرهيبة وأخذت فرائصها ترتعد كلما صاح أحد الجنود طالبا اعدامها ، وسرعان ماغاب عن ذهنها سخاء كليوبطره - عند يأسها - تلك التى اتخذتها مثالا تحتذى حذوه - وسرعان مادفعت لحياتها ثمنا غاليا من عظيم شهرتها وأرواح أصدقائها فنسبت الى مشورتهم وأثرها فى نفسها الضعيفة جريمة مقاومتها العنيفة، وصبت على رءوسهم جام غضب أورليان العاتى وأنزلت على هاماتهم شر انتقامه القاسى

وما كاد أوريليان يجتاز المضيق الواقع بين آسيا وأوربا حتى علم أن التدمريين قتلوا الحاكم وأعدموا الحراس الذين تركهم خلفه . وأنهم رفعوا راية العصيان وشقوا

عصا الطاعة فولى وجهه شطرهم على الفور وأنزل بالمدينة التعسة أشد صنوف العقاب. فاستحال ذلك المركز الكبير — مركز التجارة الواسعة والفنون الجميلة . مركز الزباء العظيمة — الى بلد صغير لحصن مجرد عن وسائل الدفاع فقرية حقيرة . وأصبحت مساكن الثلاثين أو الأربعين أسرة الباقية من سكان تدمر عبارة عن أكواخ من الطين داخل سور أحد معابدها القديمة الفخمة.

* * *

ولم يبق بعد ذلك أمام أورليان ذى العزيمة الحديدية الا أن يقمع فتنة فى وادى النيل أثارها أحد الخارجين عليه أيام ثورة تدمر . وكان هذا يدعى المسمى فرماس (Firmus) يفخر بصداقته لاذينه وزنوبيا وكان تاجرا مصريا ثريا نشأت بسبب تجارته مع الهند صلات وثيقة بينه وبين العرب وقبائل البلة القاطنين على جانبى البحر الأحمر وصعيد مصر. وقدمنى «فرماس» المصريين بنيل حريتهم فاذكى فى نفوسهم نيران الثورة . ثم سار على رأس جموعهم المتحمسة حتى دخل مدينة الأسكندرية حيث ارتدى الوشاح الأرجوانى الامبراطورى وصك النقود باسمه وأصدر اللوائح والقوانين ونظم جيشا عظيما زعم أنه يستطيع الانفاق عليه من تجارة الورق التى كان يحترفها ، ولكن هذا الجيش لم يكن يصلح للدفاع أمام أورليان فانهزم «فرماس» ووقع أسيرا فى قبضة أعدائه الذين شدوا وثاقه على آلات التعذيب الجهنمية حتى فارقته الحياة، وحق لأورليان بعد هذا أن يهنئ مجلس الشيوخ ويهنئ الشعب ويهنئ نفسه بأنه وطد دعائم السكينة والنظام فى أرجاء العالم الرومانى فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات

* * *

ولم يكن بين القواد الرومان من هو أحق من أورليان بالفخار والحفاوة . ولم تشهد روما — منذ نشأتها — استقبالا أفخر وأبهى من استقبال هذا البطل العظيم: كان فى مقدمة الموكب عشرون فيلا وأربعة نمرة ملكية وما ينيف على مائتى حيوان غريب من الأقطار الشمالية والشرقية والجنوبية، وكان يتبع هؤلاء كنوز آسيا وخزائن مملكة الشام. ثم سار ممثلو الممالك القاصية كاثيوبيا والعرب والفرس وتركستان والهند والصين، كل فى لباسه الثمين المزركش، فزادت بمشهدهم شهرة ملك الرومان ونفوذه ، وبعد هؤلاء عرضت

الهدايا التي قدمت الى الامبراطور، وكان أبهرها للعيون وأجذبها للالباب مجموعة من التيجان الذهبية. ثم جاء دور الأسرى العديدين من الأقاليم المختلفة فكانوا يسيرون مكرهين فى صفوف طويلة كل طائفة منها يميزها علمها. وكانت زنوبيا ملكة الشرق بين الأسرى الذين اتجهت اليهم الابصار وأشرأبت لرؤيتهم الاعناق، كان شخصها الجميل مكبلا بالأغلال العسجدية يكاد قوامها البديع الشبيه بغصن البان ينوء بعبء الاحجار الكريمة المحلاة بها ملابسها وهى تمشى على قدميها أمام مركبها الفخم الذى طالما تاقت نفسها الى الدخول به غالبة من أبواب روما، وكان خلف مركبها آخران، أحدهما لاذينه والثانى لملك العجم. أما مركب انتصار أورليان فكان يجره فى هذا الموكب أربعة ظباء يعقبه عظماء الشيوخ وكبار الشعب وقواد الجيش.

على أن أورليان عامل أسراه ومنافسيه معاملة رحيمة قل أن تصدر من الغازين الأقدمين فأمراؤه الذين اخفقوا فى الدفاع عن عروشهم أو حريتهم شنقوا غالبا فى السجون عقب احتفال الحفاوة بمقدم الأمبراطور والمغتصبون الذين غلبوا على أمرهم بسبب خيانة أحد إتباعهم عفا عنهم وسمح لهم بعيشة رغدة وحياة هادئة طيبة أما زنوبيا فقد وهبها الأمبراطور قصرا بديعاً فى «تيفولى» على بعد نحو عشرين ميلا من الحاضرة الرومانية حيث تمتعت بحياة سعيدة راضية وزوجت بناتها من أسرات نبيلة و ظلت شجرة ذريتها باسقة الأغصان حتى القرن الخامس بعد الميلاد

احمد ابراهيم

مدير التعليم بأسيوط

(العصور) نشكر للاستاذ المربى الكبير أحمد بك ابراهيم موافاته لنا بهذا المقال التاريخى المفيد، وبهذه المناسبة نذكر أن زميلتنا مجلة (الاخاء) نشرت فى عددى مايو ويونيو مقالا ممتعاً للاستاذ على محمد البحراوى نقد به الاوبرا الرائعة (الزباء) التى نظمها الأستاذ الكبير الدكتور أبو شادى، وأصدرتها المطبعة السلفية بالقاهرة منذ سنتين

نظرات في تاريخ الاسلام

للعلامة دوزى مترجمة بقلم الاستاذ كامل كيلانى

« وأشترط على نفسى أن لا أتعرض لذكر ما أعتمده ، فيما أجده مخالفاً لما أعتقده فان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد »

« فخر الدين الرازى »

(٢)

زد على ذلك أن الاسلام – وان لم يلق معارضة قوية أثناء فتوحاته المتوالية المظفرة – فان سراة مكة وطبقة الأرستقراطية العربية لم يغفروا لأصحاب هذا الدين الجديد ومؤسسيه هذا الفوز الذى أحرزوه ، ولم يرضوا عن ذلك السلطان الذى أراد الموحدون أن يبسطوا ظله عليهم .

ولقد كانت تقوم المنازعات والشغب على مسألة من المسائل ظاهر أمرها أنها شخصية لا علاقة لها بمبدأ أو عقيدة ، وهى فى حقيقتها وجوهرها غير ذلك فقد كان يتخذ النزاع غرضاً يحوم حوله ومبدأ يناضل عنه ليتخذ منه تكأة يبرر بها غايته من الشغب .

وقد بدأ ذلك بحادث عثمان ، ثالث الخلفاء ، حين تولى الخلافة بعد وفاة عمر (٦٤٤م) وكانت سن عثمان حينئذ سبعين عاماً ، وكان حليما لين العريكة ، ضعيف الارادة أمام أسرته وأعيان مكة وسراتها ورجال بنى أمية . أى أنه كان ضعيف الارادة أمام كل من ناصبوا محمداً العداء عشرين عاماً ، فلما أسلموا كان فى اسلامهم مجال واسع للظنون

والحذر ،ولقدنالوابفضل « عثمان » أرفع المناصب وانتهت المأساةالكبرى بقتل المسلمين خليفتهم الشيخ المسن « عثمان »

ثم ولى الخلافةمن بعده «على »ابن عم « محمد » ولكن لم يتم الاعتراف به فى كل مكان ، فقدهبت سوريا متحمسة إلى امتشاق الحسام — وعلى رأسها واليها معاوية بن أبى سفيان. وكان انتصاره حينئذ انتصار جمهرة المعادين للاسلام ، الذين كانوا يناوئونه من صميم قلوبهم، على أن المسلمين حقاً لم يخضعوا لهم ،فقد أشعلوا نيران الحرب من جديد فى زمن « يزيد الأول » ابن معاوية الذى ولى الخلافة من بعده . ولقد قام « الحسين » وهو الابن الأصغر لعلى ، يطالب بالخلافة ، ولكنه صرع — وهو وفئته القليلة التي كانت تناصره فى موقعة كربلاء [1]

ومن ثم قام « عبد الله بن الزبير » — وهو ابن صحابى من صحابة الرسول — إلى مكة رافعاً علم الثورة ، وظل سنة كاملة لا يحفل به الخليفة . ولا يلتفت اليه استصغاراً لشأنه . ذلك أنه لم يغادر مكة إلى غيرها من البلدان فلم ير له الخليفة خطرا يستحق أن يناوئه من أجله . ورأى أن من الحزامة أن يتركه وشأنه ، حتى لا يثير عليه حفيظة المسلمين أكثر مما أثار من قبل بلا حاجة ، فلم تكن ثمة ضرورة قاهرة تضطره إلى اراقة الدماء فى بقاع كانت — حتى فى زمن الوثنية — حرماً مقدساً لا يمسه أحد بسوء .

ولكن لكل شىء حدا . فقد صبر يزيد حتى عيل صبره ، فلما لم يبق فى قوس الصبر منزع طلب إلى عبد الله بن الزبير — للمرة الأخيرة — أن يبايعه ، فلما رفض امتزج الخليفة بالغضب وأقسم أنه لن يقبل من هذا الثائر طاعة حتى يؤتى به بين يديه مكبلا بالأغلال . ولما هدأت ثائرة الخليفة ندم على قسمه — وكان طيب السريرة — ، ففكر فى وسيلة يبر بها فى قسمه دون أن يمس كبرياء « عبد الله » ، ثم استقر على أن

---

(١) وفى ذلك يقول الكميت :

يحلئن من ماء الفرات وظله حسينا ، ولم يشهر عليهم منصل
كأن حسينا والبهاليل حوله لأسيافهم ما يختلى المتبقل !

« المترجم »

يرسل اليه غـلا من الفضة ومعه حلة فاخرة ليخفيه تحتها اذا شاء ، وبعث اليه برسل يحملون معهم هدايا ثمينة ، فساروا من مقر ملكه « دمشق » حتى بلغوا « مكة » ولكن عبد الله رفض — بطبعه — أن يقبل تلك الهدايا ، وعبثاً حاول الرسل أن يتوصلوا إلى اقناعه وازاله عن رأيه . فقد أصر « عبد الله » على عناده لأنه كان يعتقد أن كائناً من كان لن يفكر — بحال ما — أن يلجأ إلى العنف والشدة معه وهو فى تلك البقاع المقدسة . وكان هذا سر طمأنينته، وقد أكد له الرسل بصراحة أن الخليفة لن يعنف معه ولن يقدم على مثل ذلك العمل .

على أن « عبد الله » لم يكن أول من تعرض لغضب الخليفة ونقمته ، فقد سبقه إلى ذلك ثوار « المدينة » . وكانت روح الشر مهيمنة عليهم فى ذلك الحين ، فقد وقعت بينهم وبين الوالى — حينئذ — خصومة بسبب النزاع على تملك بعض الأراضى ، وأراد الوالى إزالة أسباب الخلاف — وكان من ابناء خؤولة الخليفة يزيد — ، فنصح سراة المدينة وأعيانها أن يذهبوا إلى بلاط الخليفة ، فلما ذهبوا ، قابلهم الخليفة أحسن مقابلة وأكرم وفادتهم وتلطف معهم رغبة فى أن يستميلهم اليه ، ولكن يزيد كان — رغم أدبه ونبله — غير مشبع بروح احترام الدين الذى كان يمثله وهو خليفة المسلمين الأعظم فبدرت منه آراء — عن غير قصد — صدمت بعض أصول الدين التى يقدسها أهل المدينة، فلما عادوا إلى بلادهم عادوا ساخطين وأخذوا يشهرون بالخليفة ويذمونه عند مواطنيهم متأثرين بعامل الغضب ، فقالوا لهم — : « انه يشرب الخمور ويعزف على الأوتار ويصرف نهاره بين كلاب الصيد (وقد كان محمد يمقت ذلك أشد المقت) فاذا جن الليل جلس بين اللصوص وقطاع الطرق» — يعنون بذلك البدو والأعراب الذين نشأ بينهم يزيد وترعرع فلما كبر أدناهم من مجالسه

وزادوا على ذلك أنه لايصلى قط وأنه جاحد ، وعزوا إليه فوق هـذه التهم التى بنوها على أساس — واه أو متين — تهما أخرى لا أساس لها ولا وجود، وإن كان ذكرها مما يثير فى نفس خصومه من أهل المدينة حفائظ وأحقادا بعيدة الأثر وكانوا يميلون إلى تصديق كل تهمة تلصق بكل أموى

ومن ثم انقلب المسجد مسرحاً عجيبا تصب فيه اللعنات على يزيد وأتباع يزيد

واجتمع أهل المدينة قاطبة وهم صاخبون فشرع كل واحد منهم يتجرد من شيء من ملابسه فيلقى به صائحا — :

« إنى أخلع يزيد كما أخلع قبائى هذا»

أو « عمامتى »

او « نعلى »

ثم طردوا كل من فى المدينة من الأمويين ووقفوا عن تعيين خليفة جديد لهم فقد كان القرشيون الذين فى المدينة لايحبون أن يعترفوا بأهلها ، كما كان أهلها كذلك لايحبون أن يعترفوا بهم

فقر رأيهم على أن يتريثوا فى تعيين الخليفة حتى يتم خلع يزيد !

واستحوز عليهم عداء جنونى لايحدوه رشد فلم يتبصروا ، عواقب هذا الاندفاع وكيف تقف مدينة واحدة أمام جيوش الأمبراطورية الاسلامية العظيمة كلها

ولقد حاول عبثاً أحد المدنيين — وكان قد عاش فى بلاط الخليفة ، ثم أوفده سيده إلى المدينة ـ أن يبين حقيقة الخطر لمواطنيه فقد أعماهم الغضب فأصبحوا لايعيرون الناصحين التفاتا ولايصيخون إلى أية موعظة تقدم إليهم بحسن نية

***

وحينئذ رأى الخليفة أنه مضطر إلى الالتجاء إلى القوة فأرسل إليهم جيشاً عهد بقيادته إلى « مسلم» — وكان «مسلم » أقرب إلى الوثنية منه إلى الاسلام — فأمره أن يترك لأهل المدينة ثلاثة أيام يفكرون فيها، فاذا أبوا أن يخضعوا ـ بعد ذلك — هاجمهم ودمر مدينتهم تدميرا فى ثلاثة ايام أخرى، ثم ليأخذ على من فيها المواثيق بأنهم عبيد يزيد وليقسموا على ذلك فاذا رفض أحدهم أن يفعل قطعت رقبته

ولم يكد يبلغ أهل المدينة رسالته حتى هبوا ثائرين أنفة من الخضوع وأعدوا عدتهم للقاء العدو وجاهد الفريقان بشدة وصبر نادرين (وكانت موقعة الحرة سنة ٦٨٣ م) وظهرت الخسائر من الفريقين متكافئة، وكان أهل المدينة متحمسين تذكى فيهم الحرارة والقوة تعصبهم الشديد واعتقادهم الثابت أنهم المختارون وأن أعداءهم ـ من جيش سوريا ـ هم عند الله كالوثنيين سواء بسواء ، وكانوا على يقين

من أن خصومهم إذا ماتوا صبت عليهم اللعنات وباؤا بغضب من الله ، أمامهم فانهم سالكون - بلا شك - مسالك الشهداء والأبرار

وبقى مصير الحرب معلقا فى كف الأقدار زمناً طويلا حتى كشفت الخيانة عنه، فقد ارتشت أسرة من المدنيين ففتحت أحد أبواب المدينة لفرقة من جيش العدو ، فدخل السوريون وسمع أهل المدينة من خلفهم فجأة صيحات النصر من أفواه السوريين،فضاع كل أمل لديهم فى الفوز والغلبة، وأصبحت المدينة فى قبضة العدو وصار كل هجوم عبثا ومستحيلا، على أن جمهرتهم لم تفكر فى الخطر المحدق بها فهجم أهل المدينة على أعدائهم فرادى وباعوا حياتهم بأغلى ثمن استطاعوا أن يبيعوها به!

وكان من بين القتلى سبعمائة من حفظة القرآن وأربعة وعشرون من الصحابة، ولم يكن أحد من الصحابة الذين حاربوا مع النبى قد حارب بعد أن نصروه فى حرب بدر على المكيين ، حتى شهدوا هذا اليوم المشئوم

ودخل « المدينة » فرسان سوريا فلما لم يجدوا مكانا يربطون فيه خيلهم ربطوها فى مسجد المدينة بين جدث النبى وكرسيه، أى فى نفس المكان الذى طالما سماه النبى نفسه جنة من جنان الفردوس

ثم نهبوا المدينة فى ثلاثة أيام وسبوا كل من فيها من نساء وأطفال . ولم ينج أحد ممن بقى من أهلها— فقد فر أكثرهم — الا بعد أن أقسم أن يكون عبدا من عبيد يزيد وهكذا أقسموا جميعا على أن يكون الخليفة سيدهم ومولاهم وأن يكون فى حل من التصرف فيهم بما شاء من عتق أو بيع ، كما أقسموا أن يكون له الحق فى كل ماتملك أيمانهم من نساء وأولاد وأرواح

ولما رأى أبناء مؤسسى الاسلام أنهم مضطهدون معذبون وأن بنى أمية قد أرهقوهم إرهاقا ، لم يجدوا أمامهم وسيلة غير المهاجرة ، فهاجر الكثيرون منهم إلى حيث انضموا الى جيش افريقيا ، وقد انضم أغلبهم — فيما بعد — الى جيش العرب فى أسبانيا .

وكان «مسلم» مكلفا أيضا بأخضاع مكة، ولكن الموت عاقه عن تحقيق إربته : فأخذ « الحسين» (وهو احد رجال جيشه) على نفسه أن يحقق ذلك ، فتولى قيادة الجيش

بدأ يحاصر مكة و يقذف الكعبة بالحجارة والصخور حتى حطم عمدها وقواعدها ثم نجح أخيرا فى احراقها جملة، و لقى الحجر الاسود فى هذه المرة أول نكبة حاقت به لأنه لم يطق مقاومة النار فتحطم أربعة أجزاء :

***

على أن مكة لم يتم اخضاعها ، فقد حال دون ذلك موت يزيد و ما أعقبه من الفوضى التى اضطرت الجيش الى رفع الحصار و الرجوع بالجيش توا الى سوريا وبهذا استعاد «عبد الله بن الزبير» قوته واستتب له أمر الخلافة فى مكة و خارجها أيضا

ولكن الأمويين مالبثوا أن تم لهم الامر من جديد بعد أن تولى الخلافة «عبد الملك» : وخضعت البلاد كلها ولم تبق الا مكة وحدها ثائرة وفيها عبد الله بن الزبير، فلما رأى «عبد الملك» ذلك وجه اليها جيشا بقيادة الحجاج ، فذهب الى تلك البقاع المقدسة ، وحاصر المدينة و طفق يرمى الكعبة بالصخور والحجارة ليدكها دكا و بينما كان يقذفها بالنار - ذات يوم - هبت عاصفة شديدة فأحرقت النار اثني عشر جنديا فرأى الجيش فى ذلك عقاباً من الله على انتهاك حرمة ذلك المكان المقدس . فأحجم رجال الحجاج وكفوا عن ذلك

فاغتاظ الحجاج وخلع بعض ملابسه و تقدم الى المنجنيق فأخذ بيده حجراً ووضعه فيه ، ثم حرك حباله بعد ذلك وهو يقول - : «لقد أخطأتم الفهم ، فليس معنى ماحدث هو مافهمتموه. ألا إننى لخبير بطبيعة هذه البلاد ففيها ولدت وقد رأيت لهذه العاصفة أشباها لايحصى لها عد !»

وظل يشدد الحصار عليها بقوة عدة أشهر ، ثم أخذت المدينة بعد أن مات عبد الله بن الزبير (١) سنة ٩٦٢ م.

« للكلام بقية »

---

(١) مصرع عبد الله بن الزبير

(١٧ جمادى الاولى سنة ٧٣ هـ)

جمع القرشيين فى الليلة التى قتل فى صبيحتها فقال لهم : « ماترون ؟ »، فقال رجل منهم : « والله لقد قاتلنا معك حتى مانجد مقاتلا

والله لئن صبرنا معك مانزيد على أن نموت معك إنما هو إحدى خصلتين

إما أن تأذن لنا فنأخذ الامان لأنفسنا ولك ،وأما أن تأذن لنا فنخرج »

فقال عبد الله :

« قد كنت عاهدت الله أن لايبايعنى أحد ، فأقيله بيعته » فقال رجل آخر :

« اكتب الى عبد الملك

فأجابه :

كنت أكتب اليه : « من عبد الله أمير المؤمنين »

فوالله لايقبل هذا منى أبدا

أو أكتب اليه: « لعبد الملك أمير المؤمنين ، من عبد الله بن الزبير»

فو الله لأن تقع الخضراء على الغبراء ،أحب الى من ذلك»

* * *

قال عروة أخوه :

« ياأمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة »

فقال له : « من هو أسوتى »

قال« الحسن بن على بن أبى طالب ، خلع نفسه وبايع معاوية »

قالوا: فرفع رجله وضرب «عروة » حتى القاه ،ثم قال :

ياعروة! قلبى اذن مثل قلبك ، والله لو قبلت ماتقولون ، ماعشت الا قليلا وقد أخذت الدنية ، وماضربة بسيف إلا مثل ضربة بسوط ، لاأقبل شيئاً مما تقولون !»

فلماأصبح دخل على بعض نسائه ، فقال :

« اصنعى لى طعاما»

فصنعت له كبدا وسناما

فأخذ منها لقمة ، فلاكها ساعة ، ثم لم يسفها ، فرماها وقال : اسقونى لبنا

فأتى بلبن فشرب ثم قال : « صبرا ،على غسلا»

قالوا : فاغتسل ثم تحنط وتطيب

ثم تقلد سيفه ، وخرج وهو يقول .

ولا ألين بغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضع الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق «وهى عمياء من الكبر، قد بلغت من السن مائة سنة»، قالوا «فدخل عليها وسلم، فقالت! من هذا فقال «عبد الله» ثم قال «ماترين! قد خذلنى الناس، وخذلنى أهل بيتى» فقالت

«يابنى! لايلعبن بك صبيان بنى أمية، عش كريماومت كريما» فقال» :ان الحجاج قد أمننى»

قالت «يابنى! لاترض الدنية، فان الموت لابد منه»

قال: «إنى أخاف أن يمثل بى»

قالت: «ان الكبش اذا ذبح لايؤلمه السلخ»

قالوا: «فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فهزمهم وهو يقول:

«ويل امه فتح لو كان له رجال»

فجعل الحجاج يناديه

«قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم»

قالوا:

فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشى فأصاب قفاه فسقط»

فما درى أهل الشام أنه هو حتى سمعوا جارية تبكى وتقول «وا أمير المؤمنين» فاحتزوا رأسه فجاؤا به إلى الحجاج ثم بعث به إلى عبد الملك.

قالوا: وكان الحجاج قد رأى فى منامه كأنه يسلخ عبد الله بن الزبير فلما قص ذلك على عبد الملك بن مروان قال له عبد الملك «أنت له فاخرج اليه» «المترجم»

الوعظ الكاذب



قصة الباز واللقلق

قنصَ البازُ قُنبُرهْ   وعلا البِشرُ منظرهْ
فانبرى لَقلقٌ لهُ   ورمى الباز بالشَّرَهْ
قال : « أطلِقْ سراحها   تأت برا ومأثره
صوتها ساحر ، فلا   تحرم الناس مصدَرَهْ
ضَعفها ظاهر ، وفيـ   ـك صِيالٌ ومقدَره
فاحبُها نعمة الحيا   ة جميلا فتشكُرَهْ »

***

هزئَ البازُ قائلا :   « سيِّدى ! ألف معذره !
غير أنى تريبنِي   فعلةٌ منك مُنكَره
ضِفدَع بين مِخلبيـ   ـك تَزجيِّهِ كالكُره

ضَعفهُ ظاهر ، وفيـ ـك صِيالٌ ومَقدرَه
فاحبُهُ نعمةَ الحيا ة جميلا فيشكرهْ»
«إنّ للخير إن أردْ تَ طريقا مُيَسَّرَهْ
فافعلِ الخير بادئاً ثمّ لُمني على الشَّرهْ»

***

كم خطيبٍ على المكا رم قدْ حثّ معْشَرَه
إن رأى نا كباً عن الخيـ ـر لحَاهُ وعَيَّرَهْ
هَنواتُ الورَى يرا ها ذنوباً مكبرة
ثمّ يُلفِى ذنوبه هَنَواتٍ مُصغرهْ
مثل هذا منُافقٌ جعلَ النصحَ متْجره
نصحهُ كلّه خدا عٌ وغشٌّ وثرثرهْ

كامل كيلانى

مضى الأمس

أأذكر — والدُّنيا أمامى مأتمٌ — ليالىَّ والدنيا منًى وبشائرُ
وهبنى ذكرتُ الراح — والسمُّ فى فمى — أيُغنى عن التبريح ما أنا ذاكرُ؟
مضي الأمس بالقلب الذى يرتجى المنى وعُوِّضتُ قلبا ، كل مافيه فاترُ
ســواءٌ لديه خيرُه وضِراره فلا هو بالشاكى ، ولا هو شاكر
وإن غدا لوزف — فيما يزفه — ألذ وأشهى ما يرجيه خاطر
لأعجزُ أن يُهدى إلى القلب سَلوة مَضَتْ ورَجاءً خيبّته المقادرُ

عبدالله عبدالعزيز

على فراش الموت

On The Death Bed

للشاعر الانجليزى «هود» "Hood"

شاهدتُها — والليل ساد سُكونهُ وسَجا — تُرَدّدُ آخر الزّفراتِ
نفسٌ ضعيف هادىءٌ، وبصدرها لَجُجُ الحياةِ شديدةُ النزعات

***

أصواتُنا خفتتْ، فهمْسٌ قولُنا، وسَرى السُّكُونُ وخفّت الأقدامُ
لَوَدِدْت لو أعطِى لها قُوّتى نصفاً، لترجعها لنا الأيّامُ

***

أمل يكذّب خوفَنا، ومخاوفٌ تطْغى على الآمال فى ثورانها
يا طالما نامت، فخلناها قضَتْ وقضت فخلناها النوم فى أجفانها

***

الصبح أقبل، والقلوب حزينةٌ والجو مُعْتمٌ تسح هوامره
وهنا انتهت أيّامُها، وتبدّلتْ صبْحا يبُاين صبْحَنا ويغايره

سيد ابراهيم

التعاون طبيعة في الخليقة

بقلم الأستاذ العالم الجليل

محمود خاطر بك مدير التعاون فى وزارة الزراعة

من الأقوال البالغة المأثورة « أن الانسان مدنى بالطبع » يعنى أنه « اجتماعى بالطبع » والاجتماع لاينتظم إلابالتآزر والتعاون فهو لذلك « تعاونى بالطبع » وليس من الصعب أن أذكر لك المثل بعد المثل فى التدليل على ذلك ولكن الصعب أن أهتدى إلى مثل واحد أدلل به على وجود كائن فى الخلق غير مفتقر ألى سواه

روى أحد الفرنسيين فى تعريفه فضل التعاون أن زارعا جاءه فى منامه مغضبا وقال له: لن أزرع لك بعد اليوم فخذ أنت المحراث وهيىء به غداءك . وجاء النساج قائلا له : لن أنسج لك بعد اليوم فاعمل وحدك ماتريده لنفسك من لباس وجاء البناء يقول له . لن أبنى لك بعد اليوم مسكناً فأعده أنت وحدك . وجاءه كذلك كل من فى هذا المعنى ويزيد فاستيقظ الرجل مذعوراً من هول ما رأى ولكنه حين أبصر كل شىء حوله مستقرا فى نصابه حمد الله وزال ما كان قد اعتراه من الروع فى عالم الرؤيا .

وقرأنا فى كتب الطفولة حكاية الوالد المحتضر يضرب لأولاده مثل العصى المجتمعة لايقوى على كسرها أحد فاذا ماتفرقت سهل على كل إنسان كسرها واحدة بعد أخرى. كما قرأنا حكاية الرجل الأعمى يحمل المقعد فيتولى المقعد إرشاد الأعمى إلى الطريق متعاونين بذلك على تيسير أسباب العيش لهما بعد أن كان كل منهما بمفرده عاجزاً عنها . إن كل فرد منافى ذاته مثل ناطق من أمثلة التعاون الصحيح . أليست الروح تدب فى الجسد فتكون ثمة حياة بتعاونهما معافاذا افترقا وبطل مابينما من تعاون مشترك زالت تلك الحياة وزال أثرها .

وهذا الجسم الانسانى لو تاملته وجدته ينطوى على أمثلة من التعاون عدة فكم من عامل فيه يتعاون على إمداده بالقوة و تمكينه من البقاء .

ولست أقف بك إلى تعاون الجسم الانسانى فى تركيبه بل أذهب بك إلى فضيلة التعاون

فى الحيوان و النبات وتكون العناصر فهى كلها شاهدة بضرورتهفىالوجود.

انظر إلى جماعة النمل كيف تتعاو ن على بناء مساكنها لزمان الشتاء وكيفه انهـا تجمع إلى هذه المساكن من القوت مايكفيها طوال أيامة و أنها لم تؤثر ولم ترض أن ينفرد كل وحد منها بشأنه فى ذلك . و انظر إلى جماعةالنحل كيف تعطيك فى تعاونها من عسلها الشهى مالا تسطيعه الواحدة منها إذا عملت لحاجتك فى معزل عن جماعتها . فأنت أينما اتجهت وحيثما حللت لا تجد لهذه المخلوقات إلا الجماعات تلو الجماعات تعمل فى تعاون .

وتكون الحديقة تبهر النظر وتؤتى أطيب الثمر لايكون إلا بتعاون الشجرة مع الشجرة و لحيلة مع الخميلة كما تتعاون سنابل القمح على هيئة محصوله الوفيروكما يتعاون الزراع و الدراس و الدراس والعجان و الخباز على تجهيز أرغفة الخبزلغذائنا بعد أن تعاو ون قبلهم الصناع على إعداد محراثهم ونورجهم ومطحنهم و ما إلى ذلك مما هو فى حقيقته سلسلة من التعاون حلقاتها متصل بعضها ببعض.

وتلك هى القطرات من الماء التى تمطرها السماء رذاذا أتظن القطرة الواحدة منها تفعل مايفعله بمجموعها فى انحداره بالاودية وجريانه بالانهر فينعم به الانسان والحيوان ويحى ميت الارض .

و فى أشعة الشمس عبرة كبرى للتعاون فانها وهى منثورة فى الافق لاتفعل فعلها إذا ما تجمعت بقوة العلم لتدير مختلف العدد وتشفي عاصى العلل .

و المقال الذى تقرؤه الآن ألم يتعاون فى سبيله كاتبه و مصححه و جامع حروفه و طابعه بعد أن تعاونفيه قبلهم كثيرون ممن أعدوالهم آلات الطباعة وصنع الورق .

و داك التراث التعاونى الذى نتغنى به فى كل ناحية والذى ندعوذ اليه من كل جانب كم امة وكم جيل تعاونوا على إظهاره لنا فى أنظمته الحاضرة .

وفى الكتاب الكريم : وتعاونوعلى البروالتقوى و لاتعاونواعلى الأثم و العدوان).

و فى الحديث الشريف : «الله فى عون العبد ما كان العبدفىعون أخيه» : وفى مأثور القول عن سيدنا على بن أبى طالب : «الناس بخير ماتعاونوا» .

التحنيط عند قدماء المصريين

-٢-

لقد وقفنا فى العدد الماضى عندقولنا:أنهم يلفون الميت فى اقمشة من الكتان الرفيع .

والآن تقول أن هذا الكتان لابد ان يكون مدهونا بالصمغ أو بالمواد الغروية بعد وضع طلسم مرسوم عليه عين المعبود (هور) دلالة على المحافظة . وتكون إما من المعادن ، أو الاحجار الكريمة ، أو من الخزف . ثم تلبس الجثة خاتما فى أحد الأصابع له فص بشكل الجعران . ثم يوضع جعران آخر مجنح على صدره من الأحجار الثمينة و يربط بقلادة من الذهب . وهذا رمز للمعبود خپرا (الشمس) وأيضا طلسم من الذهب يرسم عليه اسمه وغير ذلك . ثم يعرض عن محجر العينين بحجر زجاجى بلورى . ثم يملأ الأنف والفم بقطع الكتان المدهونة بالطيب وممزوجة بالعقاقير العطرية السابق ذكرها . وبعد كل هذا يشرعون فى تقميط الجثة كل عضو على حدة أولا ، مع رسم المعبود الحافظ لهذا العضو على اللفافة . وكتابة فصول كتابية مقدسة مع تلاوة الفاظ القديس و الدعاء لهذا المعبود للاستعانة به وفى أثناء ذلك تقدم الكهنة ذو الرتبة العالية والوسطى أدعية وصلوات وتقديسات للآلهة اجماليا التى عليها حفظ الأنسان . وبعد هذا التقميط تقمط ثانية وثالثة بلفائف عرضها شبر تقريبا . وبين كل قماط يفرش من مسحوق العقاقير والطيب طبقات طبقات بين كل لفة و الأخرى . ثم توضع الأوراق البردية والملفات الكتابية بين أرجله وفى جوانبه وبها اسمه ولقبه وأسرته وتاريخه واحواله وادعيته للآلهة وما شاكل ذلك . و يوضع فوق الرجلين وتحتها و بينهما وسائد من الكتان لعدم كسرها عند وقوف الجثة عليهما ، تلف رابعة وخامسة الى أن تبلغ نحو الألف ذراع مع وضع الطيب والعقاقير واللفائف المخطوطة بفصول من كتابهم المقدس (السير فى النور) مع وضع الأحجبة الأخرى فى العنق كالاستحوازة او العروة المصنوعة من العقيق الأحمر التى ترمز الى دم الألهة ازيس .

و العقاب الذى يرمز الى حمايتها . والطوق الذهب والكردان الذى يرمز الى تجدد الحياة .

والصليب علامة الحياة . والعين علامة . الصحة . والضفدع علامة الكثرة والنمو وتجديد الحياة . ورأس الأفعى علامة الملك والاقتدار على فتح الفم والعينين فى الهاوية.

وبعد ذلك توضع الجثة داخل غلاف ثخين من الكتان المدهون ويوضع هذا داخل آخر أيضا وتحزم بأربطة . وبذا يتم التقميط وبعده توضع الجثة داخل ثلاثة صناديق مخروطة على حسب قياس المتوفى — واحد داخل الآخر — مع وضع الزهور داخلها من البشنين والبردى و ما شاكل ذلك بعد كتابتها و حليها بالحليات الذهبية من الداخل والخارج مع حفظ رسم المتوفى على أوجه الصناديق التى تضع لهذا الغرض ثم يوضع هكذا الصندوق المثلث داخل تابوت مخصوص من الحجر منقوش عليه اسم المتوفى وألقابه مع أدعية للآلهة.

أما المصارين فبعد غسلها بخمر البلح كما مر بك سابقا ودهنها بالمراهم وبلها بالطيب والعقاقير و المواد الصمغية توضع فى أربعة قدور من الحجر او الخشب رمزا للأربعة آلهة الممثلة لجهات الأرض الأربع التى هى أربعة آلهة من آلهات (الهاوية) فالقدر الأول له رأس انسان وبه المعدة . والثانى له رأس قرد وبه الأمعاء .

والثالث له رأس ابن آوى وبه القلب .

والقدر الرابع له رأس (هور) وبه الكبد .

وبعد كل ذلك يعلن المحنطون أهل المتوفى بانتهاء العملية فيأتون باحتفال ويأخذون الجثة إما الى منزلهم لتوضع غرفة فى معدة لذلك وتحضر معهم الأفراح والولائم كأنها حية . أو تدفن بأجلال فى مقبرة الأسرة بعد اجراء الرسوم الشرعية والدينية .

عبدالمجيد سيد احمد

مرمى نظرية النسبية

إن الفلاسفة منذ أقدم العصور تعودوا أن يعرفوا الفضاء كشيء مستقل وأن كل تقدير للفسحة يرجع إلى قدر الكبر ، ولكن هذا الرأى قد تحور الآن لأن قدر الكبر ليس إلا قدراً مصطنعاً يظهر من حل المشكلة الآتية : لنفرض أن انساناً حلم فى منامه أن شيطاناً يلعب أمامه دوراً غريباً من شأنه أن يزيد حجم الكرة الأرضية ويوسع الكون ، أليس من المعقول أن يهزأ من هذا الحلم عندما يصحو من منامه ؟؟.

أن حالتنا قبل اعلان نظرية النسبية تشبه بوضعيتها حالة حلم هذا الرجل ، فامتارنا وقياساتنا مثلثة والغرفة التى نأكل بها تحتوى نفس عدد جمع القياسات الذى للمدينة ولكن هل كل هذه لها وقت واحد ؟ ؟ . لا . إذن فالوقت له مقامه وهو ماتكلم عنه آنيشتين وحدد به الفضاء من ناحية ميكانيكية صرفة ، فالكل يتغير من جراء هذا الوقت بدون أن نشعر ، والفضاء أظهر مظاهر هذا التغير .

إننا لو افترضنا ما كان قد افترضه بوانكاره من أن الفضاء كالزمان يمكن تمديده بدون نهاية كخيط من الكاوتشوك ، فان قدر الكبر الذى نقيسه يكون نسبياً والنسبة التى لاحظها علماء أواخر القرن الماضى ومنهم آنيشتين ، ليست وهمية لأن كل مانلاحظه يرجع إلى أهمية الزمان والمكان ، فجميع القياسات المطلوبة دفعة واحدة يحتوى دائماً تفصيل هذا الجمع فى الكبر المقدر ، وعندما يتفق اثنان على تحديد دقائق الوقت والزمان فى ساعتيهما يجدان معاً أن ساعة الوقت تحتوى على ٦٠ دقيقة ، ولكن آنيشتين يقول كيف حدد هذان وقت ساعتيهما ؟ . طبيعى فى مطابقة عقربى سطحيهما ، وهذا العمل سهل عند ماتكون كل ساعات الدنيا فى موضع واحد ، وفى هذه الحال تكون الساعة الأولى التى تحددت عليها بقية الساعات قد دقت الظهر تماماً بينما البقية لم تدق بعد ، مع أنها مطابقة لها فى الدقائق . فمن هذا ندخل فى باب بحث المطابقة « Simultaneité » لنرى سبب هذا الشذوذ .

عند ماتقع حادثة من الحوادث الفجائية كانطلاق شرارة كهربائية أو غيرها ، فان الوقت الذى تحدده الساعة يبين لنا وقت الحادثة ، والحادثة هنا هى الانطلاق الفجائى

فالانطلاق و وقت الساعة هما مظهر عقربى الساعة ومن هذا يظهر أن الحادثة التى هى الانطلاق الفجائى و وقت الساعة عملان متطابقان، وعندما تكون الحادثة لا علاقة لها بالساعة يكون حل المشكلة أبسط ، فاذا وقف إنسان فى وسط خط مستقيم ووقف آخران فى طرفى هذا الخط و أرسلا اليه نوراً ـ لا فى وقت واحد ـ فان ذاك الواقف فى الوسط يعرف من فرق الوقت عند ما يصل اليه النور ان وقت مصدره ليس متطابقاً، أما إذا وصل إليه فى وقت واحد ، فانه يتأكد من أن وقت مصدره واحد أيضاً لأن المسافة التى تفصل بينه و بين الواحد، هى نفسها التى تفصل بينه وبين الآخر .ولما كان النور يقطع المسافتين بسرعة واحدة فان وقت مصدره يكون واحداً إذا وصل إليه فى وقت واحد، و بالعكس إذا لم يصل إليه فى نفس الوقت . ولكى نوضح البحث نقول : أن رجلا واقف فى وسط خط مستقيم فى الموضع « م » حيث أن ـ أم ـ تعادل ـ ب م ـ فاذا وصل النور إلى هذا الرجل فى وقت واحد من الجهتين فانه يعرف أنه خرج فى وقت واحد، و إذن فهو مطابق بالمعادلة. ولكن لو وقف رجل آخر فى الموضع « م ا » أى فيما يقابل الواقف فى الموضع « م » حيث أن « م ا » هو الخط العمودى من « م » وكان عندهما آلة لقياس الزمان محددة تماماً ، فأن النور الذى يرسله اليهما الواقفان فى طرفى الخط يصل إلى الواقف فى الموضع « م » فى وقت يختلف عن الوقت الذى يصل به إلى الواقف فى الموضع « م ا » ، ومع هذا الاختلاف فان فى النهاية يتفقان على أن النور مطابق بالمعادلة وقت مصدره ،لانه إذا كان يقطع المسافة ـ ام ـ أو ـ ب م ـ فى ٤٠ ثانية ويقطع المسافة ـ ب م ا ـ أو ـ ام ا ـ فى ٥٠ ثانية فان الذى يكون فى الموضع ـ م ـ يصل إليه بوقت هو ٤٠ ثانية .ومن هذا يقول إنه مطابق بالمعادلة فى وقت مصدره ، والذى يكون فى الموضع ـ م ا ـ يصل إليه فى وقت هو ٥٠ ثانية ،ومن هذا نقول إنه مطابق بالمعادلة فى وقت مصدره أيضاً ، فاذا لم يرتكب الخطأ أحدهما أثناء قيامه بالعمل ،فانهما يكونان فى مظهر واحد من الوقت، ولكنهما يكونان فى حالة واحدة تريهما الحوادث فى وقت واحد . اذن يوجد من هذا مطابقة موضوعية (Objective) هى التى لا ترى أعمال الحوادث فيها فى وقت عملها ، ومطابقة

ذاتية (Subjective) مستقلة عن الحادثة نفسها.ولكنها خاضعة للحالة التى تعملها حيث انهاتظهر من الفسحة التى تقع فيها الحادثة . فاذا كانت المطابقة الموضوعية موجودة ولا نشك فيها حتى نظريا ، فنحن نرى بالعكس أن وضعية المطابقة الذاتية تنتج حالة مجردة ، وهذا أهم ما ترتكز عليه نظرية النسبية.اذ ان المطابقة الموضوعية لا قيمة لها تجاه المطابقة الذاتية ، والمطابقة الذاتية لا توجد اذا وجدت المطابقة الموضوعية كما أن الانسان واصله لا يجتمعان فى مكان و زمان واحد ،وقد يكون ايضا أن حادثتين تقعان فى وقت واحد وهما ليستا متطابقتين بالمعادلة الموضوعية من حيث أن عدم ادراك السر فى المطابقة الذاتية التى حدثت منذ وقت طويل يجعل الابهام يسود على المطابقة الموضوعية التى تنتج على الدوام حالات راجعة الى أصل المطابقة. و قد يسوغ لنا أن نقول من جراء هذا أن كل تصورات الانسان الماضية خرافية، وان الفلاسفة القدماء كانوا يفكرون كالأولاد وان رجلا هو نبى العلم جاء لكى يجدد معقولاتنا ويطرح جانبا كل ما عند البشر من الاعتقادات السخيفة. كاسرا الاصنام الغالية، التى ورثناها عن الاجداد. وهاتان الحادثتان تظهران من حل المشكلة الآتية :

بدل من أن يقف المرء فى الموضع «م» من العمل الذى شرحناه قبلا ليقف فى الموضع «د» من الشكل « ٤ » فى حالة تكون أقرب الى الموضع «ب» من الموضع «ا» ولنفرض أن النور يقطع المسافة «د ب» فى ٣٥ ثانية والمسافة «ا د» ٥٥ ثانية فاذا أشع النور من الجهتين — ا ،ب — فى وقت واحد فانه يصل الى الواقف فى الموضع «م» فى وقت يبلغ ٤٠ ثانية دائما،ولهذا انواقف فى هذا الموضع تكون المطابقة مطابقة موضوعية من حيث انها معلولة،وذاتية من حيث انها توصل النور اليه بذات الوقت، ولكن للواقف فى الموضع «د»يظهر الامر بالعكس لان الاشعاع الذي يصل اليه من الموضع «ب» يكون قد قطع من الوقت ما يبلغ ٣٥ ثانية بينما الذى يصل من ا لموضع «ا» يكون قد قطع ٥٥ثانية ،فعند هذا لا يوجد مطابقة ذاتية ،لانه لا يقدر أن يحقق من المطابقة الموضوعية مبلغ المساحة التى يقطعها النور من كل من الجهتين، ولهذا نقدر ان نقول أن حادثتين تعملان فى وقت واحد قد يمكن ألا تتعادلان فى المطابقة الموضوعية من حيث وضعية الانسان المحقق و بكلمة أصح ان حادثتين تعملان فى نقطتين مختلفتين

و بوقت واحد فى الفضاء ،لا يمكن ان تظهرا متعادلتين بالمطابقة لـكل الناس . هذه الملاحظة فى الظواهر الراجعة الى اشعاع النور الغير الفجائى لا تعدحديثة لان كل فلـكى يقدر أن يتحققها عند ما يتأمل فى السماء، فلو وجه نظره الى نجمة القطب يرى فى الحال ما أرسلته هذهالنجمة منذ سبع وأربعين سنة«ن» وقد تسير هذه النجمة مدة نصف قرن، ونحن أيضا بدون أن يتغير موضعها فى نظرنا، وهكذا لو نظرالى النسر الطائر الذى يصل الينا نوره فى مدة لا تقل عن ١٤ سنة«ن» فلو كنا فى موضع غير موضعنا الحالي فربما كنا نرى نجمة القطب والنسر الطائر فىحالتين مختلفتين امامن جهة الفضاء وإما الوقت . وقد لا يدرك البعضما نرمى اليه فى هذا المثل من التفريق بين الموضوعى والذاتى ولهذا نقول ! ان انساناواقف فىمحطة للسكة الحديدية وقطار سريع داخل الى هذه المحطة فلـكى ينبه السائق هذا الانسان فانهيصفر بشدة لـكى يهرب من طريقه وقد يكون من جراء شدة الصوت ان طبلة اذنه تتأثر وتدعه يظن ان صوت القطار يشبه صوت « لا » فى الموسيقى فكيف نعلل هذا ؟ ؟ .

اننا نسوق كل هذه الأمثال كيما نبين ان كل المحسوسات فى الكون ترجع الى الوقت والفضاء وأنها تسود عليها طائفة من النواميس المحدودة نقدر أن ندركها فيما لو تأملناها تأملا صحيحا . وما تكلمنا عنه من المطابقة الموضوعية للحادثات يوضح لنا مبلغ اهمية هذا البحث الذى سنتوصل منه الى معرفة اصل كل الظاهرات ومصدر كل هذه المحسوسات

لنضرب مثلا أخر . أثنان حددا وقت ساعتيهما وبقى واحد منهما فى مكانه بينما الآخرسار بسرعة عظيمة. فمن جراء السرعة هذه قد تغير وقت الساعتين اذ مع أن الذىسار إنما وقتساعته مطابق لوقتساعة رفيقه فان منذ أول ساعة يقطعها فى سيره إذا أراد أن يرى عن بعد وقت ساعة رفيقه يلاحظ فرقا بينه و بين وقت ساعته لأن صورةحالة وقت ساعة رفيقه يلزمها من الوقت كيماتصل اليهمايجعلها تختلف عنصورة حالةوقت ساعته القريبة منه ،أرجوالأنتباه جيدا إلى هذا البحث لانعليه يتوقف فهم

ناحية مهمه مننواحي نظرية النسبية، فلو كان يوجداشعاعفجائى فربما كان يرى صورة

حالة وقت ساعته رفيقه كماهى أى مطابقة لصورة حالة وقتساعته. إنمالكون الأشعاع

الحالى يسير مع الوقت فان الأختلاف بين وقت الساعتين واقع لامحالة فاذا أراد هذا السائر أن يحدد وقت ساعته من جديد حسب الصورة التى يراها لوقت ساعة رفيقه يكون قد سبق ساعته وأخر ساعة رفيقه من حيث لا يدرى. ولزيادة الايضاح نقول: إن اثنين واقفان أمام ساعة خطة من محطات سكة الحديد يحددان وقت ساعتيهما عليها والوقت هو الظهر وواحد من هذين الأثنين سار بعدما انتهيا من عملهما بسرعة تعادل عشر سرعة النور. فبعد مضى ساعة من الوقت يكون هذا الذى سار قد بلغ نقطة من الفضاء يصلها النور فى ست دقائق. فلو نظر هذا إلى وقت ساعة المحطة — ولنفرض أنه قدر أن يرى هذه الساعة — لرأى أن وقت هذه الساعة قد تأخر عن وقت ساعته ٦ دقائق. وهذا التأخير هو فرق الوقت الذى يقطعه النور كيما يصل اليه وهكذا لو نظر الى وقت ساعة رفيقه. مع أن التأخير لا يرجع للساعتين اللتين يراهما لفرق الوقت الذى يقطعه النور لايصال صورتى وقتيهما اليه. فلكى يرى هاتين الساعتين مطابقتين بوقتيهما لساعته عليه أن يؤخر وقت ساعته قليلا كلما خطا خطوة. ولكن هذا التأخير لا يكون من عمل الوقت بل من عمله هو. فوقت الساعة ذاته لا علاقة له بالتأخير. ثم لنفرض أن هذا السائر يسير بسرعة النور مع صورة وجه ساعة المحطة، أى عندما يتحرك عقرب هذه الساعة ثانية واحدة تكون صورته قد قطعت مسافة ١٨٦٠٠٠ كيلو متر مع هذا السائر، وبهذه الحالة يكون رائيا دائما ساعة سفره، أى ان الوقت هو الظهر اين كان فساعته هنا قد تكون العاشرة. بينما تلك لم تزل بنظره كما تركها. وقد يقطع من المسافات ملايين السنين النورية وصورة ساعة المحطة مازالت تتراأى له واقفة على الوقت الذى سافر به مع أنها تسير كساعته وتحدد الأوقات كما تحددها ساعته. ولكى نوضح البحث نقول لنفرض أن هذا السائر ترك الأرض بسرعة تبلغ عشرين جزءا من الألف من سرعة النور، فبعدما يقطع مسافة سنة يكون قد أضطر لقطع مسافة سنة أخرى كيما يصل الى الأرض راجعا من النقطة التى كان قد وصل اليها. وهذا الوقت قد حدده على موجب ساعته. ولكن عندما يصل الى الارض يرى أن أمر الوقت بخلاف ما تصور إذ أن الوقت الحقيقى هو ٢٠٠ سنة لان موقفه موقف نسبي تجاه الوقت. فهو يعترض قائلا: إن الوقت الحقيقى هو الذى حددته ساعتى؟؟ ولكن هنا يظهر سر المسألة فهو بابتعاده بسرعة عظيمة قد أضطر لتأخير ساعته بدون

أن يدرى، والاوقات التى كانت تحددها هذه الساعة لم تكن هى نفسها الاوقات التى تحددها ساعات سكان الارض. فهو فى اثناء سيره وتحديده الوقت لا يكون متفقا مع سكان الارض على ذات الوقت للزمان . وهذا سر الاختلاف . فلو أردنا أن نجعل الوقت واحدا فى الساعتين الساكنة والمتحركة ــ لوجب علينا أن نعرف ماهية الحركة، وما هذه الحركة؟ هى المشكلة القديمة فى النشاط الذى يبدو مرة بعد أخرى وينتهى دائمًا بفوره معادلا السرعة . وعندما يكون الأثنان سائرين بسرعة مختلفة فى جهات مختلفة أيضا فان ساعتيهما تحددان الوقت حسب سرعتهما ولا يمكن للواحد أن يعرف الآخر حقيقة الوقت عنده. فاذا وجد ملاحظان فى الكون مختلفان فى الموضع ، فانهما يحددان وقت ساعتيهما حسب تنوع الفسحة من جراء الاشعاع الذى يأتيهما و فى هذه الحالة لا يكونان قادرين على معرفة السكون لأن الأشعاع الذى عليه يحددان أوقاتهما يتطلب حركة، والحركة تتطلب فسحة والفسحة هى الحد الفاصل بينهما. فلو وجد ملاحظ واحد فقط فى موضع واحد، لما وجد فسحة واشعاعاً وزماناً ، لأن الفسحة والزمان من لوازم الاشعاع والاشعاع هو الحركة والحركة، سر النشاط الذى يظهر فى الكون فى أدق أجزائه وأعظمها .

هذا فيما يختص بالسرعة والابعاد ولكن الأمر المهم هو معرفة ــ الموجود أبداً ــ لأن على معرفته تتوقف معرفة كل الاشياء . نحن حول الارض والارض تدور حول الشمس ، والشمس تسير نحو النسر الواقع ، وكل النجوم تتحرك بحركة خاصة أسرع من حركتنا. وهكذا المجرة نفسها من حيث لا يوجد حولنا نقطة محدودة . فلم ترجع هذه الحركة ؟ ؟ . وكيف يقدر الفلكيون فى كل الكون على تحديد وقت الساعات بالنسبة إلى نقطة محدودة ، ومحور ساكن، واشعاع فجائى ؟ ؟ . هذا ما يجعلنا نتابع بحثنا فى كيفية المطابقة لكى نتوصل إلى حل هذه المشكلة .

أن جعل الوقت، من جملة قياساتنا أمر مهم من حيث أن « الحادث الفجائى » لا وجود له فى الكون، ولهذا فنحن مضطرون مع من ينظر الينا من سيار آخر لاتباع وقت نسبى دعاه لورنتز الوقت الموضوعى . ولما كانت سرعة النور هى الاساس الذى نبنى عليه قياساتنا من جهة الوقت والفراغ. فان نظرية النسبية ترمى إلى تعريف هذه السرعة كيما تكون واسطة لاظهار هذا السر .

كان «لورنتز» قد أعلن أن اقدار الكبر تزيد من جراء حركة الارض، وان هذه الزيادة تشمل أيضاً الوقت الموضوعي، ولكن مع هذا كان يعتقد بوجود وقت مستقل مجرد وأن الزيادة ليست سوى مظهر معلول من علة راجعة الى هذا الوقت وقد أثبتت نظرية النسبية اعتقاده هذا من حيث أن هذه الزيادة فى اقدار الكبر ترجع إلى نسبة السرعة بين ملاحظين سائرين. فلو وقف رجل فى الموضع — م ا — من الشكل «٤» أى ضمن عربة قطار سائر حيث أنه يتبع حركة مستقيمة محدودة متجهة الى الموضع - ب ا - وكان رجل آخر واقفاً فى الموضع — م — على الارض وهما على اتفاق فى أن حركة ميكانيكية ستطلق شرارتين كهربائيتين فى نفس الوقت عندما يمر القطار من الموضع - ١١ ا - وهكذا عند ما يمر من الموضع — ب ا — ولنفرض أن الموضعين - ١١ ا ب ا — ما زالا بعيدين عن مواجهة الموضعين — ا ب — فعند ما توازى الحالتين فى الموضعين وتنطلق الشرارتين فان الذى يكون واقفاً فى الموضع — م — على الأرض يرى أن الاشعاع الذى حصل من الموضعين — ا ب — متعادل بالمطابقة حسب قواعده. ولكن الواقف فى الموضع — م ا — من القطار السائر يرى الأمر بالعكس لأن قدر الكبر فى الجهة — ١١ ا م ا — قد ازداد من جراء السرعة فهو يرى أن السرعة — ١١ ا م ا — أكبر من الجهة — ب ا م ا — ولو نظر الى الاشعاع الذى حدث فى الموضعين - ا ب - لرأى أن الاشعاع من الناحية — ب — قد وصل اليه قبل الاشعاع الذى حصل من الناحية — ا — ومن جراء هذا يظهر له القطار أكبر من الخط السائر عليه مع أنه متعادل معه لو كان ساكناً. فنحن سكان الارض نشبه هذا الواقف فى الموضع — م ا — من القطار السائر بالنسبة إلى الاجرام السماوية، والنور الذى ترسله الينا. وقد يكون كبر قيلساتنا راجع إلى هذا المظهر، مظهر التضخم من جراء السرعة مع أن لا حقيقية ذاتية له، كما بين لورنتز. والمهم فى هذا البحث هو كيفية تحديدنا الأشياء بالنسبة إلى وضعيتنا وفهمنا الاحجام التى تنتج من السرعة.

بيروت فى ١٠ يونيو سنة ١٩٢٩

ابراهيم حداد

ابحاث زراعية علمية

خاصية قوة امتصاص الارض للماء

خاصية قوة امتصاص الأرض للماء متى اصابها، وحفظها له بعد تشربه من أهم الخواص. فبالأولى يتعلق جذب الارض للماء من اسفل، وبالثانية يتعلق امساك الارض للماء ضد الجذب الارضى العام. وهاتان الخاصيتان مرتبطتان بتركيب الأرض. فان كانت ناعمة زادت قوة امتصاصها الماء وحفظه، و ان كانت حديثة العهد بغمر المياه لها كان المهم فى ذلك قوة حفظها له، كما أن قوة الجذب من أسفل إلى أعلى هى الاهم فى حالة الجفاف. و الحالة الاخيرة هى عبارة عن الامتصاص بخاصية القوة الشعرية للارض و يمكن قياسها بأن نأخذ أنابيب نملوءها من ثرى الارض و نكسها فى اناء به ماء ثم نقدر الماء الذى تمتصه الانابيب بالنسبة لوزن الثرى وحجمه. و وجود الدبال و المادة اللازبة فى الارض يزيد قوة امتصاصها الماء، و كذلك عملية التوطيد أى (المندلة) الثقيل يزيد فيها هذه القوة. كما سيأتى ذلك عند الكلام على الخاصية الشعرية.

والنبات يمتص المياه اللازمة له من حجم مخصوص من الأرض، ولذا كان توضيح خاصية امتصاص الأرض للماء بالنسبة لحجمها أحسن.

خاصية ضمور الأرض عند الجفاف

ضمور الارض عبارة عن صغر حجمها اذا فقد منها الماء، ومن ذلك يلاحظ أنه كلما كانت الأرض أنعم، كان الضمور أعظم. فالارض الرملية قلما يتغير حجمها بعد الجفاف بخلاف الارض السوداء فانها تنضمر جدا. وما سبب ذلك الا أن المادة اللازبة يصغر حجمها عند جفافها وخلوها من الماء. والرى لا يردها لحجمها الأصلى الا بعد زمن، لان من ضمورها يكون سببه تداخل بعض الجزئيات فى بعضها وتماسكها، وهذا هو السبب فى تحمل الارض أثقل المبانى.

وضمور الارض يكون رأسيا أو أفقيا فى آن واحد، وان فتى جف سطحها بسرعة تنقبض و تبقى الطبقات السفلى راية فيتشقق السطح. ومن هذا التشقق ينشأ ضرر عظيم لانه يقطع جذور النباتات و يتف نموها فى الارض التى هى بها، فضلا عن أن

مجموع هذه الشقوق فى سطح مساحة كبيرة يتبخر منها الماء بسرعة، إلا ان لهذا التشقق فائدة كبرى من وجهة أخرى ،وهى تهوية الارض ،ولذا تقل هذه التهوية جدا فى الارض الصماء . ولمنع سرعة الجفاف وما ينتج عنه من التشقق فى سطح الارض،يجب موالاة الارض السوداء بالعزق وكلما غزر رى الارض زاد التمدد الوقتى، وكانت الشقوق أوسع وأعمق . ويقال :ان الارض قابلة لنفوذ الماء اذا غاض فيها بسهولة، والتى على عكسها تسمى صماء .ولا يلزم أن تكون كل أرض مسامية قابلة لنفوذ الماء فيها،لان المسام—وان تكن عديدة—فربما كانت ضيقة بحيث تمنع سريانه بها. اما ذات المسام الواسعة نوعا،ولو كانت مسامها قليلة العدد فهى أسهل من الارض السوداء فى التصفية ونفوذ الماء .والصمم فى الارض السوداء ينتج من صغر المسافات التي بين جزئياتها من جهة ،ومن جهة أخرى من وجود الطين الدسم الذى يتجمد فيسد هذه المسافات ،ويمكن ارخاء الاراضى الصماء باضافة الدبال أو الرمل أو الجير اليها .لان هذه المواد تجمد الطين الدسم فلا يتمدد فى المسافات المذكورة ويسددها.

واذا تساوت جزئيات الأرض كانت أكثر مساماً من أرض اختلفت جزئياتها حجما .لأن الجزئيات الصغيرة تشغل المسافات التى بين الجزئيات الكبرى فتكون الارض أكثر اندماجا .

والخدمة تزيد فى الأرض خاصية سريان الماء فيها بتجفيفها وتحت الارض اذا كان أضخم كان عادة أقل مسامية من الارض، الا اذا كان كثير الرمل مثلا

وعلى العموم فصمم الارض وسريان الماء فيها دائماً متعاكسان. كلما قل أحدهما زاد الآخر،واغلب الاملاح تقوى سريان الماء فى الارض كانها تجمد الجزئيات الطينية الدقيقة. ولكن الاملاح القلوية مثل كربونات الصودا مثلا تزيد التماسك وتضعف نفوذ الماء

الأراضى الرملية الكثيرة المسام تجف بسرعة زائدة، ومن الصعب حفظ رطوبة بها تكون كافية لنمو أكثر النباتات . كما أن كثرة رى مثل هذه الاراضى تضيع كمية كبيرة من غذاء النبات فى مياه الصرف، ودورة الماء فى الارض الصماء رديئة وتهويتها غير كافية فلا ينمو النبات فيها الا نكدا.

وفائدة التصفية لمثل هذه الارض قليلة فالطريقة الوحيدة لاصلاح الخواص

الطبيعية لمثل هذه الاراضى ، انما هى خلطها بكمية كبيرة من الرمل، وان كانت هذه الطريقة ربما تقتضى نفقات كبيرة إلا أن فائدتها مستمرة وحركة الماء فى الارض تتعلق بالصفات العمومية التى ذكرت سابقا . فان جذور النبات انما تمتص المياه التى فى الاماكن المجاورة لها ومن الاماكن البعيدة عنها ، ولذا نجد مياه الارض تتجه نحو الجذور بحركة بطيئة مستمرة، وسنشرح هذا وافيا فيما بعد

خاصية قوة نفاذ الماء وحركته في الأرض

وللماء -غير ماتقدم- حركات عظيمة أخرى فى الارض -مزروعة كانت أوغير مزروعة- وهذه الحركات أما أن تكون من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى سفل أو أفقية. وسنشرحها عند الكلام على الخاصية الشعرية والصرف والرشح وتسمى كل هذه الحركات « بدورة الماء العمومية فى الارض » الصرف أو حركة الماء من أعلى الى اسفل ينسب لخاصية الجذب الارضى الذى يحصل فى اتجاه مركز الارض، ومن المعلوم ان السقوط طبيعة فى الماء، الااذا وجد مانع له بقوة مضادة لجذب الارض تعادله أو تزيد عنه، فيمنع الماء من السقوط . ففى الارض السوداء تكون هذه الحركة بطيئة أو معدومة بسبب مقاومة الجزئيات الدقيقة الارضية للماء حال تساقطه فى خلالها، فضلا عن أن فى الجذب السطحى لهذا الماء ، قوة ناتجة من احتكاك الماء تزيد عن جذب الارض

على ان هذا الجذب السطحى يكون مهماً حين لايوجد ماء كثير، وعلى ذلك فالاراضى الصفراء والرملية يحصل فيها بعض الفيض بعد كل سقيه، وكلما زاد ارتفاع المياه على وجه الأرض كثر الضغط من أعلى إلى أسفل ،وزادت كمية المياه الفائضة فينتج من ذلك ان الارض السوداء الصماء تحتاج لرى غزير تزيد به قوة مرور الماء عند مقاومة الجزئيات

السطحية

مستوى الماء الارضى - اذا لم يوجد صرف تراكمت بقايا النبات والأملاح وصيرت الارض غير خصبة ،فالصرف وان ضيع بعض الغذاء النباتى إلا أن الضائع منه يكون أقل بكثير من الفائدة الجيدة التى تدركها بازالة مالا تحتاج اليه من المواد ، فمستوى الماء الأرضى يرتفع بماء

الفيض وينخفض بازدياد التبخر ، بووجود مفيض خافض للماء . وفيض الماء من الأنهر والترع والاراضى المرتفعة (النز) مستمدعظيم لمياه تحت الارض،(والنز) فى مصر كثيرا ما يرفع مستوى الماء الأرضى الى قرب السطح ، والتبخر بعدالتصريف ينشأ منه تملح الأراضى فى الأراضى المنحطة،والطريقةالوحيدةالمحكمة لخفض مستوى الماء الأرضى وضياع ملوحتها إنما هى الصرف، وهو يحصل إما بصرف الماء من الأرض أو بازالة ماء الرشح من الأراضى المجاورة المرتفعة بواسطة عمل رشاحات . ويتعلق انخفاض مستوى الماء الأرضى بخاصيةنفوذ الماء فيها . ففي الأراضى الرملية التى تقل مقاوتها لمرور الماء يحصل الصرف فيها بسهولة ونجاح . وأما فى الأراضي السوداءالتى فيها مقاومة عظيمة كما سبق ، فان مستوى الماء الأرضى فى منتصف المسافةبين المصارف يكون مرتفعا كثيرا، اذا كانت المصارف ، متقاربآ بعضها من بعض تقاربا كافيا، وليس يراد من الصرف فى القطر المصرى تخفيض مستوى الماء الأرضى فقط بل الأهم منه ابعاد غور الأملاح فى الارض لدرجة توافق نمو النبات . وكون المصارف عميقة ومتباعدة بعضها عن بعض أفضل من كونها عميقة متقاربة فى تخفيض مستوى الماء الأرضى . وتحصل حركة الماء الأفقية فى الأرض بتأثير الجذب الأرضى والضغط الخارجى معاً، وهذه الحركة تماثل الصرف لأن ثقل الماء هو العامل المحرك له . ويمكن اعتبار (النز) طريقة صرف مخصوصة فى الأراضى ،حيث لا يجد الماء الغائر منفذ الى اسفل فيتجه اتجاهاً أفقيا و يترشح فى لأراضى المجاورة، والترشيح ايضا يسهل حركة الماء الصعدية التى تنتج الضغط الجانبى للماء، فهو يشمل حركة الماء الرأسية من جهة، والافقيه من جهة أخرى

***

(النز) ينتج عادة من مياه آتية من ترع مرتفعة مارة فى الأراضى المجاورة لمكانه ففى أول الأمر يفيض بعض المياه فى الارض من الترع فيرفع مستوي الماء الأرضى بالتدريج . ونظرا لارتفاع الماء الخارجى يطرد الماء الأمامي . وعواقب النز تكون أردأ كلما ارتفع مستوى الماء الارضى،ومع ذلك فقد يكون المستوى المذكور منخفضا ولكن بضعف نفوذه فى الارض بتزايد الاعماق تزيد المقاومة فى ترشيحه . واذآ فالمياه التى تندفع من الترع تنتشر فى اتجاه أفقى. وبهذا تكون الاراضى المعرضة للرشح فى بلل مستمر.

ولايشترط فى ذلك ان يكون مستوى الماء الارضى مرتفعا. والضرر الناشىء من الترشيح ناتج من تشبع الارض بماء راكد خال من الهواء واستخراج هذا الماء يبقى الملح فى الارض. ومن المعلوم ان الارض التي فوق مستوى الماء تكون رطبة، ومن المهم ان نعرف الطريقة التى بها ارتفع الماء فيها وكيف يبقى بها.

ولتوضيح ذلك نتكلم على خاصية التماسك السطحى للسوائل التى منها الماء، ويمكن توضيحها بما يأتى :—

أولا — اذا غمر جسم صغير فى الماء وأخرج منه، يرى مغطى بطبقة رقيقة من الماء وتبقى عند سطحه. فلماذا لا يسقط جميع الماء منه

فالسبب فى ذلك أن هناك قوة مؤثرة فى سطح هذا الجسم تعادل وزن طبقة الماء.

ثانياً — أنه اذا لامس هذا الجسم جسما آخر تنتشر طبقة الماء على الجسمين

ثالثاً — إذا كان الجسمان مختلفى الحجم، يكون سمك هذه الطبقة المائية على الجسم الأصغر أكثر منه على الجسم الأكبر.

وبتطبيق هذه النظرية على الأرض نرى أنها تمسك الماء بسطوح جزئياتها.

ومن حيث أن مساحة سطوح الجزئيات فى الأرض الناعمة تكون أعظم، فيكون سمك هذه الطبقة المائية على الجزئيات الناعمة أكبر. فتحفظ الأرض الناعمة رطوبة أكثر من الارض الخشنة، وهذا مطابق لما نشاهده عملياً. فالأرض السوداء تمسك الماء أكثر من الأرض الرملية الخشنة، وانتشار هذه الطبقة المائية من جزء لآخر يحصل فى جميع الاتجاهات حتى يحصل فيها التوازن. واذا تغير سمك هذه الطبقة فى نقطة حصل فى طبقة السائل كلها تدافع نحو هذه النقطة لحفظ الموازنة.

ومن ذلك نعرف سبب ارتفاع الماء فى الأرض، لأن الجزئيات العليا تمس سطوح الجزئيات السفلى فينقسم الماء بينهما وينجذب إلى أعلى جذباً مستمراً، وان قيل لماذا لا يصل الماء إلى نهاية سطح الأرض فى كل الأحوال، فالجواب أن القوى فى سطح الطبقة المائيه محدودة فلا يمكنها إلا حمل وزن معين فقط. فهى تحمل دون الماء المرتفع، ومتى وصل إلى النهاية العظمى المساوية للقوة يحصل التوازن فى توارد هذا الماء إلى أعلى الارض. وينسب هذا عادة إلى الخاصية الشعرية. وهذه

الكلمة تستعمل لهذ المعنى عند ما تتكلم على علم الطبيعة بالنسبة للأرض .

إذا أمكن ارتفاع الماء من مستوى الماء الأرضى إلى السطح وحصل هناك تبخر فيه،نحصل على مجرى مستمر من الماء يصعد فى الارض من أسفل الى أعلى، وعلى العموم فكلما كانت جزئيات الأرض صغيرة كان ارتفاع الماء بالخاصية الشعرية أعظم ، إلا أنه أبطأ. لأن صغر الجزئيات ينشأ عنه أيضاً صغر المسافات بينها فتكون المقاومة على الماء فى مروره أعظم . وقوة امساك الأرض للماء هو نتيجة تماسكها السطحى والخاصية الشعرية- أى رفع الماء من مستواه الأرضى اذا ارتفع أو ماء النز، وهو السبب عادة فى ملوحة الأرض واغداقها . وتأثير الخاصية الشعرية فى الأرض المفلكة قليل جدا لتباعد بعض الجزئيات عن بعضها فيها .

أما الأرض المندمجة كثيرا فان المسام تكون رقيقة والجزئيات متقاربة بعضها من بعض .فالماء يرتفع فيها ارتفاعا عظيما واذاً فالقصد من توطيد الارض ازدياد الخاصية الشعرية وقوة امساكها الماء . أما العزق فهو لتقليل هذه الخاصية ولمنع ارتفاع الماء إلى السطح ارتفاعاً عاماً.

تبخر الماء من سطح الأرض — إن تبخر الماء من سطح الارض يتعلق بجفاف الهواء وكمية الماء الموجودة فيها. وعلى النسبة التى بها يعوض الخاصية الشعرية الماء المتبخر من السطح بغيره من أسفل والتبخر يجفف الارض ويبردها فيضيع الماء منها وتتشقق. وكذلك بسبب تجمع الاملاح الذائبة فى ماء الارض على سطحها،ويحدث دورة مستمرة للماء فى الارض باختلال التوازن بين تماسك السطح والجذب الارضى. وفى الارض المزروعة يكون اتجاه هذه الدورة الى جذور النبات أكثر من اتجاهه الى السطح ، لان النبات يمنع التبخر من سطح الارض وهى تفقد كثيراً من الماء بواسطة التبخر النباتى ولكن التبخر فى نفس هذه الارض يكون أقل منه فى الارض العارية.

عبدالمجيد سيد احمد

المرأة الساحرة

تلخيص وتعليق

(تمهيد)

كانت الأميرة (سيرسية) مصدراً من مصادر الوحى والالهام لكثير من شعراء اليونان القدماء وكثيراً ما افتنوا فى اطراء هذه الساحرة التى خلبت عقول عاشقيها بجمالها الفاتن وحسنها الباهر ،وقد عزت اليها الخرافات اليونانية ونحلتها الأساطير الاغريقية كثيراً من المميزات، فروت عنها روايات غريبة نسقها التواتر وأبدعها الافتنان وروعة الخيال حتى جعلها مضرباً من مضارب الامثال بما شهرتها به من قوة تأثيرها على العقول وشدة سلطانها فى استهوائها النفوس، حتى زعموا أنه لم يكن فى عصرها من يستطيع الثبات أمام جمالها الفاتن ، مهما أوتى من قوة الارادة ومضاء العزيمة. فقد كان حسب البطل الكمى أو المتمرد الطاغى أن تسدد إلى قلبه نظرة واحدة من نظراتها الساحرة،فتخور قواه وينقلب عزمه تردداً وقوته ضعفاً

وقد لاتقف معه عندهذا الحد بل تجعله حيواناً ذلولا بعدأن تسلب منه قوة ارادته وكثيراً ما سحرت عاشقيها والمفتونين بها خنازير بعد أن ردتهم أسرى شهواتهم وعبيد لذاتهم .

وقد كان جنود (عولس) ملك (ايتاك) من بين ضحاياها ، فقد سحرتهم خنازير — كما سحرت غيرهم — من قبل. أما (عولس) فتحدثنا عنه الاساطير أنه الشخص الوحيد الذى قاومها فنجح فى مقاومته وعجزت عن أن تنال منه بفنون سحرها ومكرها ، أو تلحق به أذى، وقد سجلت له الاساطير الاغريقية هذا الفوز الخالد

خلاصة القصة

ذلك ما تحدثنا به الخرافات فى غاية الزمان وتنبئنا بحدوثه فى أقدم العصور .

ولما كان التاريخ — كما يقولون يعيد نفسه — والايام لا تفتأ تكرر الحوادث المتماثلة

بين حين وآخر — والمثل العربى يقول « ما أشبه الليلة بالبارحة! » ولأمر ما قال القائل:

ما مر فى دنياك أمر معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا

وقال فى مكان آخر :

. . . . وهذه الليالى كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذى مرت به السنوات

حدث أن فتاة بارعة الحسن رائعة الجمال من بنات العصر الحالى، طابق اسمها اسم (سيرسيه) ساحرة العصر الغابر، ولم تكن لتقل عنها مقدرة وافتناناً، ولا كان سحرها أقل من سحر تلك أثراً فى نفوس العاشقين

كانت (سيرسيه) بطلة قصتنا الحديثة آية من آيات الابداع وسراً من أسرار الجمال ودمية فريدة من دمى الحسن، يحار المتأمل فى جمالها، ويتملك عليه كل نفسه فينسى كل شيء، غارقا فى تأمل محاسنها التى لا تنفد

فى هوى مثلها يخف حليم راجح حلمه ويغوى رشيد

غادة زانها من الغصن قد ومن الظبى مقلتان وجيد

وزهاها من فرعها ومن الخد ين ذاك السواد والتوريد

فهى برد بخدها وسلام وهى للعاشقين جهد جهيد

ما لما تصطليه ومن وجنتيها غير ترشاف ريقها تبريد

مثل ذلك الرضاب أطفأ ذاك الـ وجد؟ لولا الأباء والتصريد

***

كذلك كانت (سيرسية) الحديثة مصدر سحر وفتنة لمحبيها وعشاقها الكثيرين الذين كانوا لا يترددون لحظة فى تلبية كل رغباتها سباقين إلى تنفيذ أية اشارة من اشاراتها طائعين فرحين، فلو أمرتهم أن يلقوا بنفوسهم فى البحر لفعلوا أو يطرحوا بها فى هاوية لما أحجموا! ولقد كانت ابتسامة من (سيرسية) لعاشق كافية لاستهوائه وانتزاع ثروته — بل روحه — لو شاءت، وكانت محاسنها متجددة، وجمالها الفائق يزداد سحره ويقوى سلطانه يوما بعد يوم

ليت شعرى إذا أدام اليها كرة الطرف مبدىء ومعيد

أهي شيء لا تسأم العين منه   أم لها فى كل ساعة تجديد
بل هي العين لا يزال متى استعـ   ـرض يملى غرائبا ويفيد

على أنها كانت — مع كل هذا — تحافظ على نفسها محافظة نادرة ولا تسمح لواحد من محبيها أيا كانت منزلته أن ينال منها أربا، أو يقضى منها لبانة، فقد كانت تضن على أعز عزيز فيهم بقبلة واحدة يطفىء بها أوراه أو ينقع بها غلته

وكان من بين أصدقائها ومحبيها الجراح (فان مرتيب) وهو طبيب فاضل ومثال نادر من أمثلة النزاهة والجد ونموذج فذ من نماذج الاستقامة والشرف، يقيم على مقربة من بيتها بحيث يستطيع بأدنى نظر أن يرى كل ما يحدث فى منزلها فى أكثر الايام من حفلات الاستقبال الشائقة ومغازلات العاشقين ورقصهم المزرى .

ولقد كان يحب فى تلك الفتاة الجميلة قدها الممشوق وحسنها الساحر ومحاسنها التى افتنت فى اظهارها وأبدعت فى تنسيقها القوة الالهية، ولكنه كان — إلى هذا — يكره منها ذلك الاسفاف الشائن ويمقت فيها ذلك الاستهتار المزرى الذى تنحط اليه، وكثيرا ما أمضه وأقلق باله أنها لا تصون جمالها عن الدنس وانها تسىء إلى حسنها فلا تنزهه عن تلك الأرجاس التى انغمست فيها، فقد كان يرى أن مثل جمالها الرائع جدير أن يتخذ وسيلة لتهذيب النفوس والتحليق بها فى أجواء الطهر والعفة، لا أن يتخذ وسيلة لأحط الدرك وأدنأ الغايات !

كان إذن يقدس جمالها بمقدار ما يسخط على حقارة نفسها وتدليها فى هذه الهوة السحيقة . كان يرى فيها صورة ملاك ونفس شيطان! كان يرى أمامه جمالا علوياً ونفسا سفلية مغمورة فى القذارات والأرجاس فيتحسر ويحزن ويتألم

٭٭٭

كان الدكتور جراحا منصرفاً إلى عمله معنيا بشئون مرضاه، وكان إلى ذلك يزور (سيرسية) أحيانا وربما تأخر عن زيارتها بسبب ما تتطلبه مهنته من الاهتمام بمرضاه والانصراف الى شئونهم، وكانت (سيرسية) تشعر بانعطاف اليه، وتخصه باحترام نادر من بين عشاقها الكثيرين — فتلتهب قلوبهم حسداً له وغيرة منه، وكثيرا ما رأوا فيه منافساً خطرا، فنفسوا عليه ما له من الحظوة ورمقوه بأعين شزر . ولم لا وهى تميل

اليه دون أن يتقرب اليها و تفضله على خلانها وفيهم من جن بعشقها جنونا ، وفيهم من غمرها بهداياه الثمينة ،ومنهم من يشترى لها أنفس الحلى و ينتقى لها أغلى الجواهر رغبة فى بلوغ رضاها ،ولكن أحدا منهم ـ رغم هـذه الجهود ـ لم يبلغ شأو هـذا الطبيب و لااستطاع اللحاق به فى هذا المضمار ، على أن (سيرسيه) نفسها لم تكن تخلو من نقمة على هذا الطبيب، فقد كان يؤلمها أيضا ما تراه فيه من قلة الاكتراث بها وعدم الاهتمام بأمرها مع ما تبذله من الجهد فى سبيل التأثير عليه ، وكانت لاتنى تستهويه بجمالها غير تاركة فرصة تسنح دون أن تنتهزها لعلها تصل إلى قلبه و تحرك بواعث الحب الكامنة فى نفسه

وفى ذات ليلة جمعتهما المائدة فى احدى حفلاتها — وكان كرسيها إلى جانب كرسيه — فأمسكت بطرف رغيف ثم سألته أن يجذبه من طرفه الآخر فكان من قسمته الجزء الأكبر منه ، فالتفتت اليه باسمة وقالت : « أرى أن الجانب الأكبر من الرغيف وقع فى قسمتك ومعنى هذا فى لغة العرافة والتنجيم أنك ستحتمل بسببي هماً كثيرا » فلم يجبها الطبيب بأكثر من ابتسامة الساخر الهازىء الذى لا يعتقد بأمثال هذه الخرافات

***

انتهى العشاء وقامت ترقص مع خلانها الذين تسابقوا متنافسين فى اظهار حبهم لها بما قدموه بين يديها من الهدايا الفاخرة والحلى الثمينة، ولقد كادوا يصطدمون معا فى ألف عراك، كلما نظرت إلى هذا أغضبت ذاك ،وكلما ابتسمت لأحد عشاقها التهب قلب منافسه غيظا واشتعل فؤاده حقدا على ما ناله منافسه من فوز ، وهى لا تفتأ تلطف من حقدهم بمهارتها ورشاقة حركاتها ملائمة بين أهوائهم المصطدمة بقوة ودهاء ولطف حيلة، كما يلائم الملاح الماهر بين قوى الريح المتنافرة ويتخذ منها جميعا وسيلة إلى تسيير مركبه بين الزعازع والعواصف الهوجاء .ثم لم تلبث أن التفتت اليهم باسمة وقالت: « من أحبنى منكم فليتبعنى » ولم تكد تتم هـذه الجملة حتى اندفعت إلى بركة من الماء كانت على مقربة منها فتبعها المتنافسون مندفعين الى البركة جميعا — إلا الطبيب — غير آبهين لملابسهم ولا ملوين على شىء فى سبيل ارضائها والرضوخ لاشارتها ، ووصل اليها عاشقان فى وقت واحد وحاولا تقبيلها معا فلكز أحدهما الآخر بقوة

فألقاه فى الماء ،وكرت الفتاة منفلتة بمثل سرعةالبرق فافلتت من عشاقها هاربة، وحانت منها التفاتةفرأت الطبيب واقفا إلى جانب الباب منتحيا وعليه سيماءالجدوأمارات الوقار فحيته باشارة خفيفة من عينها وهو واقف وقفة التأمل الهازىء ثم سألته لم لا يشارك عاشقيها فى لهوهم و مرحهم ، فأجابها ساخراً.إنه أرفع من أن يشركهم فى مثل هذه الحماقات و أسمى من أن يقترف معهم هذه الدنيات،مؤكدا لها أنه يحتقر (سيرسيه) ويمقت ألعابها أشدالمقت—وانماأراد بذلك أن يشير إلى (سيرسيه) الساحرةاليونانية من طرف خفى، فلم تدع (سيرسيه) بطلة قصتنا الحديثة هـذه الفرصة تمر دون أن تنتفع بها فاجابته قائلة :« ولكن حذار أن تنسى أن سطوة (سيرسيه) قد حولت رفقاء « عوليس » خنازير » فيجيبها شامخاً بأنفه « بيد أنها عجزت أخيرا عن « عوليس» نفسه لما أظهره من الحزامة والحكمة النادرة »

وهنا يفترقان

وتجلس (سرسيه)فى مخدعها مفكرة مهمومة مستعيدة خلاصة مامر بها من الحوار مع الطبيب الجراح، ثم يعن لها أن تتجمل بملابس بسيطة تعتقد أنها تعجبه لميله إلى البعد عن التكلف ، ولكنها تبدأ بمحادثته فى المسرة (التليفون) بعد أن تطلب خادمها النمرة المطلوبة ، ولا تكاد تبدأ الكلام مع الطبيب حتى يشتد بينهما اللجاج ، وتلقى بالسماعة مغضبة حانقة.أماحوارهما فقد كان مقتضباً جافا غاية فى الأيجاز :

—:أليس من عادة أهل طبقتكم الرفيعةأن يحيوا الحاضرين قبل مغادرتهم؟ ثم لماذاهربت ياسيدى الطبيب بمثل تلك السرعة ؟ لعلك خفت الانهزام ؟

— ربما كان ذلك

— ولكن قل لى لم هذا التجانف والكبر ؟

— لأننى لاأستطيع فهم أمثالك من النساء!

هنا ألقت بالسماعة مغضبة وظل قلبها يخفق خفقانا شديداً متداركا ونبض نبضات قوية ، وظلت تردد قول الطبيب متأثرة قائلة «أمثالى من النساء » « لايفهم أمثالى من النساء » « ياالله وهل أنابدع فى هذا العالم ! »

وإنها لتستسلم لهذه الأفكار العابسة إذ تأخذ نظرها مذكرة حياتها اليومية التى

أهملت تدوين الحوادث فيها منذ من بعيد ، تتناولها يد متثاقلة، ولا يكاد يقع نظرها عليها حتى تستعيد ذكرى حياتها الأولى ، فتقرأ فيها قصيدة محزنة تدعو إلى العبرة والعظة، ترى نفسها وهى فتاة واقفة أمام الدير معجبة برؤية الراهبات فرحة بمنظرهن البهيج — وهن سائرات إلى حديقة الدير — فلا ترى أمنية وقتذاك أشهى ولا طلبة أعذب من أن يمن الله عليها فتصبح فى عدادهن وتندمج فى سلكهن ،ولا تلبث أن تلتفت اليها إحدى الراهبات مبتسمة ابتسامة المشجع لها على تنفيذ ما يساور رأسها من الأمانى والأحلام ، ثم تتبع أخواتها إلى الدير ، وإن فتاتنا لغارقة فى تصوراتها أمام باب الدير إذ لمحها شقى من أشقياء الانس — فى بدء العقد الثالث أو نهاية العقد الثانى من سنيه — يحمل على رأسه سلة خبز ، بهر لبه جمال ساقيها العاريين فوقف يتأمل محاسنها مليا ثم تلفت يمنة ويسرة فلم ير فى الطريق أحدا . فشجعه ذلك على الاسترسال فى فكرته الخبيثة التى سولتها له نفسه، فتقدم نحوها بخطوات ثابتة حتى أدناها ثم أمسك بذراعها يحاول تقبيلها وهو يقول لها : ليس هذا الدير لمثل جمالك ،فهلمي أيتها الملاك فقبليني » فدفعته عنها بعنف وشدة — بسبب الذعر الذى تملكها — فهوت سلة الخبز من فوق رأسه إلى الأرض وولت الفتاة هاربة ، فأسرع إلى اللحاق بها ،ثم أمسك يديها بقوة شديدة وجذب الفتاة نحوه فانجذبت مرغمة ، ثم أمسك بصدغيها بين يديه واغتصب منها قبلة — لمع لها جبينه وقطب لها جبين الفتاة — وعاد أدراجه وهو يترنح من الفوز ، وعادت الفتاة متخاذلة متثاقلة إلى بيتها، فارتمت فى أحضان أمها حزينة كئيبة تلمس موضع العار من شفتيها، كأنما تحاول أن تزيل ما علق بفيها من آثار القبلة !

***

وتظل تقلب أوراق مذكراتها فترى فى ثنايا صفحاتها ضعفها الشديد عن تحقيق أمانيها وتقرأ ما سجلته على نفسها من اخفاقها التام فى الاندماج فى سلك الراهبات .

وتقرأ صحيفة أخرى فتتمثل نفسها وهى تعمل فى حانوت قصاب وإنها لتحسب دخل المحل إذ حانت من صاحبه التفاتة — وهو منهمك فى عمله والعرق يتصبب على جبينه ويتساقط من كل أنحاء وجهه — فرأى جمال الكاتبة فوقف يتملى بحسنها برهة، ثم

عن له مثل ماعن لصبي الفران من قبل ، فذهب ناحيتها حتى داناها ثم أمسك بذراعها اليسرى باحدى يديه — بينما كانت مستغرقة فى عملها — وقدم لهـا دجاجة بيده الأخرى ، وحاول أن يقبلها اغتصابا فدفعته عنها مغضبة وثم تملكه الغضب فكشر لها عن أنيابه وانقلبت سحنة وجهه ودمدم غيظا وحنقا ثم تركها قائلا : «لك أن تغادرى العمل إذا كنت لا أروقك» فخرجت من حانوته تتعثر فى أذيال الخيبة - وقدظهرت آثار أصابع القصاب المتسخة على ذراعها اليسرى واضحة جلية -

وثم تلقى مذكراتها من يدها آسفة على ماجرته عليها الحياة من ويلات لم يكن لها قبل بدفعها ، ثم لا تلبث أن يتسرب العزاء إلى نفسها فتقول — إن الحياة خدعة وأهلوها أشرار والمرأة بينهم ضحية ولست جديرة أن أناضل الناس بغير سلاحهم أو أعاملهم بغير معاملتهم ! »

*
* *

ونرى — فى منظر آخر — الطبيب الجراح بين مرضاه فى حديقة القصر الذى اتخذه مصيفا له وهو يواسى هذا ويطمئن ذاك ويشرك صغارهم فى ألعابهم ليرفه عنهم كثيرا من آلامهم، وربما زلت قدمه فعثر أو اصطدم ببعض الصبية فبذل كل ما فى وسعه لترضيه وإزالة مالحقه بسببه من الألم ، ثم لا يدعه حتى يرى ثغره باسما ووجهه متهللا ، وإنه لكذلك إذ تدخل (سيرسيه) متنكرة باسم غير اسمها فتنبئه الخادم أن سيدة مريضة بالباب تريد لقاءه فيأمر بادخالهـا حجرة الاستراحة ، ولا يكاد يدخل حتى يجد (سيرسيه) أمامه فيغضب أشد الغضب إذ يتبينها ويعرف أنها هي، ويسألها مستفسرا : « ماذا دعاك أيتها السيدة إلى الدخول عندى متنكرة ؟ ألم يكن الأجدر بك أن تكونى صريحة وأن لا تلجئى إلى مثل هذه المواربة الممقوتة ؟» فتجيبه — : « ولكننى أراك تتهرب مني دائما، وإنى لعلى يقين من أنك كنت ترفض مقابلتى ممتنعاً كل الامتناع عن لقائى لو صرحت للخادم باسمى الحقيقى، ومع ذلك فأنا مريضة أيها الطبيب، نعم مريضة جديرة بعنايتك لعلى أشفى من علتى » فيجيبها : « لا بل أنت تتمارضين » وهنا تلوح منها التفاته فترى على طاولة الطبيب إطارا فيه صورة فتاة جميلة فيلهب قلبها غيرة وحقدا، وتسأله : « أهذه هى معشوقتك أيها السيد » فيقول: « نعم هي خطيبتى وقد كنا على

وشك الاقتران يوم اختطفها الموت منى» فلا تسمع الشطر الأول من جوابه حتى تكاد تصعق لو لم يتدا كها الله برحمته و يسرى عن نفسها تتمة الجواب فيزول من على صدرها كابوس ثقيل ،إذ تعلم أن منافستها قد انتقلت إلى العالم الثانى»

ويبدأ الطبيب بفحصها ولا يكاد يلمس يدها وصدرها حتى تشعر (سيرسيه) كأنما كهرباء الحب قد ألهبت جسمها إلهابا فتنهد تنهد العاشقة المولهة وتلمس هاتين الناحيتين من جسمها اللتين لمسهما الطبيب بيده فيلتفت اليها مغضبا ويقول: «ثقي أيتها المرأة المستهترة أن هذه الحياة البليدة ستودى بك بعد قليل من الزمن» فاذا رأت ضراعتها له غير مجدية وألفت آمالها غير محققة عاودها الاباء والشمم فأجابته شامخة بأنفها: «ألا تعرف بماذا أجابت (سيرسيه) حبيبها (عولس) حين رفض حبها واحتقر عشقها، لقد قالت له «وداعا»

تعود إدراجها صاخبة متأججة القلب حقدا وغيظا عاقدة العزم على نسيانه — كلفها ذلك ما كلفها — وثم نراها فى حفلتها الراقصة التى أعدتها فى منزلها ودعت إليها أصدقاءها وعاشقيها وافتنت فى استحضار جالبات السرور اليها، فأصبحت ردهة البيت حانة نادرة المثال وبدأت تعزف الموسيقى وتدور الأقداح وتترنح الأعطاف، ويستمر الرقص فاذا ثمل أحد عاشقيها حاول الدنو منها فأقصته عنها أقصاء — بعد أن لكزته بيدها لكزة حطمت بها كل آماله — ثم تلعب الخمرة بالرءوس و يحمى وطيس الرقص فتلهب النفوس حتى يخرج الحاضرون عن أطوارهم وينسوا أدنى واجبات الحشمة وأقل مستلزمات الوقار فتركب «سيرسيه» واحدا من عشاقها — بعد أن وضع على وجهه وجه وحش أقرب إلى أن يكون وجه خنزير — . . . ويظلون كذلك منهمكين فى رقصهم غارقين فى لهوهم ، حتى إذا لفتت هذه الجلبة الطبيب القريب من بيتها فتح نافذة طنفه، فأطل منها على هذا المنظر الغريب فرأى « سيرسيه » المستهترة ، فاذا لاحت منها التفاتة اليه زادت انهماكا وأسرفت إسرافا لاحد له فى لهوها ،وظلت ترقص رقصاً عنيفا متداركا وقد وضعت على رأسها قبعة من قبعات الرجال،فلم يقابل الطبيب هذه الحركات الطائشة بأكثر من إغلاق باب الطنف ليضع حدا لرؤية هذه المساخر

هنا تشتعل نار الألم فى نفسها وتصهر جسمها من اليأس والفشل؛ فتمعن فى الرقص و يمعن معها عشاقها فى الرقص فتتلاشى ذواتهم فى غمر اللهو الجارف ؛ و تخور قواها فترتمى على شاب

وضىء الوجه من عشاقها المدلهين فيحاول تقبيلها فتمنعه ، فاذا شفه الوجد و شكا اليها حبه وهيامه هزئت به ساخرة ، فاذا قال لها : « إنى أعبدك و أراك أملى الحلو فى هذه الحياة فكونى لى » أجابته « مه فليس يروقنى هذا الهراء و لا يعجبنى منك هذا الفصل البارد الذى تقوم بتمثيله بين يدى الآن » فيصعق قلب العاشق ويهم بالانتحار فتلوح من سيرسيه التفاتة فترى عشاقها يلعبون القمار

وتسمع أحدهم يقول: « أراهن على ألف ريال » فتسرع إلى مشاركتهم فى المقامرة و تطلب الى العم جون أن يعطيها حوالة لتقامر بها ، فيقول لها المحامى العاشق : « بل أنا أثق بكلامه فلا حاجة إلى كتابة الحوالة »

تبدأ فى المقامرة فتكسب فى الدور الاول ثم يحدوها الطمع إلى الاستمرار فتخسر ما كسبته ، فتتحمس لاستعاضة الخسارة التى لحقتها فتضاعف همتها وتشتد خسارتها فيزيدها ذلك تحمساً فتقامر على خمسين ألف ريال فتخسرها صفقة واحدة فيجن جنونها فتضع أمامها كل حلاها مقامرة عليها فيأبى نحس نجمها إلا أن تخسرها جميعاً . فتقول للمحامى قولة اليائس الذى أخرجه اليأس عن رشاده فأنساه مايقول: « أقامر على منزلى فاذا نجحت استعرت منك كل ما فقدته وان أخفقت أضفت منزلى إلى ماخسرته » ويأبى سوء الحظ إلا ملازمتها إلى النهاية فتخسر فى المقامرة بيتها بعد أن خسرت قبله كل شيء

طاحت أحلام (سيرسيه) فى الثروة كما طاحت آمالها فى الحب ، لقد كانت تبحث عن وسيلة لنسيان ما لحقها من الخسارة والاخفاق فى الحب وتستعيض بها عن يأسها الشنيع فى استمالة حبيبها ، فأبى لها الشقاء إلا أن تخسر إلى ماخسرته كل ما كانت تملك — من مال وحلى وعقار . بيد أنها هزئت فى هذه المرة بضربات الدهر القاسية بعد أن توالت عليها ، و وصلت إلى الحال التى عناها المتنبى بقوله

تكاثرت النصال على حتى ... فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام ... تكسرت النصال على النصال

فلجأت إلى الصبر معتصمة برزانة اليائس فقد كل شيء فلم يعد يبكى على شيء . واستبدلت قطوبها — مخفية ما اصابها من الكمد — بابتسامة انفرجت عنها شفتاها ولكنها

تتم عن بائس قاتل ، ثم التفتت إلى الرابح قائلة :« لقد أصبحت الآن مالك ثروتى كلها ولم يعد لى فيها شىء ، فهل تتفضل بدعوتنا إلى العشاء فى هذه الليلة احتفاء بما نلته من فوز وابتهاجاً بما أحرزته من نجاح» فأجابها المحامى ملبياً طلبها الذى لم يكن يرى أشهى إلى نفسه وأعذب إلى قلبه من تلبيته ، ثم نصبت المائدة واصطفت الكئوس وبدأ المحامى يقدم لها الكأس الأولى مبتسما لها ابتسامة تجمع معانى شتى أهمها الفوز على عشيقته من طريق الثروة بعد أن هزمته أمامها فى طريق الحب . وفى ابتسامته معنى من معانى الشعور بالغبطة والرضى بما أوصله اليه جده السعيد فأصبح أقدر من ذى قبل على تقديم الهدايا الفاخرة اليها وهى فى هذه الظروف القاسية، بل لقد صار فى مكنته أن يكشف عنها ويزيل ما بها من الضنك المالى بعد أن كانت فى بحبوحة الرخاء :

تناولت « سيرسيه » الكأس التى قدمها اليها، وردت على ابتسامته بابتسامة الكمد المتكلفة فأسرع يسارها بقوله: «ثقى أن ثروتك لم تضع بعد ، وأن فى متناول يدك أن تستردها اذا شئت بأيسر الأثمان، بثمن زهيد جداً لا يكلفك شيئاً يذكر» ولكنها لا تجيبه بشىء، بل ترفع الكأس إلى شفتيها فتحتسى منها قليلا ثم تضغط على زجاجها بعنف فتحطم الكأس فى يمينها تحطيما وتدخل شظاياها فى راحة يدها فيسيل منها الدم غزيراً وهنا يتجمع حولها العشاق واجمين مستفسرين عن جلية الخطب، ويسرع العم (جون) باستدعاء الطبيب الجراح فيحضر على عجل فاذا رأى الطبيب جرحها سألها: «أليس فى البيت أحد من النساء ؟» فتجيبه: كلا ليس فى البيت إلا خنازير (عرليس) فيقول لها إنما وجهت اليك هذا السؤال لأنى سأضطر إلى إيلامك فتحملى آلام العلاج بصبر وجلد فتجيبه رابطة الجأش غير مبالية بشىء: «هون عليك يا دكتور ولا تقولن ذلك فلقد طالما تألمت وما كانت حياتى الا سلسلة مفرغة الحلقات من الآلام والاحزان» فاذا شرع فى علاجها قدم لها أحد عشاقها سيجاراً تناولته منه باسمة محيية ، فيزيد ذلك فى امتعاض الطبيب وإذا انتهى من العلاج ضمد جراحها ثم ربطها برباط طويل الى عنقها ، ولا يكاد ينتهى من عمله حتى يجد على أسارير وجهها ألف معنى من معانى المغازلة ويتبين ما ترمى اليه تلك النظرات الفاتنة فينظر اليها عابساً وهو يقول . « يجدر بك أن تقلعى عن هذه المساخر وأن تضعى حداً حاسما لسيرك المعوج» فلا يكون لها من جواب على هذا

القول إلا أن تسرع إلى احتساء كأس مترعة من الخمر وهى تهيب بأصحابها — : اسمعوا ياسادة ، ها إنى أشرب تلك الكأس تجب نصيحة طبيبي الثمينة، و يجذبها إلى ناحيته أحد عشاقها فتبدأ معه الرقص كأنما تريد بذلك أن تهتاج نفس الطبيب أو تحرك فيها شيئاً من لواعج الحب أو تثير منه مكمناً من مكامن الغيرة ، و يحاول عاشقها تقبيلها فلا تمانع فى ذلك ممانعة جدية لتزيد بذلك إهاجة الطبيب ، على أنها تهيج بذلك عاشقاً آخر من عشاقها المدلهين ، فيتصدى لصاحبه و يريد المحامى أن يطرد الجميع من البيت الذى أصبح فى حوزته بحكم القانون ، و فى هذه الأثناء تنطلق رصاصة طائشة من يد عاشق آخر فينسون الهرج والمرج و يتملك الذعر نفس سيرسيه فتأخذها رعدة ، و يلتفت الطبيب إلى الحاضرين فزعاً ناقما منهم هذه الاعمال الوحشية التى تبرأ منها الانسانية . نادباً انحطاط الأخلاق وارتكاس الآداب . ولايكاد يخرج من هذه الحفلة السافلة . حتى يلتقى بها فى الحديقة فينظر اليها محتقراً ثم يسألها مقرعاً — وهو يغذ السير إلى داره — :«ألا تشعرين بمسؤليتك الجسيمة أزاء ما تقترفينه من هذه الشنع ؟ »ولا ينتظر منها جواباً . بل يواصل سيره مسرعاً ، يجلس الطبيب فى غرفته مفكراً فيما مر به من الحوادث العجيبة فى تلك الليلة النكراء : وانه ليجيل فكره فى ذلك غارقاً فى تأمله . إذ يفتح باب غرفته فجأة وتدخل منه سيرسيه . ولايكاد يرفع بصره اليها حتى تبتدره قائلة — : «ماذا تنقم منى ياسيدى الطبيب؟ ثق أنك واهم فى ظنونك ؟ فانى لست . وايم الحق . ملومة على ما آتيه، بل ليست لى يد فى كل ماحدث بسببى . لقد كونتنى الظروف القاسية تكويناً لم يكن لى فيه أى خيار ، وألقت بى فى هذا الخضم المائج بلا عتاد ، فلم أر بداً من السباحة فى تياره حتى لايغرقنى إلى قراره . ولقد رأيت الناس لايحبون إلا هذا النوع السمج من الحياة الفاسدة فلم أحجم عن مشاركتهم فيما يحبون !» فيجيبها الطبيب قائلا: «بل أنت واهمة فى تبرير عملك مخطئة أشنع الخطأ فى كل ما تلتمسينه لنفسك من الأعذار التى تحاولين بها تبرير ماتقترفين من إثم وفى إقناع نفسك بأنك غير مسئولة عما تجنيه يداك من الجرائم الشنعاء! لا فلتعلمى أيتها السيدة أن أمثالك من النساء قوى هائلة فى هذا الوجود مدمرات كل مايحيط بهن بلا رحمة ولاشفقة ، وها أنت ذى لا تفتئين دائبة على إيقاظ أسفل الغرائز الانسانية ، وأحقر النزعات البشرية فى نفوس خلطائك . ولو أن هذه القوى الهائلة قد وجهت إلى الخير لأتت بأحمد النتائج الباهرة

فتجيبه سيرسية ضارعة

« آه ياسيدى الطبيب لشد ما أخطأت فهمى وأسرفت فى إساءة الظن بى — وماذا يعنيك، إن كنت قد أصبت أو أخطأت ؟ وليس هذا بضائرك . يالله ! ألم تفطن بعد إلى ما يجنه لك ، قلبى بماذا — آه من الحب ، نعم من الحب ، ثق أننى أحبك ، أحبك ، أحبك ! »

فاذا سمع منها الطبيب هذه المناجاة لم يعبأ بها وكأنما كانت نجواها إلى سواه ، فأشعل سيجارته والتفت اليها التفاته الهادىء ، وأجابها ساخراً — وهو يتباطأ فى كلامه — : « أنت تحبيننى ؟ هذا هراء ، هذا ما لا أعتقده ، فان مثلك لا يعرف الحب » فلا تدعه سرسيه يتمادى فى هذه النغمة المؤلمة من القول ، بل تسرع فجأة إلى يده الممدودة إلى جانبه فتختطفها اختطافا وتدنيها إلى فيها مختلسة منها قبلة حارة، ثم تفر راجعة أدراجها بمثل سرعة البرق، فيجرى وراءها يحاول اللحاق بها بلا جدوى ، حتى إذا يئس من إدراكها عاد إلى غرفته وقد بدأ يساوره الفكر والقلق على مصيرها وأحس أول نيران الحب تضطرم فى قلبه اضطراماً !

تعود « سيرسيه » إلى بيتها منهوكة القوى مشغولة الفكر ، فيقابلها عشيقها المحامى باسماً مظهراً لها استعداده التام للتنازل عن كل شىء — إذا شاءت — فلا تعبأ به ولا تلتفت إلى ما يقول فيمسك بيدها محاولا تقبيلها أوضمها إلى صدره فتجذبها عابسة وتدفعه عنها مغضبة فتشتعل فى قلبه نار الغيرة والحقد ويسألها : ما معنى هذا التقطيب وهو صاحب الثروة ومالك البيت والمتصرف فى كل ما تملك » فلا تجيب بشىء فاذا رآها لا تحير جواباً وأدرك من أساريرها أنها منهمكة غارقة فى بحار أفكارها السوداء بادرها بقوله : لعلك فى شغل شاغل عنى بحب ذلك الطبيب . . . فتقاطعه صارخة : « صه أيها الخبيث ! أفأنت غير جدير أن تنطق حتى باسمه : آه لبئس ما جنيته من صحبة أمثالك من خلطاء السوء ورفقاء الشر الذين أوصلتنى مصادقتهم إلى هذه العاقبة السوأى ، وأسلمتنى صحبتهم إلى فقدان كل أمل فى الحياة الفاضلة » وهكذا يسدل الستار على هذا المنظر الرائع :

ونعود إلى الطبيب فنراه جالساً جلسة المضطجع على أحدى أرائكه غارقا فى تأملاته . مرسلا فكره فى جمال سيرسه والتملى من حسنها ، وقد دفعه الفكر إلى تمثل كثير من الأحلام والأمانى اللذيذة عنها فقد بدأ يتمثلها أمامه الآن ملكا كريماً . لا بشرا سوياً ، واستعاد فى ذاكرته تلك القبلة

المختلسة التى اختطفتها من يده اختطافا فأحس كأن نار الحب يسرى ضرامها من مكان تلك القبلة إلى كل ناحية من أنحاء جسمه ، وطاف بذهنه كل مامر أمامه من حب سيرسيه وشدة تعلقها به ووجدها الذى أثبتت الحوادث صدقه، وطفق يحلل كل ماأتته من الأعمال فيزيده ذلك بها شغفاً وهياما . وتتجلى له البواعث الحقيقة التى دفعت بها إلى كل مافعلته ويتكشف له أخلاصها وحسن طواياها ونبل مقاصدها.

لقد أدرك أخيراً أن سيرسيه محبة صادقة فى حبها. ولو أنها ممن يماذقه الحب لما أبهت له ولا شغلت بالها به إلى مثل هذا الحد ولانصرفت إلى عشاقها الكثيرين الذين لايترددون لحظة واحدة فى تلبية أشارتها وانفاذ رغباتها ،وذكر أنه لم يقدم لها هدية ولا هو غنى فيطبيها غناه وتستميلها ثروته . وهكذا تضافر كل شيء وتكاتفت كل ظواهر الأمور وبواطنها على تفسير حبها أياه بمعناه الصحيح الذى كان جديراً أن يفهمه من قبل على حقيقته ،ولقد ظهرت له سيرسيه فى أحلامه ملكا هابطاً من السماء مرة ثم صاعداً اليها مرة أخرى، وبما رأى هذا الملك السماوى جاثماً بين يديه أو طائراً فى أجواز الفضاء أو محلقاً معه فى اجواء السعادة والهناء وربما خيل اليه أن حبلا من حبال الأمل قد تدلى به من السماء وأنه متعلق به وحبيبته سيرسيه، وقد بدأ يرتفع بهما وهما صاعدان حتى بلغا ذروة الرجاء وأشرفا على عالم بهيج تغنى فيه الطيور الجميلة . وتسطع فى سماواته شمس السعادة وتنمو فيه أزهار الحب ناضرة فرحه وربما أحس كأنما يدها البيضة الناعمة تلمس كتفه برفق . فأفاق من سنته متهيئاً لعناقها . فلم ير أمامه أحداً . فانثنى إلى تأملاته مستأنفاً أحلامه السارة من جديد، ولم تكن سيرسيه تبدو له فى ذلك الحين الا متحلية بأجمل مايتحلى به الحبيب لحبه من حلل الحسن الضافية وحلل الطهر والعفة والأخلاص، حتى لقد هم مراراً أن يذهب إلى بيتها جرياً على قدميه ليظفر بلثم وجناتها وينعم بقربه منها. متملياً بمحاسنها المتجددة الباهرة، على أنه لم يلبث أن تملكته هذه الفكرة بعد قليل وامتلأت بها نفسه فذهب إلى بيت حبيبته سبرسيه :

٭٭٭

ونعود الآن إلى منزل سبرسيه فنرى العم جون واقفا يسأل الخادم السوداء عن سيدتها سبرسيه فتجيبه محزونة —: لقد غادرت المنزل منذ هنيهة تاركة لك هذه الرسالة .
فيسرع العم جون إلى فضها وقراءتها، ولا يكاد يأتى على آخرها حتى يتملكه الأسى

وينهه الوجد إذ يقرأ : « بع كل شيء وسدد ديونى ثم خذ ما تبقى لك أما أنا فلا يعنيك أمرى ولا يقلق بالك مصيرى ولتثق أنك لن تعثر على مكانى إذا بحثت عنه . فلا تطلب المحال ولا تعلل نفسك بباطل الآمال والسلام عليك من الشاكرة لك على صنيعك المقدرة كل بذلته لها من معروف وقدمته من جميل » ظل العم (جون) برهة حائراً ، يعيد تلاوة الرسالة مثنى وثلاث ورباع وإنه لكذلك إذ حضر الطبيب فاذا رأى العم (جون) حياه مستفسراً عن سيرسيه فلم يجبه بأكثر من إعطائه رسالتها التي تركتها مع الخادم منذ هنيهة ، وثم يحس الطبيب كان شراراً تطاير بين جنبيه ، واسودت الدنيا فى عينه وقد أدرك أن (سيرسيه) قد فرت فرار اليائس بعد أن سد أمامها كل أبواب الرجاء ، فأنحى على نفسه باللائمة وخجل مما أتاه من التصلب والعناد حين كان جديراً أن يسلك معها سبيل الرفق واللين والكياسة ، وبدأ يتمثل ما يستقبله من الآلام والاحزان المضنية ويرى فى الأيام القابلة ظلمات كثيفة متراكمة لاتسطع فيها اضواء الحب ولا تنيرها شمسه وكأنما أيقن أن نجم سعادته قد أفل فعاد أدراجه والهم يكاد يصمى فؤاده ، وطفق والعم جون يبحثان عن (سبرسيه) فى كل مكان يظنانها تغشاه زمنا طويلا . دون أن يرجعا بطائل، حتى كاد يخامرهما اليأس . أما سبرسيه فقد علمت أن الطبيب الذى تقدسه متفانية فى حبه قد أخطأ فهمها وأساء الظن بها وعرفت معرفة اليقين أنه لم يحكم عليها إلا بظاهر أمرها دون أن يعنى نفسه باستكناه حقيقة حالها وطهارة نفسها، علمت (سبرسيه) أن الطبيب الذى ناطت به كل أمل فى إسعادها يحتقرها احتقاراً ،وأى شيء أدعى للحسرة وأجلب للألم من رؤية من لا يعبأ الأنسان بأحد فى العالم إلا به ولا يهمه رضى سواه أو سخطه ، أى شيء أنكى من سخط هذا الحبيب الذى لا يهم الأنسان أحد سواه فى كل هذه الأرض الفسيحة

فليتك تصفو والحياة مريرة ... وليتك ترضى به والأنام غضاب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

***

ولكن ماذا تعمل سيرسيه وقد رأت أن كل من يستوى عندها حبهم وسخطهم يهيمون بها هياما ولا يترددون فى تلبية أية اشارة من اشاراتها . فى حين أن معبودها الذى ينير لها حبه طريق الحياة لا يفكر فيها ولا يهمه من أمرها شيء . لم تجد سيرسيه أمامها وسيلة تلجأ اليها

فى الحياة ــ بعد أن كرهتها وكرهت كل ما فيها . إلا الرجوع إلى أمنيتها الأولى التى طالما عجزت عن تحققها فذهبت ميممة ملجأ حداثتها ومطمح أحلامها من قبل وهو الدير . فلما بلغته مرت بذكرها طائفة من الذكريات المختلفة ولم تكد تطأ قدماها بابه حتى أيقنت أنها تستقبل عهد الدعة والطمأنينة ومرت الأيام تترى وهى ترتل صلواتها مبتهلة إلى الله مازجة دعاءها وصلواتها بذكر حبيبها الذى يئست منه إلى الأبد ومر أمامها مشهد الراهبات فى ساعة متأخرة من الليل ذاهبات إلى الصلاة . فذكرها ذلك بالمشهد السابق الذى رأته وهى طفلة وتعاقبت الأيام وهى منصرفة إلى العبادة مازجة الصلاة بالحب ، تجلس حولها فتيات صغيرات تعلمهن فى حديقة الدير باسمات حولها فرحات بما يتلقينه منها مؤتنسات بأحاديثها الجميلة

وفى ذات يوم لمحت إحدى تلميذاتها تعدو نحوها مسرعة قائلة هاهى الآنسة (مارى) مقبلة فأسرعت سيرسية إلى لقائها ولكنها ، ولكنها لم تكد تجتاز باب الحديقة وتخرج من الدير إلى عرض الشارع حتى دهمتها سيارة مسرعة فى منتصفه فكسرت ساقيها وغابت سيرسية عن الوجود فحملوها وهى فاقدة الرشد إلى مستشفى الدير حيث بدؤا يعالجونها .

نعود إلى الطبيب العاشق فنراه يعدان بحث فأضناه البحث وفتش عن سيرسية فى حيثما عن له أن تكون فأعياه الأمر وانتابه اليأس من العثور عليها وأيقن أن كل مجهود يبذله فى هذا الصدد ضائع ومآله الفشل والخيبة ، كف عن البحث مستشعراً اليأس من لقائها قانعا بالتمتع بها فى عالم الخيال والأحلام بعد أن عجز عن التمتع بها فى عالم اليقظة والحقيقة

ولكن الدهر أبو العجب وأضيق الأمر إن فكرت ـ أوسعه ، وكثيرا ماينبلج صبح الأمل بعد أن يحلولك ليل اليأس ويشتد ظلامه

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ٭ يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فقد خرج الطبيب ذات يوم وكلبه يرافقه فلما بلغ مكانا مزدانا بالأزهار والخضرة جلس ولم يكد يستقر فى الجلوس حتى بدأ يداعب كلبه ولامر ما ألقى اليه عصاه على أبعد مسافة استطاعها فأسرع الكلب يعدو فى أثرها باحثاً ولكنه عاد بعد قليل وفى فيه شىء غيرها ، فلما داناه تبين الطبيب أنها مذكرات ، ولشد ما غمرته الدهشة

حين رأى اسم سيرسية مكتوبا عليها فأقبل على مطالعتها بلهفة المشوق وهو يكاد يلتهمها التهاما وزادته مذكراتها اقتناعا بطهارة نفسها ونبل مقاصدها ، على أنه لم يطل به البحث وهو يقلب صفحاتها فقد رأى فى ثناياها عزمها على الذهاب إلى الدير المقدس (أورليان) وما كاد يقع بصره على هذه الجملة حتى طفح وجهه بشرا وامتلأت أرجاء نفسه بهذا الاكتشاف الباهر غبطة وأنسا ، حتى خيل اليه أن الكون بأسره باسم له وأن ليس فى هذا الوجود الاطلاقة وسرور شامل ولاح له فجر السعادة المنبلج تبدد أضواؤه ظلام اليأس وتقشع سحب الخيبة التى كانت غائمة فى نفسه فكر ، راجعا إلى العم (جون) ليخبره بهذا الاكتشاف الرائع الذى هداه اليه حسن طالعه

ونرى منظرا آخر فيه راهبات الدير يدعون دعوات حارة صادرة من أعماق قلوبهن مصليات ضارعات إلى الله أن يمن على سيرسية بالشفاء العاجل من تلك الصدمة القاتلة ونرى طبيبين فى حجرة (سيرسيه) المريضة يتهامسان فيها مقررين عجزهما عن شفائها ويأسهما من انهاضها من كبوتها ولكن أحدهما يقترح على زميله أن يسلكا معها سبيل الايحاء وان ينميا فيها هذا الاعتقاد المتأصل فى نفسها . وثم قال لصاحبه « مادامت بنوهم أنها قادرة على المشى فماذا علينا إذا جاريناها فى اعتقادها وأدخلنا فى روعها أنها شفيت وأنها تستطيع السير الآن ، لعل ذلك يكون من أسباب شفائها ، وان كان الامل فى نجاحنا ضعيفا ، ولكن لتكن هذه هى التجربة النهائية » وثم يقولان لها وها أنت ذى قادرة على المشى فانهضى أيتها الفتاة » وتحاول الفتاة تلبية هذا الطلب فتشرع فى النهوض مع ما تكبدها تلك المحاولة المتعبة من الجهد وتنهض متثاقلة معتمدة ذراعى الطبيبين حتى لا تسقط إلى الارض فاذا تركا ذراعيها القياها لاتتماسك بيد أنها تعتصم بالجلد محاولة أن تغالب ضعفها وتأبى قدماها الخائرتان أن تحملاها فتترنح ترنح من يوشك أن يهوى ساقطا الى الارض وانها لكذلك إذ يدخل حبيبها الطبيب فلا يكاد يقع بصره عليها حتى يناديها باسمها « هذه هى أنت ياسيرسية»

أى صوت ملكى تسمعه أذناها وأى حلم جميل تراه فى يقظتها فلا تكاد تصدق أنه حقيقة واقعة فتنظر إلى حبيبها مشدوهة وهى مرهفة أذنيها مستجمعة حواسها الضعيفة وقواها الخائرة فتسمع صوته الساحر يناديها ثانية «هلمى إلى ياسيرسية هلمى إلى !» فلا يتم هذه الجملة

العذبة الخلابة حتى يتبدد كل شك فى نفسها و توقن أنها يقظة غير حالمة ؛ وتنظر فتجده فاتحا ذراعيه اليها فتمد يديها اليه ، وكأنما نسيت ضعفها ويأس الاطباء من شفائها و عجزها منذ لحظة عن الوقوف على قدميها فضلا عن السير ، وكأنما أنساها الظفر كل شيء إلا ما تحلم به من ادراك السعادة الوشيكة بقرب حبيبها الذى قطعت الأمل من لقائه فتستمسك فى الحال و تتحرك قدماها نحو حبيبها تحركا وئيدا، وتخطو اليه خطوتين فأذا رأت ذراعيه تستقبلانها ارتمت فى أحضانه، وتنطبع على شفاههما قبلة فيها كل معانى البث و الجوى ؛ و تمر بهما لحظة تتضاءل أمامها كل لذات الحياة و مسراتها ، وتريد (سيرسيه) أن تستيقن متثبتة من أنها فى اليقظة فيشتد التصاقها به وتسأله:

« ألست حالمة ؟ أحقا انى ظفرت بالسعادة بقربك فيضمها حبيبها إلى صدره ضمة الموله المشغوف وهو يقول : « كلا لست حالمة بل أنت بين ذراعى وستكونين لى وحدى مدى الحياة » !

« تمت » « ك . ك . »

فى سبيل الفن

بقلم الرسام المصرى الشهير الاستاذ شعبان زكى

أعط طفلا قرطاساً وقلماً فما أسرع ما يبدأ بالتخطيط ، وما أسرع ما يظهرك على رسمه وهو فخور . فخور بأن جهده الذى ترى دليل رغبة عنده فى التعبير عن غرض له معلوم .

هذه الرغبة الجميلة عند الأطفال مهملة جد الاهمال عند الآباء . فهم يميلون إلى اعتبار أن الوقت المبذول فى تعلم الرسم عبث وضياع

كان هذا الاعتبار سائدا فى العالم منذ نصف قرن حيث بدأت ظاهرة الفن الايضاحى والفن الاعلانى تظهر فى عالمى التأليف والاتجار . ونقول — زيادة فى الايضاح — إنه منذ خمسين عاماً لم تكن الصحف لتحوى صورا فنية اللهم إلا بعض رسوم ضئيلة فى الاسبوعية منها ، كما كانت وسائل النسخ ركيكة باهظة التكاليف إلى حد جعل الناشرين أنفسهم يفقدون الحماسة فى هذه السبيل .

أما اليوم فالحاجة ماسة على الدوام إلى الصور والرسوم — فى كل فرع من فروع الحياة ولشتى الأغراض — بل ان أسباب هذه الحاجة لتطرد فى الزيادة على مر الأيام .

***

فالطفل الذى يشجعه عائله على مزاولة الرسم — وهو صغير — واصل حتما اذا هو ثابر — إلى درجة يجد نفسه قادراً بها على الدخول فى مضمار الحياة ، وانه لمضمار جليل الشأن فى هذا الزمان

لقد كان يقال دائما إن الفنانين كالشعراء يولدون كذلك ولا يهيئون ! على أن الواقع ليس هكذا على الدوام . صحيح أن فى الناس كثيرين ينشأون ذوى مواهب فنية تجعلهم بحيث يأتون فى الرسم بما لا يستطيعه غيرهم ممن لم يؤتوا مواهبهم — ولكن التجارب قد أثبتت أن الطالب غير الموهوب قد يفوق بالالتفات والجد أولئك الموهوبين — بل وقد يصل — بطول الدرس — إلى حيث يحتل معهم أول الصفوف ، وقد يأخذ فيهم مركز القيادة فى بعض الأحايين .

من الجائز المقبول اذن أن يقال : إن لأى طالب أن يتعلم الرسم . وليس يعوزه فى هذا المطلب غير الرغبة فى العلم (علم الفن) وأستاذ متمكن يهديه .

ولأن تستطيع أن ترسم أو تصور كل ما يعن لك مما تتخيل أو ترى أو تحس، أمر محبب كما لو كنت بحيث تستطيع العزف على الكمان أو العود أو المزمار — ولكنك لن تجد راغباً فى سماعك كعازف، إلا حين تكون القادر المجيد على العزف — وكذلك أنت لن تكون الرسام الكبير مالم ترج بضاعتك فى المعارض — أسواق الفنون

***

من كان ذا ولع بالموسيقي فواجبه أو واجب أولياء أمره أن يغذوه على الدوام بعذب النغم ، ومن كان مشغوفاً بالرسم والتصوير فعليه أو على ذويه أن يرسلوه بين الخطوط والألوان، وان فى العالم اليوم لشباباً كثيرين ليسوا من الأعلام المشهورين لكنهم يربحون — كرسامين موضحين أو مصممين فى فن الاعلان مثلا — من مائتى جنيه الى ثمانمائة فى العام ، ومن بين الصفوف التى تضم هؤلاء الشبان يخرج الجهابذه الأعلام

ذلك شأن ناحية من الفن الجميل ، ونقصد بها فن الاعلان ، وان مصر لمحرومة كل الحرمان — وحرمانها هذا هو الذى يدعو القادرين المخلصين أن يقوموا بالواجب مشفقين ، وهو الذى يحدوهم أن يقاوموا المحال فى هذا السبيل

***

ان الرواج المحسوس فى ميدان الصناعة والتجارة اليوم — ولا نقول فى كل أنحاء الميدان — انما هو نتيجة مباشرة لفن الاعلان . كما أن فن الاعلان مدين كذلك لهذا الميدان الذى وسعه بكل ماحوى من خطوط وألوان . وانا لاندرى أيهما الأبر على التمام ! فان أحدهما ـ مستقلا عن الآخر ـ لايدر بما يدرانه مشتركين ـ فالتعاون بينهما كالتعاون فى كل ماعداهما ، أصل الخير فيهما والاقبال .

قد يقول البعض إن المادة متلافة لكل فن ـ فاحتكاك الفن بالمادة فى مثل هذا الميدان يقضى على روح الفن ولو بعد حين ... ! ونقول نحن إن فى فن الاعلان إعلانا

للفن تقرؤه الجماهير فى يسر وفي كل غدو و رواح ، وفى فن الاعلان تحس هذه الجماهير بالجمال والفن قبل أن تدرك منه الهدف المرسوم - يكون فن الاعلان عاملا فى ترقية الاذواق فى البيئة التى ينتشر فيها بقدر ماهو عامل فى ادخال المسرة بما ينطوى عليه من بهجة الالوان الى جمال التأليف الى روح الابتكار

تلكم المزايا فيه ملازمة له مذ كانت النفوس بطبيعتها ميالة الى الرسم ، و لزامها من يجعله أداة صالحة للرواج على مر الدهور

فاذا التفت الى ذلك الفن الفنانون، و اذا أدرك الممولون منا تلكم المزايا الجسام، فما أيسر أن يوجد بمصر (فن الاعلان) ، وما أسرع ما يصل الرقى أساليب الطباعة و النشر فى قطرنا العظيم ، وما أجل ما يدر من الخير على كثيرين

و بذلك تصبح مصر، وهى لا تقل عن أمم الغرب التى أخذت تدين اليوم بفن الاعلان، في جميع مرافق الحياة - فى الاقتصاد وفى الدين وفى السياسة وفى كل ما يخطر بالبال ، حتى لقد باتوا يسمون هذا العصر بعصر الاعلان

فهل لفنانينا أن يعملوا معنا على نشر روح الفن من هذا السبيل ، وهل لممولينا أن يدركوا هذا الخير العاجل الوفير ؟

ضاحية المطرية (القاهرة) شعبان زكى



هذى طباع الناس معروضة

فخالطوا العالم أو فارقوا »

« أبو العلاء »

ذاع فى فجر نهضة أوروبا أسماء ثلاثة من أساطين الكتاب ، عدوا — بحق — من أكبر مجددى عصر الآداب ، وهم « دانتى » خالق اللغة الايطالية ، و« بترارك » و« بوكاتشو »

قد اشتهر دانتى بكتابه المرسوم برسالة الغفران La Comedie Diuine وهو الذى احتذى فيه نهج أبى العلاء فى رسالته المعروفة بهذا الاسم ! واشتهر « بترارك » بشعره ونثره الذائعين وهما — عند الايطاليين — فى أعلى طبقات البلاغة ! .

أما « بوكاتشو » فقد اذاع صيته ، وخلد ذكره . كتابه الفذ ، « ديكمرون » وهو مجموعة قصص خالدة ، جمعت إلى رشاقة الأسلوب أفتنان الروائى و براعة الساحر ، وكان لها أكبر أثر فى كتابة قادة الفكر فى أوروبا ، أمثال « موليير » و « فولتير » و « جوتييه » وغيرهم — وهم كثيرون — فترسموا خطاه وجعلوا من بعض هذه القصص ، نواة لمؤلفات رائعة كتب لها الخلود

العجوز وتقويمه السنوي

كان فى مدينة « بيزا » قاض مشهود له بالذكاء والكفاية ، ولكنه — رغم ذلك — على جانب عظيم من الضعف وخور العزيمة ، وكان بالغاً من الغنى أقصى حد ، واسمه

«ريشارد دى كوينتزيكا Rehard de Quinzica» وكان يظن أن سعادته لا ينقصها سوى الزواج ، حاسباً أن طبيعة جسمه لا تزال قادرة على أداء ما يتطلبه من فروض، كما يؤدى عمل القضاء الذى يزاوله بحذق وكفاية ، فجد فى طلب الزواج باحثاً عن زوج حائزة مزيتى الجمال والشباب ، وقد كان — على العكس من ذلك — جديراً أن يبتعد جهده عن هاتين المزيتين لو عقل (١) !

اهتدى إلى طلبته ووجد الفتاة التى كان يتخيلها وهى « بارتلومى» ابنة السيد «لوتو جالندى» وكانت على الحقيقة من أجمل نساء « بيزا » وكان وجهها — لقسامته وصباحته — أجمل وجه فى عالم الحسن :

بارتلومى

تمت حفلة العرس ، ودخل القاضى العجوز على الآنسة الشابة ، وبدأ معها «التمرين المحبوب» ولم يكد ينتهى منه حتى خارت قواه وبلغ ضعفه أقصاه! أجهده وأنهك جسمه تمرين واحد . فما العمل اذن ؟ حاول فى الغد أن يعوض مافقد من قواه المنهوكة فتهافت على شرب النبيذ وغيره من الأشربة التى تقوى الجسم. فلم يجده شىء من ذلك

وثمة بدت له حقيقة أمره وعرف مدى ضعفه وعجزه عن الوفاء بحق زوجه الفتاة ، فطفق يلتمس الحل للخروج من هذا المأزق الحرج ويعمل فكره وذكاءه للوصول إلى طريقة يستر بها ضعفه وعجزه عن زوجه . فاهتدى إلى طريقة فذة هى أن يدخل فى روعها أن فى السنة أياماً خاصة لا يجوز للزوجين فيها أن ينعما بلذات الزواج . وعثر

---

(١) ما أجمل قول المعرى فى هذا المعنى :

إذا كانت لك امرأة عجوز ... فلا تأخذ بها أبداً كعابا

فان كانت أقل بهاء وجه ... فأجدر أن تكون أقل عابا

على « تقويم » قديم من تلك التقاويم المطبوعة لتدريب الأطفال على القراءة، وزاد على تلك الأيام أياماً حتى كاد يجعل العام كله أعياداً ومواسم لا يجوز فيها للزوج أن يدنو من زوجه، حتي لا يقعا فى إثم أو يرتكبا خطيئة. فقدأضاف اليها أيام الذكرى وأيام الصيام وأصوام الفصول الأربعة وأيام الآحاد الخ الخ .

حرمت زوجه من لذات الزواج فضاق صدرها وضوعف سخطها ونقمتها ولم ينس الزوج أن يرفه عنها بوسائل مختلفة فكان — بين حين وآخر — يخرج معها إلى حقوله « فى الجبل الأسود » ويتنزهان معاً على شاطىء البحر

وفى ذات يوم ابتكر نزهة لطيفة ليملأ قلبها سروراً وفرحاً . فاصطحبها معه إلى البحر لصيد السمك بعد أن أعد لهذا الأمر عدته — وأحضر سفينتين كبيرتين احداهما له ولأصدقائه الأعزاء والأخرى لزوجه وصواحبها، وشرعوا فى الصيد وطاب الهواء وأبحرت السفينتان مسافة بعيدة وصفا الوقت وعم الحبور فلم يشعروا أنهم أوغلوا فى البحر وبعدوا عن الشاطىء كثيراً . وأنهم لكذلك إذ دهمهم قرصان معروف فى ذلك الزمن بسطوته وشدة بطشه اسمه « باجامين دى مونيجوى » فقطع عليهم هذا السرور .

قصد القرصان إلى سفينة النساء. وأجال بصره فيهم فلم يجد أجمل ولا أبدع من زوج القاضى، فأسرع اليها واختطفها (١) — على مرأى من الجميع — ثم عاد أدراجه فرحاً بظفره دون أن يتصدى له أحد .

صرخ النساء، وولول الشيخ القاضى وبلغ به الأسى والغم من هذه الكارثة مبلغاً لا يوصف . حاول بعد ذلك أن يهتدى إلى مقر زوجه المخطوفة فلم يفلح

***

أما « باجامين » فقد بهره جمال الفتاة وسلب لبه، فحمدالله على ظفره بهذا الكنز النادر المثال وسهر عليها يرعاها ويطمئن قلبها ويستعطفها عليه ويبثها وجده وهيامه بها ويغريها عن زوجها الشيخ، حتى أقبلت عليه .

ولم يكد يجن الليل حتى قلب عليها جميع لذات الزواج — على اختلافها — ومرت

---

(١) انظر صفحة ٨٥

الأيام فلم ترمنه اهتماماً بسبت ولاأحد ولا جمعة ولا عيد ، رأت كل الايام والشهور عنده سواء لانها كلها صالحة لأداء التمارين المحبوبة، لانه لا يعرف بتقويم زوجها السنوى ولا يدين بمثل تلك الترهات !



قصد القرصان الى سفينة النساء

فزاد حبها ، حين علمت أنها ارتاحت — إلى الأبد — من ذلك الكابوس الثقيل الذى طالما لجأ اليه زوجها ليتخلص به منها ، وزاد هيامها بالقرصان حتى نسيت كل شيء سواه — فأصبحت لاتذكر « الشيخ » إذا مر بخاطرها — إلا مزدرية ناقمة .

***

أما القاضى الشيخ ، فقد واصل البحث عنها دائباً غير وان ولا يائس من العثور عليها ، حتى اهتدى إلى مقرها بعد جهد . ولم يصل اليه إلا فى المساء ، ورأته الفتاة — مصادفة وهى مع عشيقها — فأخبرته بمجىء زوجها ورسمت له الخطة التى يتبعهامعه ، وزادهما ذلك شغفاً واقبالا . قضيا ليلة بهيجة ناعمين بالضم والعناق والتقبيل إلى الصباح .

فلما جاء زوجها إلى منزل القرصان — فى اليوم التالى — قابله القرصان هاشا باشا وسأله عما يريد ، فأخبره بقصته كلها ، وختمها متوسلا ضارعا اليه أن يرد له زوجه المحبوبة التى لا يستطيع السلو عنها ، ووعده بأعطائه فوراً كل مايريد من مال لافتدائها — بالغة مابلغت تلك الفدية —

فالتفت إليه القرصان ضاحكا وقال — :

«إنى أرحب بك ياسيدى ولا أكتمك أن عندى امرأة شابة ، ولكنى أجهل أنها زوجك فلم يسبق لى شرف التعرف بك ولا بها ، مذ جاءت إلى — وبما أنى أرى من ملامحك وسيماك دلائل الشرف والنبل ، فانى أقدم لك ماأستطيعه من صنيع . فأسمح لك برؤيتها . ولا شك أنها ستعرفك من النظرة الأولى إن كنت زوجها حقاً ، ومتى اعترفت بذلك ورضيت بالعودة معك ، سمحت لك بها عن طيبة خاطر ، تاركا لك حينئذ تقدير الفدية التى تسمح بها . وإنما يدفعنى إلى ذلك ماألمحه على وجهك من دلائل الشرف .

ولكنها إذا لم تعترف بأنك زوجها . أو اعترفت بذلك ثم رفضت الذهاب معك ، فانك حينئذ ترتكب أشنع الخطأ إذا أصررت على أخذها قسراً . على أنني لن أسمح لك بذلك . فهي شابة وجميلة ، وللشباب والجمال حكمهما النافذ ، وليس فى قدرتى أن أفرط فيها أو أرغمها على شيء لاترضاه !»

فقاطعه « ريشار » قائلا ــ :

كن على يقين أنها زوجي ، ومتى جمعتني بها ، ظهرت لك حقيقة ماأقول واضحة، وسترى كيف ترتمى على معانقة مقبلة متشبثة بعنقى وذراعى . أنى على ثقة من ذلك ولذلك ترانى لاأتردد لحظة فى قبول هذا الشرط

فقال القرصان ــ :

هذا حسن ، فاتبعنى لتراها إذن!

***

وثمة أدخله القرصان فى حجرة ثانية ونادى السيدة فحضرت كالكوكب المؤتلق من الحجرة المجاورة ، وأشرق جمالها فملأ الحجرة نوراً وبهجة . ثم حيت زوجها تحية فاترة، كأنها لم تعرفه ولا رأته من قبل ،وكأنه لايستحق أن تخاطبه بكلمة واحدة!

ولا تسل عما أصاب زوجها القاضى من الدهشة والحيرة من هذا البرود العجيب الذى قابلته به ، وما كان يدور بخلده لحظة واحدة أن يصدر مثله من مثلها ــ

على أنه لم يلبث أن تلمس لنفسه بعض العزاء فقال ــ : « لعل الآلام والأحزان التى لازمتنى منذ اختطفت منى إلى اليوم قد غيرت شكلى تغييراً تاماً ، فلم تعد تعرفنى، وبعد أن مر بخاطره هذا الهاجس . التفت اليها قائلا ــ :

« آه ياصاحبتى العزيزة » !

« كم كلفتنى تلك النزهة التي أعددتها لك لادخل بها السرور على قلبك حين تتمتعين بالصيد فى البحر!

كم كلفتنى تلك النزهة من ثمن فادح من الحزن والألم منذ تلك اللحظة المروعة التى فقدتك فيها . آه ! كم كنت قاسية ممعنة فى القسوة ، إذ ترينني بعد هذا الغياب الطويل فتصمتين ولا تنبسين بحرف واحد ، كأنك ماعرفتنى فى حياتك قط ؟ ، ألا ترحبين بزوجك « ريشارد » الذى جاء اليك ليرجعك معه إلى « بيزا » بعد أن يدفع عنك الفدية إلى ذلك الرجل الأمين ، الذى أبت عليه طيبة نفسه إلا أن يترك تقديرها كما أشاء ! »

***

نظرت اليه « بارتلومى » وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة ، ثم قالت له ــ :

« أيعنيني حضرة السيد المحترم بهذا الكلام ؟ أنعم النظر فى جيداً ، فلا شك أنك واهم فى حسبانك، ولعلك قد خلطت بيني و بين زوجك ، فانني لاأذكر أنني رأيتك مرة واحدة قبل الآن !

فكر مليا ياعزيزى فيما تقول . تثبت من رؤيتي جيداً فأنك — إن فعلت — تحققت أنني لست صاحبتك التي تعنيها !

معذرة ياسيدى إذا لم أنعم النظر فيك حين دخولى . فقد كانت النظرة الأولى كافية للتثبت من أنك لست زوجي ! »

***

حار القاضى المسكين أمام هذا الأنكار الجرىء ، وأطرق اطراقة قصيرة ، ثم عن له أنها لاتتكلم هذا الكلام إلا أنها فى حضرة « باجامين » القرصان ، اتقاء شره فطلب اليه راجياً أن يسمح له بالبقاء معها فى حجرة خاصة ، لينالا من الحرية فى القول قسطاً أوفر .

وما كادا يدخلان الغرفة التالية حتى جلسا ، وبدأ الشيخ الطيب القلب يخاطب زوجه ، وعيناه شاخصتان إلى وجهها ، وهى دائمة النظر إلى الأرض — :

« هيه يامالكة قلبى ، ياحبيبتى ، يازوجى المخلصة ، ياأملى الحلو ، ألا تزالين جاهلة صاحبك « ريشارد » الذى يفديك بنفسه . خبريني كيف نسيتني بهذه السرعة؟ هل وصل بى تغير الملامح إلى حد أن تجهليني ؟

تثبتى من رؤيتي مستثبتة ،فانى على ثقة من أنك تعرفينني بأدنى نظر .

***

لم تكد السيدة تسمع قوله حتى أغرقت فى الضحك ، ولم تدع له فرصة لمواصلة حديثه ، بل قاطعته قائلة — :

« إنك لتكون بالغاً من السذاجة أقصى حدودها إن حسبت أن ذاكرتى قدوصل بها الضعف إلى حد أن انساك .فلاأعرف من أول وهلة أنك زوجى « ريشارددى كوينتسيكا »

« على أنني إذا أغضيت عنك وتجاهلتك فلست حقيقاً أن تشكو مني ذلك ، وأنت الذى تجاهلني طوال تلك المدة التي قضيتها معك !

ولو انك تحبنى حقا ـ كما تحاول أن تقنعنى بذلك ـ أو لو أنك تؤثرنى كما تزعم ـ إذن لعاملتنى المعاملة الجديرة بزوج يحب زوجه ـ وهى فتية فى ميعة الشباب ونضرته ، تحب أن تنال حظها من متاع الحياة ولذاتها .

أفكنت تجهل إذن أن فتاتك فى حاجة الى أمر يمنعها أن تطلبه منك حياؤها الطبيعى المركب فى بنات جنسها جميعا ؟

أنسيت تلك الطريقة المضحكة التي طالما لجأت إليها لتخلص بها دائما من حاجاتى التى لم تقضها ؟ فاذا كنت تفضل تعاليم القانون ونصوصه ـ على المرأة ، فقد كنت خليقا أن لاتقدم على الزواج !

ولكن ، كيف أقول ؟

انى ما اعتبرتك قاضيا قط ، بل « خالق احتفالات ومواسم وأعياد » فقد ظهرت لى براعتك وخبرتك الواسعة بأيام الصوم ومواقيت العبادة !

ألا فلتعلم ياسيدى أن دساكرك وعمالك لوظفروا منك بمقدار ماتجود به على من أيام الراحة ، أو لو أنك هجرت دسكرتك كما هجرت حديقتى الصغيرة دون أن تتعهدها بالزرع ، لما استطعت أن تظفر فى نهاية العام بحبة واحدة من القمح !

ولكن الله أكرم من أن يترك أرضى بلا حرث . لهذا شاءت ارادته ـ سبحانه ـ أن يتيح لى فرصة الوقوع بين يدى السيد « باجامين » الذى لايعرف شيئا مما تعرفه من الأعياد والمواسم ولا يعنيه من أمرها شىء . أما أنت فقد رأيتك تواظب على الاحتفاء بها والبطالة لاجلها بحماسة وغيرة لم أجدهما فى أتقى الاتقياء والزهاد ؛ وتأبى إلا أن تتنسك فيها مفضلا حقوقها على حقوقى

أما هذا فليس يعرف جمعة ولا سبتا ولا عشية عيد ولا شيئا من أصوام الفصول الأربعة ولا أى عيد من أعيادك التى لاتنتهى ، بل هو دائب ليل نهار يحرث أرضى بلا ملل غير مقصر ولا وان ، وقد قضينا فى هذه الليلة قسطا من التمرين المحبوب . اذن فلا تنقم منى ان ترانى راغبة فى الاقامة طول حياتى مع هذا العامل المجد ! فان لى ذوقا فى الحياة وقد صممت على أن أكون عاملة مجدة مادمت شابة ، مرجئة أمر الأعياد

والمواسم الى زمن الشيخوخة ! ألا إن خير ماتفعله الآن هو أن تعود ياسيدى أدراجك على جناح السرعة !

فلترحل بلاوناء ، ولتصحبك سلامة الله فى عودتك فانك لن تحتاجنى فى الاحتفال بأعيادك ومواسمك التي تبتهج بها ، كما أننى لن أحتاجك فى أيام العمل التى انعم بها كذلك! »

***

صعقت هذه الصراحة الجريئة قلب « ريشارد » المسكين ، ولقد حدثته نفسه — مائة مرة أن يقاطع كلامها فمنعه عن ذلك أنه فى منزل أجنبى ، فى منزل قرصان.

فرأى من الحتم عليه أن يعتصم بالصبر ، فلما انتهت من خطبتها قال لها بلهجة المحب العانى — :

« ماذا تقولين يازوجى المحبوبة ، وكيف تحكمين ؟

خبرينى كيف نطقت بهذا الكلام الجرىء ؟

هل نسيت شرفك وشرف أسرتك ؟

أفى حدود الامكان أنك تفضلين الاقامة مع هذا الرجل وتكونين له خليلة؟ وتعيشين طول عمرك فى أرجاس الخطيئة ، مؤثرة ذلك على أن تعودى إلى « بيز » حيث تعيشين مع زوجك امرأة شريفة ؟

فكرى أنت أن « باجامين » اذا زهد فيك لم يتردد فى طردك من بيته ، أما أنا فسأظل وفيا معك لا أتحول عن حبك ماحييت متى رجعت معي الى « بيز! »

فاذا حان موتى فستظلين ربة البيت وسيدة منزله ! أفيجدر بك أن تنسيك اذن رغبة جامحة ولذة شائنة بحرمة شرفك وزوجك الذى يحبك أشد الحب ؟

كلا ياحبيبة قلبى، يجب أن تكفى عن ذلك العزم الشائن وأن لاتترددى لحظة واحدة فى العودة معى ، وأنى لأعدك — بعد أن عرفت رأيك الآن — أن أعمل على اشباع نهمتك وفق ماتشتهين . سأهجر « تقويمى السنوى » الى الأبد مادام فى هجره مرضاتك فهل تقبلين ضراعتى اليك يا ربة الحسن ، وهل تقلعين عن عزمك وتذهبين مع زوجك الذى لم ينسك منذ اللحظة التى اختطفوك فيها منه فأصبح نهب الاحزان والآلام والضجر ! »

***

فأجابته الزوج — :

« الآن — وبعد فوات الوقت — جئت تحدثني عن الشرف ، وقد كان على أبوى أن يعنيا بأمره من قبلى . حينما شرعا فى تزويجى منك دون أن يستشيرانى فى ذلك ؟ فاذا كانا لم يعنيا بأمرى حينذاك فلست أعنى بأمرهما الآن !

أما أنت فهدىء روعك ولا تشغل بالك بأمرى ولا بأمر أهلى، على أننى مضطرة الى مصارحتك بالحقيقة كاملة :

اعلم أننى أشعر الآن كأننى زوج القرصان الشرعية، وقد كنت أشعر وأنا معك فى « بيزا » شعورا صادقا أننى لست لك إلا « خليلة » أو أننى امرأة لم تضعها فى بيتك الا للزينة ، كنت أشعر أنك تحتقرنى وتفعم قلبى بالآلام بلا شفقة باعراضك عنى .

أما « باجامين » فهو رجل آخر ، هو لى الزوج الحق ، إنه ليضمنى طول الليل بين ذراعيه ضما شديدا و يلاعبني بألف طريقة، فاحكم بنفسك أيمكن أن أندم بعد على فراق مثلك وتقول — : « إنك ستبذل جهدك فى تلبيته رغباتى، فما اكثر شوقى الى تعرف ذلك السر الذى اهتديت اليه فأصبحت قادرا على الوفاء بهذا الوعد ؟ هل أحالتك المصادفات الخارقة — بعد أن غبت عن عينك — من شيخ فان الى جبار فتى :

اذهب لطيتك واعمل بما أقول لك ، ولا تفكر إلا فى الأيام القليلة الباقية لك فى هذا العالم ، حتى يواريك القبر فيريحك من ضعفك واصفرارك وهزالك !

بقى لى أن أقول لك — مطمئنة الى تقرير ما أقول — : إن « باجامين » إذا طردنى فلن يكون بيتك مأواى الذى اتطلع للعودة إليه ، فان من العبث أن يجدفيك الفاحص — بعد أن تعصر — قطرة واحدة من ماء الحياة تجرى فى جسمك كله — كما أثبتت لى التجربة التى اتاحت لى فرصة ممارستها شقاوتى وتعسى ، إذن ، فاطرد من ذهنك كل فكرة من هذا النوع ، وأيقن أننى سأبحث عن ضالتى فى كل مكان إلا مكانك، على أننى لا أخشى أن ينصرف عنى قلب « باجامين » فاننى عارفة بعواطفه وحقيقه شعوره نحوى . وأنى لأكرر لك القول مرة أخرى أن فراقي قد بت فى أمره ؛ وأنى جديرة أن أعيش هنا . حيث لا نعرف للاعياد والمواسم وأيام الصوم معنى .

فارحل إذن ولا تضع من وقتك أكثر مما أضعت ، وإلا فانى أخرج مستعدية عليك القرصان ؛ قائلة له إنك تريد أن تقسرنى على الذهاب معك ! ! ! »

☆☆☆

ولما رأى السيد « ريشارد » ما لحقه من إساءة « بارتلومى » أدرك خطأه الذى وقع فيه إذ تزوج من فتاة صغيرة لا يتناسب سنها مطلقا مع سنه ، وتفرق بينهما هاوية سحيقة هائلة فخرج من الحجرة خجلا مستخزيا ، يفعم اليأس قلبه

ولما شيعه « باجامين » التفت صاحبنا متمتما بكلمات تدل على أنه قد وعى هذا الدرس القاسى وأدرك شناعة الخطأ الذى وقع فيه .

وهكذا خرج « ريشارد » الطيب القلب ، بعد أن رأى فشل خطته وانهزامه فى التأثير على نفس زوجه ، وكم كان يود أنه لم يضع فى هذا البيت قدما .

قصد الى « بيز » مسرعا بلا ونام ، وقلبه مملوء باليأس والحسرة لما منى به من الفشل فى سفرته ، ولم يلبث أن أنهك جسمه الحزن والألم اللذان سببتهما له خيانة زوجه ! ! !

أما مواطنوه فقد كانوا أبعد الناس عن الرثاء لما أصابه فاتخذوا من السخرية وسيلة الى العبث به والضحك عليه ، فكانوا يشيعونه — فى حيثما ذهب — بقولهم — :

« الغراب الخبيث » « السيد القاضى لا يريد الآن اعيادا »

وقد زادته هذه السخرية آلاما على آلامه فلم يعش إلا أياماً قلائل انتهت بموته !

☆☆☆

ولم يعلم صاحبنا « باجامين » بموت القاضى ، حتى تزوج من تلك السيدة التى كانت يقدر لها عطفها وإخلاصها ، ولم يغير عقد الزواج الشرعى من طريقة عيشهما شيئاً . فقد واصلا العمل فى تعهد الحديقة الصغيرة وحرث أرضها بكل ما أوتيا من قوة ، وظلا عائشين معا طول عمرهما ، لا يعرفان شيئاً من أيام الصيام والأعياد ولياليها ! ! !

تمت

أبو شادى شاعرا

-١-

قبل اليوم وقفنا من أبى شادى موقفا تاريخيا موضوعيا حين عرضنا لديوانه المشهور « الشفق الباكى » أو حين عرض هو لاذاعة هذا الديوان ونشره فى الجمهور ، واظننا استطعنا هناك أن نظهر الجمهور على شىء من العوامل التى لابست حياته وطبعت شعره طابعه الخاص سواء فى الموضوعات أو الأساليب أو النزعة التجديدية القوية . . ولكن يظهر أن تلك الوقفة لم تقنعنى كما لم تقنع كثيراً من قرائه المعجبين به والذين يحبون استظهار الفكر الرئيسية التى تسيطر على نفس هذا الشاعر وتسود شعره ... فكان لابد من الالمام به المامة — وان تكن عجلى — فلقد يكون فيها بيان موقفه فى هذه النهضة الحديثة. نهضة الأدب العربى عامة والشعر خاصة ، ولا أتنبأ بنتيجة هذا البحث وما قد يكون فيه من الخير أو الشر للشاعر أو الشعر نفسه ، فتلك مسألة لا أحب التفرد بالحكم فيها وبحسبى أن أحاول شرح ما أراه ، والناس أحرار فيما يرون ماداموا معتمدين على دراسات وبراهين .

مسألتان أحب أن أقدم بهما هذا البحث أما احداهما فميزة الشعر من ناحيته الفنية وأما الثانية فعلاقة الشعر بعصره وبروح هذا العصر من حيث الثقافة والنزعة العالمية

حقا إن النظرية الانجليزية هى أن الادب نقد الحياة ومعرفة الانسان نفسه وما حوله، وسواء أكانت هذه النظريه من مستحدثات هذا العصر أم هى بعينها نظرية القدماء من فلاسفة اليونان الذين يقولون « اعرف نفسك قبل كل شىء » . فانها من غير شك تفيدنا فى هاتين المسألتين، إذ يقولون أيضا إن مهمة الشاعر — مثلا — ليست فقط فهم المعانى والاحاطة بموضوع مسألته وفقهها ، وإنما المهمة العظمى هى السبيل التى يتخذها لأداء رسالته، ومعنى هذا — بالتعبير الاصطلاحى — أن مهمة الشاعر هى فى فنه وما يسدله على الحقائق والموضوعات من دقة التصور وحسن الخيال والتصرف فى الحقائق بما يجعلها سائغة جميلة تمتاز فى الشعر عنها فى النثر . وهنا نقول لا بأس على الشعر أن يكون مستقر الحقائق مهما تكن، ولكن من الناحية الفنية فقط، حتى يكسبها الشعر جمالا

يزيل جفاءها ويتحامى براهينها ومنطقها الرسمى لتكون حلوة حارة صادقة. وهنا تسقط أول شبهة لاولئك الذين يعيبون على أبى شادى تناوله المسائل العلميه حين يشعر متأثرا بنفسه أو بدراسات بعض الأدباء الغربيين ، ولو أن أبا شادى كان عالماً فقط ينظم لنا المسائل العلمية الخالصة لكنا أسبق الناس إلى الثورة فى وجهه ورفض شعره ، أما وهو يشعر فى ضوء العلم ويتخذ من ثقافته العلمية مصفاة للشعر من السخافات وملهمة لكثير من التصورات والفكر فليس فى ذلك من عار ولا عاب ... ولست أغلو ، بل أقول أن علم أبى شادى قد يطغى على عاطفته . وقد يكون ذلك لسرعة اتجاهه أو لأننا نحن متأثرون بنزعات شعرية خاصة تجعل مثل هذا الشعر فى بعض الأحيان غريباً عنا أو سابقا لأوانه ، وسأعرض لذلك مرة ثانية فى هذا المقال

***

وأنت بعد هذا تستطيع أن تجد فى شعر أبى شادى وغيره صورا شتى لقيمة هذا هذا الفن الشعرى فى تجميل الحقائق والتأثير فى النفوس واجتذابها مصداقا لرأى أناتول فرانس الذى يرى أن الفنون تسر ، وعليها ان تجذبنا إليها بما فيها من سحر البلاغة وقوة الأداء — خبرنى ما الذى راعك فى قول ابن الجهم لما صلب :

إن يبتذل فالبدر لا يزرى به أن كان ليلة تمـــة مبذولا
ماعابه أن بز عنـــه ثوبه فالسيف أهول مايرى مصقولا

هل تجد فى هذا الشعر إذا صفيته أكثر من محاولته رد الشماتة فى عريه وابتذاله بأسلوب لو قسناه بمقياس الحقيقة الخالصة لسقط وكان صفرا ، فأين حاله من السيف المنصلت بل من البدر المكتمل ؟ .. ولكن انظر كيف حاول الرجل اقناع عواطفنا — وأخشى أن أقول وفكرنا — بأن ما حدث له إنما هو أمر عادى بل جميل مقبول ينال البدر فيكون جليلا والسيف فيكون مهيبا مخوفا

ولقد ذكرت لك هذا المثل لتعرف قيمة الفن فى الأداء ومقدار صلته بالحقائق العلمية وغيرها ، ولو كان الديوان أمامى الآن لأظهرتك على شىء كثير منه

وهناك مسألة أخرى تتصل بالنقطة الفنية اتصالا وثيقا هى أسلوب هذا الشاعر ، أما أنا فكما ذكرت ذلك — فى غير هذا الموضع — أرى أن الدكتور أبا شادى قادر على

الجزالة وقوة الأسلوب ،وشعره شاهد بذلك، ولكنه يحاول أن يكون مصريا ويتعصب للبهاء زهير ويرى فى أسلوبه اللغة المصرية المناسبة غير مبال رأى المفتونين بالموسيقي اللفظية الرنانة المقلدة ، ويعنى جل العناية بالثقافة الموضوعية والمعنوية — والحق — سواء أرضى أم غضب — أن فى أسلوب الشاعر تفاوتا واضحاً، فبينا تراه جزلا — فى سلاسة — إذ تراه سهلا مهلهلا . وأنت واجد مثل الحال الأولى فى مثل رثاء صروف وثروت والبيئة . وللحالة الاخيرة أمثلة فى ديوانه . ولا شك أن المتأثرين بالشعر القديم لا يرضون الا بالشعر فخما رنانا غير معنيين بروح العصر وما استلزم من استحالة لفظية.

أذكر ذلك لأنى رأيت جماعة من المتأدبين يذهبون فى هذا الشاعر مذهبين متناقضين، فمنكر عليه، متطرف ومتعصب له غال، ونرجو ألا نكون من أحد الطرفين ولا أذكر مذاهبه اللفظية فى الشعر من حيث الوزن فذلك قد وفيته فى غير هذا المكان.

— ٢ —

المسألة الثانية وهى هامة قويمة . صلة الشاعر ونوع رسالته ومقدار الصلة بينه وبين ما تتطلب الحياة من جهد شعرى .. فالانسانية وخيرها ،والتعاون العالمى ،والتفاؤل التام ، أظنها تلخص رسالة أبى شادى تلخيصا مقبولا .. ولكن أين تلك من مهمة الشاعر . وهل من وظيفة الشاعر أن يكون رجل اصلاح وداعية خير مع أنه رجل فن يبعث فى النفوس اعجابا بأدائه مهما يكن لونه ؟

وهذه المسألة تحوجنا الى استعراض التاريخ لفكرة الشاعرية فقد كان الشعر قديما مظهرا للفردية يظنه صاحبه — والناس معه — نوعا من الفكاهة والتندر لا يبغون من الشاعر زعامة أو نبوة وإصلاحا ،فعاش الشعر بسيطا سقيما يعبر عن عاطفة صاحبه فقط وهذا ما يميل إليه بعض المتأدبين اليوم الذين ينكرون علينا صلة الشعر بعصره الاجتماعى والسياسى والعقلى . . . ولكن الشعر نفسه أخذ بتوالى الزمن وتنبه الشعراء يسيطر على الناحية المعنوية للحياة الدنيا كما تسيطر الكهرباء مثلا على مادتها ،وصار بعد حين صورة للأمم والشعوب فى فترات تاريخية تطول وتقصر مع جهد الشاعر واحاطته، وآخر الأمر كان الشعر فى الدنيا روحها حين كان العلم مادتها وجسمها . فانظر إذن قيمة الشعر والأدب وتعاونهما — مع العلم والمال — فى بناء الحياة وتقويمها ؟ وكان عهد

الناس بالشاعر مادحا فاذا به اليوم ممدوح لأنه ملك و زعيم ،ولأنه صاحب دعوة و رسالة،ولأنه مرب ومهذب وعليه قسط كبير فى تكوين العقل البشرى وتوجيهه الى صلاحه .. فهل بعد هذا تنكر على أبى شادى أن يكون صاحب فكرة الخير والتفاؤل والتعاون العالمى والميل الى سيادة الانسانية ؟! نعم ان الشاعر كالفنان له أن يعرض لمظاهر الشر أو الرذيلة ولكن كيف ذلك ؟ أيغرى بها الناس و يجملها بفنه ليتردى فى حمأتها الاغرار أو الشبان فتكون العاقبة وخيمة خاسرة ؟أم يحللها ويبين عواقبها وما ينبت فيها من شرور وضلال فيكون ذلك على الأقل انصافا للحق بله تبصير الناس وصرفهم إلى الطهر والكمال .. لتكن الغاية العالمية للكون مجهولة أو معروفة ولكن الطبيعة صريحة أو مغرية تسوقنا لخدمة غايتها و تخلق الوسائل لحمل الناس على التشبث بمبادئها والنزول على ارادتها المعتدلة ..أليس الأجدر بالنابهين كما يرى رينان أن يساعدوا الطبيعة فى مهمتها الخيرة وان يعرضوا على الناس صورا وضاءة للحياة مادام التشاؤم لايجدى غير البؤس والتبرم وسوء المصير ؟!

أما أنا فلن أقنع من الشاعر أن يقف عند حد التعبير دون أن يوحى الينا برسالة تؤثر فى الحياة الدنيا والا كان الشعر والأدب مهزلة تضحك العلماء، ولا أبغى من الشاعر أن يعرض للحكم والخطابة والوعظ وإنما أرجو منه أن يبعث بروحه ومبدئه فى ثنايا قوله ممثلا وواصفا وقاصا ومورياً .. ومثله مثل المصور الماهر أو الرسام لاتعنيه الألوان والاوضاع إلا بمقدار مايبغى من شرح عاطفة أو تمثيل مشهد أو تحليل نفسيات، ولا أدرى إذا كنت هنا أشير لشعره التصويرى وكيف فتح بابه ووفق فيه ؟



لفكرة الانسانية والتعاون العالمى والتفاؤل مظاهر شتى فى خلق هذا الشاعر وفى شعره . وفى موقفه من سائر الشعراء . بل وفى ناحية أخرى لا أخجل من ذكرها هى ناحيته الغرامية وليس سرا ذكر ذلك فان المؤرخين كثيرا مايتلهفون لاستكناه مثل هذه النواحى يستعينون بها على تفسير كثير من الآثار الفنية والأدبية لرجال الفنون والاداب

اذكر أن أبا شادى كتب كثيراً من المقالات والقصائد حول التعاون الأدبى العالمى

فى مناسبات شتى، وأوقن أن روح شعره تنطق — فى صراحة قوية — بهذه الفكرة وكثيرا ماتمنى تكوين جماعات أدبية من الشعراء والكتاب والمتأدبين لهم ناد أو أندية خاصة فيها يتعارفون تعارفا عمليا ويتعاونون على نهضة أدبية شعرية يقومون بها روح هذه اللغة و يصلونها باللغات الحية ويسيطرون بهذا الأدب العربى على الحياة المعنوية بل والمادية أيضاً . أذكر ذلك والعهد قريب برابطة الأدب الجديد التى بدأها فى الاسكندرية ويحييها فى القاهرة و ينفق من الجهد والمال كثيراً ليبعث فيها حياة و قوة

يحب أبو شادى الحياة ، ويحبها بسامة، بل لايود أن يفهمها الاضاحكة، هازئا فى سبيل ذلك بعقبات مالية وأزمات مصلحية، ويمقت أولئك الذين يصرفون أنفسهم إلى الناحية السوداء و ينالون الكون بالنقمة والسخط على مافيه مما لايوافق أمزجتهم . . حقا إن الدنيا لاتخلو من شر، بل ربما كان الشر ضروريا لصلاحها وحركتها : واذا كانت غاية الشر إنما هى صلاح الحياة فلم لايكون وسيلة لازمة غايتها ذلك المثل الأعلى الذى تسير الدنيا الى تحقيقه ؟ والنهاية هى الخير على كل حال ،وهب الشر أصيلا أوغاية .وهب تلك الغاية لابد لها من دعاة . فهل من الحتم أن يكون شاعرنا داعية سخط لاتقع عينه إلا على مصارع الفضيلة وظلام الكون ؟

وهل من الحق أن ندعى على أبى شادى التقليد فى ذلك وما رأيناه شاذا عنه مرة؟ وهل نشك فى هذه الرسالة ونحن نراه فى شعره وحديثه أيضا يعرف لكل شاعر ميزته وجماله فى حين التنافر والتباغض مستحكم الحلقات بين جماعة الشعراء . نراه كالنحلة تنتفع بكل لذيذ من كل زهرة وترى الكمال موزعا فى جهات الكون وفى عقول الناس، واذن نخير للفرد أن يكون عادلا معتدلا يتلقى الخير والجمال أنى عثر به، لايعميه الوهم عن الحق، ولايفتنه الشغف فيتعامى عن الهنات : . وأحسبك ترى فى شعره هذه الصفة واضحة جلية فى غير قصيدة .

والناحية الغرامية ؟ هذه موضع العجب، وربما كانت موضع الخلاف بيننا أيضا، ولا أقول هنا الا أن الدكتور يرى فى المرأة ملهمة للشعر ومثالا لناحية فنية يتخذها نموذجه (Model) ويستوحيها أروع الخيال وأسمى التصور . . وينفر كثيرا من الناحية الغرزية

أو الحيوانية فيذهب إلى أنها متلفة لحرارة الشعر مذهبة لروعة الفن متدلية به الى أحط الدرجات .. لا بأس فى ذلك بل ربما كان هذا هو الحق .

وغرام شاعرنا حق لا صناعة فيه يقوم على حرقة ألمت به منذ الصبا وكان لها فى حياته آثار سيئة — أو حسنة كما تشاء — ولكن نتائجها للشعر كانت حسنة من غير شك ، أترك تفصيل ذلك لغير هذه الفرصة ، وإنما أقرر هنا أن أبا شادى فى هذه اللحظة الزمانية يشرف على (مثاله) أو يشرف عليه مثاله . . ولا يزال مع هذا يقول الغزل الصادق . . فكيف هذا ؟ ولأوضح ذلك — أرى أن الغزل الحار يكون مع الحرمان فينتج الشكوى الصادقة وحرقة الجوى التى تكاد تأكل الألفاظ أكلا . فاذا كان لقاء ووصل فليس بعد هذا الا الشعر القصصى الذى ينم عن اطمئنان وسرور ووصف اللقاء واللهو . . ويدعى أبو شادى أنه فى هذه اللحظة يقول غزلا حارا — وهو محق فى ذلك — مع أنه على كثب من (فينوسه) . وهنا نفترق فأزعم أنا أنه فى هذا الاقتراب أبعد مايكون بل أشد حرمانا واحتراقا لأنه متأثر كما قلت لك بالوقوف عند درجة الفن فحسب لا يحب ان يتجاوز ذلك الى ماوراءه مما يمقته ، ولأن غرامه مشوب بمصارع و مأسيات سيكشف عنها التاريخ فى الوقت المناسب . فلنترك صاحبنا هذا يحترق ما يشاء ويشدو ما أراد ولننظر فى غير ذلك .

— ٤ —

أين أبو شادى من هذ العصر ؟ الحكم فى ذلك يتطلب منا تفهم العصر نفسه وما قد يمتاز به أدبه وشعره ! فلقد بدأت الحياة الأدبية الحديثة فى هذه البلاد باحياء القديم وكان البارودى مثال هذه الخطوة الأولى فى الشعر . فشعره صورة من الأقدمين المعروفين . وهذه الخطوة لازمة اذ لا يمكن بناء الجديد على غير هذا الأساس . ولقد حاول الشعر الاتصال بالحياة الحديثة فى الشرق . بل والتأثر بالغرب . فتيسر لاسماعيل صبرى مع مدرسته أن يفيض على آثاره روحا رقيقه فرنسية فيها خيال خصب جميل رائع ولكن الأدب عامة قد اتجه بعد الحرب العالمية الأخيرة الى ناحية فلسفية علمية ولم يعد الناس يقنعون من الأديب بالأفاكيه يتندر بها دون فقهها أو تحليلها . كذلك ألحوا على المنشئين أن يكونوا صورة صادقة لعصورهم فنشأت بذلك طبقة فى مصر مالت بالشعر الى تلك الناحية العلمية

الفلسفية ونفرت كثيرا من أنواع المديح والاطراء التى بليت بانقضاء أيامها ،فهل يجوز أن يكون الشعر علما وفلسفة ؟

أما ان الشعر يصبح منظومات علمية أو فلسفية تعرض لتقدير الحقائق الخالصة والنظريات المجردة فشرع انتهى الناس من انكاره وقصروه على نظم المتون التى تسهل على الطلاب حفظ المسائل واستظهارها ، على أن تحصيل العلوم بهذا الأسلوب صار ثقيلا ممقوتا .

ولكن الشعر الذى يعيش فى ضوء العلم والفلسفة هو الشعر القويم البرىء من الخسف فترى الفن الشعرى إذا مسته الفلسفة بروحها يزداد روعة وخلودا ،وقد ذكر الناس لذلك قصيدة المعرى المشهورة فى الرثاء . . وشاعرنا هذا له فى ذلك مواقف معروفة .

***

فأبو شادى مثقف ثقافة علمية فلسفية لا أظن أنها توافرت لكثير غيره ولا سيما من الشعراء ، وثقافته هذه تظهر فى نثره الى درجة رائعة معجزة ،وتمس شعره مسا خفيفا أحيانا وقويا فى بعض القصائد حتى لتكاد تشعر أن صاحبنا عالم يملى على الناس (المراسيم) التى لامرد لها — على حد تعبير صديقنا الأديب العبقرى الأستاذ كامل كيلانى . . — وهنا يتعثر بعض القراء فيرون فى ذلك مبالغة فى تحميل الشعر ما لا يطيق أو فى سبق الزمن . . . وأبو شادى يريد أن يجعل للشعر سلطانا على مظاهر الحياة فيستوعبها سواء أكانت علما أم فنا أم أدبا — لا يحجم عن ذلك بل قد يغلو ،ولا شك أن المنصفين يوافقونه الى درجة تأثر الشعر بالرسالة العالمية التى تتمثل فيما انتهى اليه الزمن من التقدم العلمى او الفنى او الفلسفى ،فتكون تلك عصارات تنتهى الى روح الشاعر فيبرزها للجمهور فنا جميلا خالصا يغذى حاج النفوس ويقرأ فيه الناس أرواحهم وما يشعرون .

نتيجة ذلك كله أن أباشادى الآن يقف عند نهاية الطريق التى يحاول الشعر أن يصل إلى غايتها فى هذا العصر . . ولكن موقفه ليس المثل الأعلى — كما يصفه أنصاره المخلصون، كما أنه ليس مقصرا — كما قد يلاحظ ذلك بعض ناقديه ،وإنما موقفه موقف الشاعر العصرى الفاتح الذى يبدأ الجهد ويبغى الكمال !

القاهرة

أحمد الشايب

غوتفريد ويلهلم ليبنتز

ولد هذا الفيلسوف فى أول يوليو سنة ١٦٤٦ فى « ليبزغ » أى قبل موت الفيلسوف « ديكارت » بأربع سنوات، ومات أبوه لما كان له من العمر ست سنوات، وكان أستاذ الفلسفة الادبية فى جامعة تلك المدينة وكاتبها ، قال عنه « فونتانل » — إنه لم يظهر فى حداثته ميلا للعلوم والدرس ولما كان أبوه قد ترك له مكتبة محتوية على القليل من الكتب فانه ابتدأ — بعد أن درس اللاتينية واليونانية — يحفظ الشعر ويطالع خطب الخطباء مع درسه التاريخ والفقه والفلسفة والرياضيات واللاهوت. إلا أنه كان يشعر بحاجة للمعاضدة من الغير، فذهب يفتش على الحكماء فى بلدته كيما يساعدونه على تفهم العلوم وقد اضطر إلى ترك « لينبرغ » لهذا السبب — وفى سنة ١٦٦١ تابع درس منهاج تعليم الجامعة ودرس الفلسفة القديمة على الاستاذ « جاكوب توماسيوس » واطلع على فلسفة أريسطوطاليس وقال عن نفسه — فيما بعد — انى عندما كنت ادرس المبادىء الاولية فى العلوم كنت أتساءل: مم تتركب هذه العلوم وكيف تتحكم فى العقل والفكر، وكنت الاحظ أنها على شىء من الاهمية ، قد قرأت فلسفة القرون الوسطى بتمعن حسبما أمرنى معلمى، وحفظت ما ترتكز عليه من الآراء الغريبة التى تظهر عويصة فى مبادىء الذاتية من جهة تركيب المعلولات أم من جهة الله . ولكن كنت اشك فيما القن ولا اقبل من الآراء إلا مايطمئن اليه فكرى ويزيد على هذا بقوله إنه بعد تركه المدرسة الابتدائية اطلع على آراء الفلاسفة الذين عاصروه، ويذكر أنه عندما كان فى الخامسة عشر من عمره كان يتنزه وحده بالقرب من « لينبرغ » فى غابة صغيرة تدعى « روزنتال » ، ، كان يقضى الوقت الطويل فى تأمل عميق لادراك العلة الاولية الجوهرية. وكانت الميكانيكيات أول ما استرعى انتباهه .ولهذا ابتدأ بدرس الرياضيات العالية وتفهم أسرارها — وقوله هذا يطابق ماذهب اليه الفيلسوف الفرنسى « أوغست كونت » فى الفلسفة اليقينية من حيث أن المرء ينتبه أولا إلى الطبيعة من ناحية رياضية صرفة. فمظهر السرعة وناموس الأثقال والابعاد وماشا كلها تسترعى الاهتمام بدأة، ومنها يتدرج الانسان الى تفهم بقية العلوم ، وفى « يينا » تابع درس منهاج الرياضى « ارهارد فايجل » ولكنه

لم يتعمق فيه بل اكتفى بالتحليل الابتدائي وعندما كبر قال عن نفسه: «لو أني كنت «كباسكال» صرفت أيام شبابي فى «باريس» فلربما كنت وجدت سهولة أكثر فى حفظ العلوم» .

فى سنة ١٦٧٤ كتب أن «باكون» و«غاسندى» أول من أثرا فيه، فأسلوبهما الاعتيادى الشائع كان يطابق نزعته تمام المطابقة . وقال - مع إنى كنت قد اطلعت على آراء «غاليليه» و«ديكارت»، إلا أنى لم أكن يومذاك مهندساً فلم أهتم بما ذهبا اليه - وكان تثبت وجود الفراغ والجواهر الفردة التى نعرفها بداهة اليوم، ولكنها كانت فى عصره من أصعب المسائل. وفى سنة ١٦٦٦ أى عندما كان دون العشرين من عمره ألف كتابا قيما فى الفنون، ورفض أن يكون واعظا حبا فى متابعة درسه العميق مفضلا الابتعاد عن رجال السياسة والعلم، قال «فونتانل» - عندما أحرز «ليبنز» شهادة الدكتوراه فى الحقوق وذهب الى «نيرمبورج» ليواجه العلماء علم أن فى تلك المدينة جمعية قوية من الشبان يشتغلون فى الكيمياء يفتشون على حجر الفلاسفة وتدعى بالصليب الوردى نسبة لاسم مؤسسها «Rosenkrany» سنة ١٦٧٨ فأحب أن يغتنم الفرصة ويصير كيماويا باكتشافه شيئاً من عالم الغيب، فاشترى كتبا فى الكيمياء وبعد تعب شديد كتب تحريرا منهما الى رئيس تلك الجمعية يطلب منه أن ينتبه جيدا الى البراهين التى يقدمها والتى تدل على سعة معارفه، إلا أن هذا عندما تسلم التحرير أرسل فى طلبه، ولما حضر ذهب معه إلى مقابلة وكيل منتخب مقاطعة «منز» وهذا طلب منه أن يذهب الى «فرنكفورت» فذهب وهناك تعرف الى العلماء والادباء ومن جملتهم القس «سبنر» الذى كان قد أسس الفرقة المعروفة بالصلاح الكهنوتى «Piétisme» وحبذ تعاليمها فيما بعد الفيلسوف «كانت»، ونشر فيها كتابا فى الحقوق أهداه الى المنتخب، وبحث فيه فلسفة الحقوق وقواعد الحقوق والمراسلات الحقوقية، فلما اطلع المنتخب على هذا الكتاب دعاه الى مجلسه وكلفه أن يعاون الاستاذ «لاسر» فى بحثه التشريعى، وفى سنة ١٦٧٠ عينه وكيلا فى المجلس الأعلى فى دائرته

وقد نشر فى تلك السنة كتابا قيما للمصلح الايطالى «ماريوس نيزوليوس» الذى عاش فى القرن السادس عشر عنوانه - ضد البرابرة - بحث فيه عادات البرابرة ولغتهم، وفى سنة ١٦٧١ ألف كتابا سياسيا بحث فيه مسألة اتفاقية السلام العام بين الدول. على هذه الشروط :

١ — الوحدة الجرمانية

٢ — اسوج و بولونيا عندهما للاستعمار	سيبيريا
٣ — انكلترا والدانمارك عندها للاستعمار	أميركا الشمالية
٤ — اسبانيا عندهما للاستعمار	أميركا الجنوبية
٥ — هولندة « »	الهند الشرقية
٦ — فرنسا « »	افريقيا التي تقابل مصر

الا انه قد عدل هذه الشروط — بعد أن دخل لويس الرابع عشر اللورين فقال :

اذا كان ملك فرنسا يحتل الاستانة ومصر وكل أجزاء السلطنة العثمانية فيكون قد قضى — بأمر الله — على الاباحية المنتشرة فيها — ولما جاء الى « باريس » عام ١٦٧٢ قابل لويس الرابع عشر وبين له عظم الفوائد من احتلاله مصر وقدم له كتاباً كان قد ألفه بهذا الخصوص ظهر فيه أنه كان مطلعا تمام الاطلاع على مجرى الاحوال فى مصر، يعرف قوى الجيش فيها وماليتها وطرقها الداخلية ومواقع حصونها وعناصر أهلها بالنسبة إلى العنصر التركي، ومن جملة آرائه أن هولندا يهمها — فى الدرجة الاولى — أن تكون مواصلاتها مع الهند عن طريق مصر، إلا أن كتابه لم يؤثر التأثير المطلوب، لأن الحرب كانت قد أعلنت بين فرنسا وهولندا

وقد عرف فى « باريس » « أرنولد » أحد اتباع « ديكارت » و « هويجنس » الرياضى الهولندى الذائع الصيت و « تشيرنهوس » الرياضى الالماني وصديق « سبينوزا » وفى ذهابه الى « لوندره » تعرف إلى علماء الانجليز الذين عاصروه

عندما أتى إلى « باريس » لم يكن بارعاً فى الهندسة . ولكن احتكاكه بعلمائها جعله يكتشف بعد أربع سنوات أسلوب الحساب الذى اكتشفه بذات الوقت العلامة « نيوتن » . ففي سنة ١٦٨٤ نشر كتاباً تحت عنوان — القواعد الجديدة فى الاكثرية والاقلية — بين فيه طريقة الحساب الذى اكتشفه ، وفى سنة ١٦٨٧ نشر « نيوتن » كتاباً عنوانه — مبادىء الرياضيات للفلسفة العمومية — أوضح فيه نفس ما أوضحه « ليبنز » ، قال « فونتانل » إن قوة الفكر المتعادلة هى التى دعت الواحد أن يكتشف ما اكتشفه الآخر بدون أن يكونا على اتفاق فى البحث . إذ أن ما أسماه « نيوتن » « Fluxion » دعاه

« ليبنز » ، « Difference » ، وكانت القاعدة التى قال عنها ليبنز انها صغيرة لا نهائية مطابقة إلى ماذهب اليه « نيو تن » ، لهذاعم مذهب « ليبنز » العالم عدا انكلترا لانها كانت قد اكتفت برجلها الفذ وعالمها الاوحد

ان مسألة ذاتية الشيء لم تكن ذات أهمية إلا سنة ١٦٩٩ حيث بحثها « فوثيو » تلميذ « نيوتن » وفى سنة ١٧١١ أثبتها « كايل » تحت اسم آخر و بشكل جديد ، فحساب التنزيل الذى قال به «نيوتن» والذى يعد كأساس لهذه المسألة كان قد عرضه «ليبنز» فى الجمعية الملوكية فى لندن ، حيث كانت هذه الجمعية حكما لفحص تعاليم الرياضيين القدماء ، وعما إذا كانت تطابق الحساب الجديد ، وقد تبين لها أن « ليبنز » لم يكن مطلعا على ماذهب اليه « نيو تن » كما يتضح من مراجعة ملف الأوراق المحفوظ فيها منذ سنة ١٧١٢ ، وليس هذا فقط بل أن أسبقية « ليبنز » فى اعلان قاعدة الحساب المختلف لم يشك بها أحد من أعاظم الرياضيين مثل « أولر » و « لاجرانج » و «لابلاس» و « بواسون » و « بيو » وغيرهم ، وقد كتب فى سنة ١٧١٦ أى قبيل وفاته كتاباً تحت عنوان — تاريخ وأصل الحساب المختلف — قال فيه : ان هذه القاعدة لم تعرف فى العالم إلا عند ماخطها بيده على أوراقه الخاصة

والذي يطلع على هذه القاعدة يعرف أن عليها تأسست الاعمال الرياضية العالية التى تظهر متعادلة باستخدام الحروف الهجائية كواسطة و همية . وقد اكتشف عدا هذه القاعدة قاعدة حساب الجسم المحدودب بشكل أفقى وتظهر هكذا :

١	١	١	١	١	١
١	٢	٣	٤	٥	٦
١	٣	٦	١٠	١٥	٢١
١	٤	١٠	٢٠	٣٥	٥٦
١	٥	١٥	٣٥	٧٠	١٢٦ الخ

أى أن كل عدد فى الخط يجمع مع ما يقابل الذى بعده فى الخط الاسبق ، وعندما ذهب الى انجلترا سنة ١٦٧٣ وشاهد الرياضى « بل » ، وحدثه عن رأيه فى اختلاف الاعداد ، عرف منه أن هذا الرأى ليس جديداً لان « مركاتور » كان قد أعلنه منذ مدة

سبقت ذلك التاريخ. فابتدأ بدرس « مركاثور » ولم يكن قد تعرف بعد الى « كولن » و أولند » بورج الذى كانا يراسلانه مع « نيوتن » من حين لآخر ورجع من انكلترا إلى فرنسا وحضر مجلس العلامة « هويجنس » ،ومن ذلك الحين ابتدأ بدرس « ديكارت » وبقية العلماء الذين مزجوا العلوم بالفلسفة وخرجوا على بيئتهم « تقاليدها ولهذا كتب فيما بعد :انى احترم « ديكارت » كل الاحترام لان فلسفته تؤثر فى الفكر تأثيرا عميقا لا يمحى مدى العمر — و فى ذلك الحين بلغه موت منتخب « منز » ووكيله، فقطعت علاقته بمجلس ادارة المنتخب إلا أن الدوق «جان فريدريك » عينه وكيلا للمكتبة العمومية فى « هانوفر » فقبل ، وقبل أن يذهب الى محل وظيفته . رجع إلى انجلترا و مكث فيها أسبوعا شاهد فى اثنائه « كونى » صديق « نيوتن » وذهب من هناك الى هولندا حيث زار « سبينوزا » الفيلسوف الكبير وقال عنه — قد حادثته مرارا عديدة فوجدت فيه شخصية خارقة للعادة ،أما من جهة المبادىء التى يدين بها أو من جهة العلوم التى يحيط بها فهو فى أكثر آرائه متفق معى — وقد مات « سبنوزا » بعد زيارته له ببضعة أشهر ،أى فى ٢١ فبراير سنة ١٦٧٧ و له من العمر ٤٤ عاما .

و بعد أن وصل إلى « هانوفر » كتب عدة كتب فى العلوم والتاريخ،منها مايختص بأصل سلالة أمراء « برنسويك » الذين عطفوا عليه كل العطف وأكرموا مثواه. وفى سنة ١٦٨٦ نشر كتابه الكبير — قواعد اللاهوت — الذى رمي فيه إلى اتحاد الكاثوليك و البروتستانت ،وقد أظهر فيه براعة تستحق الاعجاب إذ أنه تكلم عن كل الفرق و الاديان و بين ما يجب على المرء أن يعمل تجاه هذه كلها فرتب صلاة خصوصية نشرها وهذه ترجمتها :

أيها الآله الأحد الكائن فى كل مكان و الذى لا يشارك فى ملكه ، أنا مخلوقك البائس التجىء اليك وأومن بك ، أحبك أكثر من الكل وأرجوك مساعدتي،أشكرك على عطاياك و أهبك نفسي ؛ سامحنى على خطاياى وأعطنى كما تعطى الآخرين ماتسمح به ارادتك وكما استحق من التجارب ؛ آمين »

فلما اطلع « ارنولد » عليها كتب اليه قائلا — ان هذه الصلاة

لا تفيد شيئا لأنه لايوجد فيها إسم المسيح ، فأجابه — : ان الصلاة مذكورة فى العهد القديم وفى أخبار الرسل وبقية أجزاء الكتاب المقدس — فلم يقتنع « أرنولد » بهذا الجواب بل أشاع أن « ليبنز » أراد بها تشويش الأفكار لاغير ، وفى هذه الاثناء حدث أن الدوق « جان فريدريك » اعتنق المذهب الكاثوليكى فأثار باعتناقه هذا المذهب جدالا قوياً بين البروتستانت والكاثوليك فما كان من « ليبنز » إلا أن انزوى فى مكتبته وأخذ يطالع المجادلات الدينية التى ثارت بين « لوثر » و ايراسيموس » وغيرهما، و بعد أن عرف أخطاء الجميع كتب كتباً فى اللاهوت كانت فاضحة لسخافات الجهتين فزادت نيران الجدال اضطراماً حتى أعلن أن غيبياته ليست سوى رياضيات لا ترتكز إلا على المعقولات، وأن الرياضى أسهل عليه كثيراً أن يصير فيلسوفاً من أن يصبح فيلسوفاً رياضياً ،وأن الفلسفة واللاهوت من أصل واحد وقد يتفقان فى القصد اذا بحثا بحثاً مدققاً وما مظهر التعاليم السكولاستيكية — القديمة — سوى مظهر ممسوخ من الفلسفة واللاهوت ، فالله والنفس موجودان ولكن عقول الناس قاصرة عن ادراكهما ادراكا تاماً ،فالديانة يجب أن ترتكز على العقل و إلا كانت فاسدة ، وذهب فى هذا البحث مذهباً طبع بطابعه فهو لم يرض الكاثوليك ولا البروتستانت ، وإنما أرضى نزعته وعبر عن آرائه بصراحة تامة وقال: ان البروتستانت ينظرون إلى اخطاء الكاثوليك وحدها والكاثوليك إلى اخطاء البروتستانت كذلك،وأنا أنظر الى اخطاء الاثنين وصوابهما وأستنتج منها حقيقة لاتقبل الشك وهى — عند مايصير البروتستانت كالكاثوليك يصبح الكاثوليك بروتستانت،لأن التحوير لابد من أن يلحق أحدهما ،وبهذا يسكن النزاع — وقد راسل بهذا الخصوص « بوسيه » فى سنة ١٦٨٧ إنما لم يتفق و إياه على رأى من الآراء و بعد موت الدوق « جان فريدريك» جرب اليسوعيون أن يستميلوا الى مذهبهم منتخبة « براندبورج » وكانوا يأملون أن « ليبنز » يعضدهم فى تشتيت البروتستانت من ألمانيا الشمالية ،فلم ينجحوا لأنه لم يكن من رأيهم .

وفى السنين الأخيرة التى أمضاها فى «هانوفر» — وتبلغ الاربعين — تتبع مجرى الأحوال السياسية فى أوروبا ونشر فى سنة ١٦٨٤ كتابا سياسيا قيما طعن فيه فى لويس الرابع عشر ، وفى سنة ١٧٠١ أعلن برلمان انكلترا أنه بعد موت الملكة

حنة ـ وكانت أرملة ـ يصبح التاج البريطاني من حقوق منتخبة «هانوفر» «صوفى» أصغر بنات جاك الأول، وفى حين مخالفتها بعض الشرائع الانكليزية يسقط حقها منه ويصير محصورا فى أولادهما وكانت منتخبة «هانوفر» أخت «اليزابت» أميرة بوهيميا المشهورة بتلمذتها على «ديكارت» وصديقة «لبينز» ولما كانت ترغب أن يكون أخوها جاك الكاثوليكى ملكا على الانكليز أرسلت إلى أختها ترجوها أن يكون «ليبنز» صديقها الواسطة بينها وبين سياسي انكلترا، فاهتم «ليبنز» بالأمر وراسل رجال السياسة من الانكليز غير أنه لم يفلح فيما ذهب اليه، وكانت ابنة منتخبة «هانوفر» واسمها «صوفى شارلوت» قد تزوجت فى سنة ١٦٨٩ منتخب بواند بورج «فريدريك الثالث» الذى صار فيما بعد ملكا على البروسيين ولقب فريدريك الأول، تعطف كل العطف عليه، لأنها تربت على يده ومالت إلى المبادىء التى يعتنقها، ولما أعلن رأيه فى الاختيار منذ الأزل وحرية الانسان، ارسلت اليه تطالب منه أن يوضح لها بحثه فى هاتين النقطتين فأجابها جوابا لم يكن مقنعا حتى أن ابنها فريدريك الثانى لما كان على فراش الموت قال لاحدى نساء البلاط ـــ لاتبكى على اذا مت لأنى أريد أن أتحقق بنفسى ماعجز «ليبنز» عن إظهاره لى من جهة الفضاء واللا نهاية والعلة الأولى واللاشىء.

***

وكان يأمل أن يؤسس وحدة فكرية جرمانية ترقى اللغة الألمانية وتنشر العلوم المجردة وتساعد على نمو الصناعة والتجارة وانشأ لهذه الفكرة الجمعيات العلمية فى أنحاء المانيا ومنها جمعية «درسدن» وجمعية «فينا» إلا أنه عدل عن رأيه هذا أخيراً وقال بضرورة تأليف وحدة فكرية أوروبية تعم الشعوب المسيحية كلها.

ومع أن فلسفته لم تبلغ الشأو الذى بلغته فلسفة نده «نيوتن» فانها كانت ذات أثر فعال فى رقى الفكر الأوربى فى القرن السابع عشر ونستطيع أن نقول إن «ليبنز» من أولئك الأفراد القلائل الذين تبخل بهم الطبيعة فيظهرون فى فترات مختلفة يقلبون فيها نظام العلوم والفلسفة ويقضون على الأوهام السائدة على العقول

بيئتنا

وقالوا: لنا في (مصر) أكرمُ بيئةٍ ... اذا ما اعتلى الباني فايست تعوّقهُ
وماعرفوا أنّ العظيمَ — وإن سَمَا — ... فبالرّغمِ منها أن تُنالَ حقوقهُ
وكم من عظيمٍ في شعورٍ ومُهجةٍ ... يموت بها موتين: جوعاً وحرقه
يحفُّ به الحسّادُ من كلِّ جانبٍ ... ويأبون حتى رؤيةَ المجدِ ميتةَ
فان صدقُوا فالصدقُ في عكسِ ظنّهم ... فقد تدفعُ الأسقامُ للبُرءِ أحيانا
وقد تخلقُ الأحزانُ بِشراً لآملٍ ... كما حرّكَ الجلمودُ للفكرِ إنسانا!
وكم غارقٍ حولي ببحرٍ من الأسى ... وفي الناسِ مَن قد عدّهُ فيه سابحا
يئنُّ عليه الأدعياءُ لخذلهم ... مُناهُ، فهل لاقى المنيّةَ رابحا؟!
ومادام أهلُ الرأي أسرى عبادةٍ ... لأهوائهم والحقدِ، لا المثلِ العالي
فأيُّ رجاءٍ يُرتجى من فنونهم ... ومن رأيهم بالحقدِ والخُلُقِ البالي؟
ألا لا دواءٌ قبلَ تهذيبِ روحنا ... ولا خيرَ في فنٍّ لغيرِ أريبِ
يضحّي بأسمى نفسهِ — وهو مُنقذٌ ... سواهُ — لكي يحيا حياةَ أديبِ
فبثُّوا إذن في النشءِ ديناً قِوامُهُ ... محبةُ فنٍّ في إخاءٍ وفي جُهدِ
فيعرفُ كلٌّ أنّ أكرمَ عزّةٍ ... حياةُ الفتى للكلِّ، والكلُّ للفردِ
فإن صحّ هذا فاذكروا بعدُ أنّنا ... نعيشُ بحقٍّ بين أكرمِ بيئةٍ
وإلّا تخلّوْنا بحسرةِ صابرٍ ... على ما نُلاقي مِن صروفٍ دنيئةٍ!

أبو شادي

شهيد الواجب

« وقع الفتى « دافيد ليفى » المتطوع بجمعية الأسعاف شهيدا فى ميدان الشرف عند ما كان يؤدى مهمته الانسانية فى انقاذ جريح بالحوامدية فكان باعثا للشاعر على نظم هذه القصيدة »

ما اعتيد من جمعية الاسعاف   أثر البطولة فيه ليس بخافى
أندى وجوه البراهم أعضاؤها   هذى صحيفتهم بدون غلاف
يطفو ويرسب ما تراه، وفعلهم   أبداً على السطح المشاهد طافى
يا ربما شيبت مروءة غيرهم   أما مروءتهم فنبع صافى
للغير قد وقفوا النفوس ولا أرى   شيئاً يجل كهذه الأوقاف
ما سال جرح من نتيجة حادث   الا له منهم بنان شافى
ومصيبة غشت سماوة أهلها   باليأس زالت منهم بتلافى
يترسمون خطى المصاب كأنما   وقفوا على ما تاه من عراف
وكأنما كانت أمام عيونهم   أستاره من جوهر شفاف
لا النار تثنيهم ولا أشباهها   مما يضم عناصر الاتلاف
هم جنة الدنيا اذا اشتد اللظى   والماء فى صحراء ذات جفاف
هم رحمة المولى التى أوحي لها   بالعطف فى هذا المحيط الجافى
هذا هو الشرف اللباب وأهله   الناهجون مناهج الأشراف
أحيوا بما استنوه انسانية   شرقت بطائفة من الأجلاف
الطاعنيها فى صميم فؤادها   بالشح آونة وبالأسراف
أو بالملذات التى جعلتهم   فى حالة أدنى الى الاسفاف
لهم صفاة لا تضن بقطرة   وتسيل فى الشهوات بالآلاف

* * *

دافيد! لا تبعد فان بلادنا   محرومة من هذه الأصناف
الدر مثلك ان مضى عنا فما   نحتاج بعد الدر للأصداف

أيدى الردى الموتور من اسعافكم   سدت عليك منافذ الاسعاف
ما إن أبالى أن يقابلنى امرؤ   لرثاء دافيد بالاستخفاف
هذا أبر يدا وأطهر سيرة   وأحق من ندبته ذات قوافى
يكفى الاشارة بالكبير وقدروا   رمز البطولة يا أولى الانصاف
عرى الكبير من المروءة وانثنى   منها الصغير عليه ثوب ضافى

القاهرة   محمد صادق عرنوس



الثقافة والساميون

« للعصور مهمتان رئيسيتان ؛ الاولى : تحرير الفكر ؛ والثانية : العمل على خلق صورة جديدة من الحضارة الشرقية الصحيحة ؛ تخرج من روح الامم الشرقية مجتمعة ، فالجمع بين مناحى الثقافة المتناثرة فى أنحاء العالم العربى ، ونشر مختلف الآراء والتعبير عن متباين المنازع التى تقوم فى عقلية الشعوب الشرقية ، من الاشياء الجوهرية التى تعنى بها العصور فى أول ما تعنى به من الخدمات الادبية . واليوم نقدم للقراء هذا الفصل الذى أرسل إلينا به أديب مراكشى معروف . وبهذه المناسبة تغتبط هيئة تحرير العصور بأن تعلن بأنها ترحب بكل الابحاث والمنتجات الادبية التى يتفضل بها الادباء فى أنحاء العالم العربى »



لمحة

لا يعزب عنك أن المسائل المشكلة المتداولة بين أبناء جيلنا الحاضر فى فلسفة الاجتماع والتاريخ والسياسة تتلخص فى الكلمتين المشهورتين ، أى «الشرق والغرب» وعندى أن محورها ما تمكن تسميته بالمسألة السامية . ألا ترى أن برجسن (Bergson) وإينشطين (Einstein) وفرود (Freud) وكورى (Curie) وهرتز (Hertz) وماركس (Marx) ، وهم ساميو أوربا ، هم الألى نسجوا لهيئة حياتنا حلتها الفضفاضة ، وألقوا بها فى زعازع الحرقة والقلق ، حاملين ألوية جلائل التصورات للسعادة الانسانية ، نعم إن الأمة السامية لفى دورها العائد نوراً واستيقاظاً ، أنظر الى بيت المقدس فهو نيرها العتيق . وانكفىء إلى الأندلس نيرها الأكبر ، تلك الروضة الغناء ، تلك الغزالة العجماء ، غرناطة العرب ، التى ملؤها الوفاء ، وشعارها الاخلاص ، إذ أرواحهم الكريمة تنم عنها حتى أيامنا هذه ، مع نفحات الذكر الخالد ، والمجد العائد . . . . فهى خليقة بأن تكون أيضاً مقر الأنبياء !

واليوم فلنضع — نحن الأندلسيين — ما بين شتى القوى الفكرية المأنوسة لدى المتنورين ، « إمبراطوريتنا » الأندلسية مارحة بين ضرب من التصوف ونوع من

الهزل الرقيق كى تمثل هكذا (السامية) التى تقيم للحياة و زن العظمة و الاجلال ، متدرعة بالتقوى و مباينة لمذهب ألوهية الكائنات . فالسامى لا متيامن و لا متشائم ، بل تائق إلى انقضاء ساعاته فى الهدوء والطمأنينة ، فهو محب طاهر ، يحب الله تعالى ، والنوع البشرى بعيداً عن الغيرة الحيوانية .

وهذا الكتاب ، فذلكة موجزة مقدمة لأعمال تأتى متتالية ، إنما هو كقانون تمهيدى لدرس مسألة جديدة ، طريقة تعالج أولا استخراج أسرار الوئام الكامن بين روح الأفكار الحالية و روح (السامية) الخالدة ، التى طالما تألفت بنوع خاص فى الأندلس مع الفيلسوف الاسلامى ابن رشد ، والمفكر الكبير الاسرائيلى القرطبى موسى بن ميمون (Maimonides) ، وسينكا (Senique) ، وابن حزم ، وابن العربى ، وأخيراً باخطاء وخفوت مع المفكر الأندلسى كانفاط (Ganivet)(١) بافتخاره أنه سليل العرب. وثانياً تحاول توحيداً أدبياً بين شبيبة إيبريا الجنوبية وأختها الناشئة السامية الناهضة اليوم من طنجة إلى فلسطين ، و من لبنان الكاثوليكى إلى مكة الاسلامية .

ولو سمحت لى بتحكيم مخيلتى. لقلت : إن الذى ضم بين دفتي الكتاب: أشبه باصلاح عود قبل العزف والاتيان بالنغمة المطربة ، أو كشبوب نار القرى بين إخوان فى: أم القرى ، أو مثلا كجواب من إفريقيا الشجاعة إلى رودريق التقى .... نعم إن منهاج الحق لواضح حيث استوت الأندلس قائمة باسان التوسط والموعظة إزاء اضطراب العالم ، أعنى انحطاط شعوب أوروبا البالية والتهديد المريع الآتى من آسيا الصفراء ... ليستمد المسلمون والاسرائيليون والكاثوليك الساميون ، ضد اللادينية والهيولية ونفاق المجددين العصريين . إذ الروح السامية ، ابنة التوراة هى المنقذة الفذة للانسانية !

---

(١) انغيل كانفاط (Angel Ganivet) كاتب غرناطى مبرز وسياسى حاذق . ولد سنة ١٨٦٧ م . فى غرناطة وكانت له شخصية عجيبة واهتمام عظيم بأصله وأجداده الاندلسيين حتى أفضى به إلى إنكار جنسيته الاسبانية قائلا إنه عربى وأن الاندلسيين عرب أكثر منهم أسبان عاش فى نكد دائم ورسائله مشهورة من هذا القبيل ، نفس حساسة متأثرة عظيمة ، انتحر وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة .

الفصل الاول

1 — ظهور العالم الجنوبي — ما هو الشرق ؟ ما هو الغرب ؟ سؤالان ذوا خطورة مروعة وغموض كابتسام أبي الهول هائل ! تدور حولها وحدانية وعقلية العالم أجمع : سبنغلر (Spengler) ، كيزرلنغ (Keyserling) ، والس (Wells) ، فريرو (Ferrero) ، ميترلنك (Maeterlink) . رومان رولان (Romain Roll-and) سوكلوف (Sokolov) ، جابطنسكي (Jabotinsky) ، ويزمان (Weizman) طاغور (Tagore) ، غندي (Ghandi) ، محمد علي ، شوكت علي ، حبيب اسطيفانو (Habib Estefano) ، ديستوسكي (Doiestowsky) ، رديارد كبلنج (Rudyard Kipling) ، إينشطاين (Einstein) ؛ أوكاكرا - كاكوزو (Okakura-Kakuzo) لينين (Lénine) ، موسوليني (Mussolini) ، مصطفى كمال ، زغلول باشا ، رضاخان وفي إسبانيا : أرطيكا كاسط (Ortega Gasset) ، أسورين (Azorin) : ريكاردو ليون (Ricardo Leon) ....

كل المبرزين في شعبة من شعاب الحياة النظرية أو العملية يحسون هذه المسألة العويصة. تتردد في أنفسهم الحصرة المغمومة . على أن الأمر خدعة سراب ، تتحقق للرائي عند الاقتراب ، إذ لو كنت باليابان لاعتبرت أمريكا لك شرقا والصين غرباً ، ولو سافرت إلى صحراء إفريقيا ليممت شرقا ، أو إلى مستعمرة الكاب في القارة ذاتها لأمسيت بالغرب . لكن ما شأن روسيا ؟ ما شأن العنصر الأسود ؟ ما شأن الاسرائيليين ؟ .

فالأمر كما رأيت اعتباري كسفسطة حزبي اليمين واليسار أو حكمي الجمهورية والاستبداد . فما يستلفت همتنا إلى تلك القارة الأسيوية العظيمة مع عناصرها ذات العدد القديمة . فأوربا إنما هي تابعة لها وملحقة بها ، أما نحن الناظرون اليوم إلى تأثير الأصل في الفرع وجذب ذاك لهذا في حين أخذه لجواهره ومزاياه . فآسيا من جهة تختطف رويداً تلك المزايا لتتقوى بها وتتنور ، ومن جهة أخرى تتكون روح شرقية في طبقات الأوربيين نشاهد منها افتخار بعض الألمان ببوذيتهم وازدهاء اليابانيين

برومیتهم ... وهاك جل أقسام سفسطائية السياسية فيما يتعلق بالفريقين :

الشرق : محس بمأمورية ينجزها ، الغرب : شاعر بحياة موقوفة على العمل بلا فتور ، الشرق : مطبوع على مذهب المعرفة بالتصور الخيالى ، الغرب : مجبول على مذهب التحقيق الحسى الايجابى ، الشرق : عتيق ، يقبل سلطة الآباء الأولين ، الغرب ميكانيكى ، الشرق : خيالى ، الغرب : عملى ، شرق : نوم ، غرب : قلق ، شرق : روح أنثوية ، غرب : روح ذكرية ، شرق : « على نمط واحد » ، غرب : تنوع ، الأول : كتلة ، الثانى : سلطة ، واحد : مقاومة ، آخر : تجدد ، وهذا ، اعتبارات أولى النظر أما أقوال العامة فهى كثيرة منها : الشرقى : لباسه واسع مذيل . الغربى : ثيابه لائقة محيطة بجسمه . الأول : ذو لحية كثة وشعر رأسه ضاف . الثانى : محلوق اللحية قصير شعر الرأس . واحد زوجته طائعة ، آخر قرينته حرة . منية الواحد : شجرة ، عين ماء ، زريبة . بغية الآخر : التنافس الحيوى . الشرق عناصر ملونة ، الغرب عنصر واحد أبيض ! كل هذه أغلاط على أغلاط ، ومنافاة على منافاة للصواب والعقل ! وما كنت لأزعم أنى جئت بحل نهائى لأصعب مسألة من المسائل الراهنة ، أو أنتصر لأحد الفريقين لكن أروم إبراز ركن ثالث من طى الخفاء قائماً حقيقة وحياً فعالا فى ميدان الحياة الاجتماعية ، ألا وهو عالم الجنوب المتوقد الزموع ولو تكروه إنكار اليهود ليسوع ! ....

***

إن العنصرين الأسمر والأسود مضغوطان بين إفريقيا الجنوبية والساحل الجنوبى للبحر المتوسط الأبيض ، ومن الأندلس إلى بحر الجنجس ، ويتآلفان من الفرس والساميين والحاميين ، والدب الايبرومى واليونان والسودان . خلق مولد من الكلدان والأشوريين وأوسع منهما . غاية ما رقيت اليه الثقافة الصحراوية فاجتمعوا حول العالم السحرى (سبنغلر) شعوباً جنوبية محضة متسلسلة من الاقليم الأندلسى والمغرب الأقصى إلى إيران ، ومتناسلة من رعايا الخلافة العربية ، تخومها أرخبيل الروم إلى مقدونيا وإيطاليا والأندلس إلى بلنسية وطوليدو ، والأفغان إلى شمال الهندستان ، ولهذا الخلق أيضاً منطقة فى إفريقيا السوداء قابلة للتوسع والنمو ، حيث

المسلمون السودانيون وأدلة السيارات الجزائريون والطائفة السنوسية ، والمصريون والحبشة يتقدمون دائماً بمسايرة الثلاثين مليوناً من المسلمين السود و بمساعدة النخوة الهندية والاسلامية فى الأفغان.فدارهم الأبوية ومصدرهم الدولى مجموع الأراضى المعروفة بالأمة المختصة بالبحر المتوسط ، تضم أقطاراً عربية ومستعربة ، أعنى بالأولى العراق ،البحرين ، الحجاز ، نجد ، اليمن ، عسير ، حضرموت ، عدن ، الشرق الأدنى ، الشام بمناطقه السياسية ،مصر ، السودان ، تونس ، ليبية . و بالثانية : ألبانيا واليونان وجزيرة قبرس . ثم إن هناك عصبيات وطنية بدون مقر ثابت ، تتألف من الاسرائيليين والأرمن وقوقازيى كرج وزركش .

هذا هو الشرق الأدنى ، مهد كل ثقافة وكل دين ، تطلب الانسانية ، معمورة ذات الآلاف من العينين التى يلحقونها بقارة آسيا خطأ و يعدونها كالرجل الهجين شيئا وسطاً . كلا إنها لأرض شريفة تطالب بحق زعامتها على رأس الجنوب وإفريقيا الجنوبية (عندا الكاب) وشمالى غرب الهند وما البارز الحاد من هذه الكتلة إلا الأندلس التى تتجلى فيها خواص الجنوب ومزايا أهله وهيئة حياتهم ، وقوة مدافعتهم للشرقية و الغربية .

والآن يجب على القول بأن هذا الترتيب ليس بالصرف المطلق ، إذ الكلمات الثلاث لا تنبىء عن مجموعة شعوب فحسب ، بل هى عبارات عن قوى روحية سائدة فى أنحاء العالم مع وجود مناطق المزج والتضاد فى شعب أو شعوب ، كما فى الدولة الألمانية التى هى بين الشرق والغرب (سياسياً) ، أو كاسبانيا التى هى بين الغرب والجنوب ، أو كالهند التى بين جنوبها الاسلامى وشرقها البرهمى .

2 — خواص الأقسام الثلاثة — وتمحيص الحقيقة أن الشرقيين (١) يتصورون الكون تصوراً أجوف ، أى ذا قوة متجهة إلى « داخل » فيرونه إلهاً . ومبدأهم يتلخص فى ضمير الغائب ، ضمير المجردات : هو . يخضعون أمام الكائنات ويضعون العيش شيئاً اعتبارياً لا حقيقة له ، شاكين فيه وفى أنفسهم (الأنانية الممقوتة عند البوذ) الطبيعة كعبة عبادتهم أينما وجدوا فيها . فهناك وطن لهم ، يعمل فيهم الماضى

---

(١) يعنى المؤلف بالشرق هنا الذى لم تثقفه التعاليم الاسلامية أو الملة الاسرائيلية

والفضاء والغريزة . حقيقتهم أن لا يقبلوا حقيقة مطلقاً . فيقولون « كل شيء إله » أو « أنا إله »

ولهذا المذهب مجريان يلتقيان ويتكاملان :

١ . إخاء مع الكون وتفان فى محبته (تأمل أديان وفلسفات الصين واليابان)

٢ ازدراء بكل حياة وبكل طبيعة (نرفانا البوذ وعدمية Nihilsme الروس والتتار) . يقول الرجل الشرقى :

إن خليقتنا إلهية إذ يجتمع فينا الخالق والمخلوق ، البسيط والمركب ، المبدأ والنتيجة ، المعنوى والحسى . الحياة خط دائر مسدود سره سرمد البحار وجزرها دون أن تخرج من مدّرها أو تنتقص ، ليست غايتنا عن الحقيقة ولا عن الخير ، إذ ليس العقل والارادة والوحى الخ . إلا كلمات جوفاء لا طائل تحتها . إن الرجل العارف بأنه جزء من الاله لا يحتاج إلى حقيقة ، لأنها فى نفسه ، وما عليه أن يجد ويكد فى اعمال فكرته . وإمعان نظرته ، ليجلب على نفسه بلابل يستوجب مضضها فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه ، أو كالجادع مارن أنفه بكفه . . . . ويقول :

كل حي ميت وكل موجود مفقود ، كل شيء كالأضغاث يلتف بعضها على بعض ، أو يتسرب ليتغلغل فى مهاوى المبهمات . . . إن الحياة عارض غرورى فى سلسلة التكون اللانهائى ، مرحلة من مراحل الاستحالة الحيوية (مذهب التناسخ) نموت لتنفك مركباتنا وتعود إلى بساط ، فندخل فى الله لذى هو الدهر أو البعثرة الكونية .

إن الشرقى لا يعرف حدوده ، تثب نفسه فى الفضاء لتنفسخ وتندمج فى الطبيعة .. فغايته كما رأيت هى الاعتراف بأنه لا توجد حقيقة . وأنه — هو — مجموع مركبات مستحيلات « لا أحد فيها » يتصور المادة كتجسم نفوذ غريب غير حائل ؛ يصير التراب نباتاً ، كذلك ، والنبات حيواناً ، والانسان تراباً الخ . . . أنظر رمز التنين الصينى إلى القوى المسببة الولاجة فى الأشياء ، بطرق شتى مناسبة لأغراضها ، دون أن تبرز لنا فى أوصافها (اللانهائية) . وهى — أى الحياة — فى نظره عارض ألمى مأسوف على وجوده ، فيدع نفسه تنقاد لكل تيار المعيشة . فلا يبدى إرادة ، ولا يهتم بمعاده .

ثم ينفذ عملياً النظرية الآنفة الذكر بتلقين الوسائل الموصلة إلى إفراغ الأدمغة من كل شيء خارجي (نرفانا) و باعتبار نفسه مساوية مثلا للشجرة أو الكرسي وباعتقاده من جهة أخرى أن العيش ألم والألم يتولد من الطمع ؛ فيميت هذا بقتل الأنانية فيه و مطامحها ، ويطرح عنه ملغياً كل ائتلاف معان وكل انفعال من خير وشر ، أي الأمور التي تدافع أو تتجاذب كما في حياة الافراد ، لا مقدس و لامدنس في نظره ، لا روحي ولا حسي ، بل كل الكون تمى فارغ . « قل إن حياتنا السرمدية لا تتوقف ولا تتوطد على أعمالنا ولا اجتهادنا ، الامر الذى إن اعتمدنا عليه نظل بعيدين عن إنقاذ أرواحنا » . . «العالم يذهب مع ذهاب روح الانسان،. . من عرف نفسه عرف العالم » . . . « إن خير العلم جهل كل علم » . . . « ضع اهتماماتك في ظفر خنصرك » (طولسطوى)

هذا هو الشرق أرض الغريزة والتقليد ، والبعثرة والجماهير . وعدم الانانية .

هذا هو الشرق بقوته الادبية الثلاثية : روسيا — الهند — الصين ، و أعلامها المتآزرين : غندي — ديسطوفسكي . طاغور — طولسطوي . بوذا — لينين ، شرق البوذ الاحمر والصقلبية المضادة للغرب ، ويابانية طاكونوبو - مروبوز Takonubo-Morobuse وأوكا كرا كا كزو Okakura-Kakuzo .

***

أما الغرب ، فتصوره للوجود تصور مقبب — أي قوة حركته متجهة إلى « خارج » — . مذهبه يتلخص في ضمير المتكلم (أنا) فلا تسيطر عليه الطبيعة ولاالحياة إذ يعتبر نفسه سيدهما بمزيةالتقدم والارتقاء اللانهائي . هو مطلقالعنان ، يذهب حيثما شاء ، وكيفما شاء ، واثقاً بعقله وقوة إدراكه ، فكعبته الانانية المطلقة

المغرب ، أراض تختار فيها الاوطان ، ويهتم سكانها بالمستقبل والزمان والادراك العقلي (مقابلة الماضي ، والمكان ، والغريزة في الشرق)

إن حقيقة الغرب تنافس دائم بين ما يعتقد فعله وما يفعل حقيقة ، ثم شوق مضطرب إلى الوصول الى ما وراء الكون ، ثم ثقافة حائدة عن الاهتمام بالحياة غير إنها لا تكون مفازتها ، ثقافة متنقلة حيث يغلب التصور الذهني غير مقيد

والذى لا غاية بعده . أعني أن الغربى يجد الحقيقة لنفسها لغرض عملى أو كسبى . شعاره . « انحلال العلم فى منتظم تناسبات نوعية كنغمة موسيقية لا نهائية للفضاء الفلكى ، كل نشوء يقاس على قدر القوة المحدثة له بكمية من العمل المحقق من حيث هو نفوذ مخزون » . . . هذا تحديد العلامة سبنغلر (Spengler) فى حق الروح الفوستية فنطلقه هنا على الثقافة الغربية . « إن كمية مفروضة من قوة نفوذية هى ناموس انتشارى مفعول ومستقل عن كل حاسة اللمس أو البصر ، ولا معنى فيه للصورة أو للهيئة » .

يرى فى الروح الغربية اهتمامان رئيسيان : ١ — استعداد لطالب فى حرص ابتغاء نيل إدارة وقوة . توق الى التفوق والتحول ، ومطابقة الجديد المستحدث يخيل اليهم أن غايتهم تباعدت كلما اقتربوا منها . يطلبون الزيادة ويحتقرونها اذا أدركوها . ربهم علم الجبر . لا تنافس ومناظرة فى مسألتى العقل والارادة . استئثار بالفهم والشهامة والنشاط . طرد كل بسيط وكل لائق لأول وهلة . غاية فى العمل . غاية فى الطموح غاية فى حب القوة والسيطرة .

واذا سمعتهم يتحدثون عن عظيم من عظمائهم تلقيت هذه الكلمة : « قد تفوق » لا يحس و يطرب الغربى إلا للفضاء ولمضى الرجل فى اللانهاية إما بسلاح العقل و إما بدرع الخيال . إن روح (Faust) سائدة فى الدول الغربية بتثقيفها للضمير الخلقى و بنظرها فى الماضى و تحليقها فى الفضاء « لبث قوته المطلقة » .

هذا هو الغرب بشعوره لأغلاطه ونقائصه مع اعتقاده الصميم أن لا حد لقدرة الانسان وعقله .

يشتمل الغرب جغرافياً و تاريخياً على إيطاليا (رومة أم الغرب) وفرنسا وألمانيا (الموجسة خيفة من آسيا القريبة منها) والنمسا وإسوج والنروج والعالم الأنجلوسكونى والعالم الأسبيرى الأميركى ، وسويسرا وبلجيكا وهولاندا والبلقان . تخومه ومنافذه مقاطعتا كطالونيا وجليقة باسبانيا ، وأميركا الفتاة .

أما الجنوب ، فشكل تصوره للحياة منبسط — أى اتجاه قوة حركته مستدير ، أو إهليلجي — مبدأه يتلخص فى ضمير المخاطب (أنت) تغلب عليه الفكرة

التجريدية الدينية . و الميل الى المؤاخاة على النمط الاعتقادى ، فروحه مباينة لميكانيكية الغرب الممقوتة و بداوة الشرق الذليلة ، أنانية فرودية : تصوره للعيش فتان « الحياة سلسلة مراتب مودع فى كل منها روح تقوم بواجبها ليعد هذا جزءاً مقضياً ومنجزاً من مأمورية عظيمة دائرة »

الجنوب أراض حيث الوطن يتصور ويبنى ، وحيث أهمية (اليوم) غير محدودة ، و الأمس نسبة اليه طاعن فى القدم وسابق للازمنة التاريخية ، وحيث المستقبل مستمر لزمان الحال الى الأمام ، وحيث النشاط له قيمة ، و الادراك البديهى سيادة .

وهنا تسنح لى النهزة لأنى بعجز كل متصد لهذا العمل عن الاتيان برمة حقيقة الجنوب فى نهارها الجلى بين الفكرات المبددة أثناء هذا الكتاب العديم النظير اللائق التصانيف الاجتماعية الصافية ، إذ لا غرو أن عملا كابراز حقيقة اجتماعية عظيمة يستغرق عمر الانسان ، فتجليتها و إماطة الستار عنها ، يجعلنى اذاً مضحياً عملى فى سبيلها طيلة حياتى ، والآن أكتفى بأن أقول إن الجنوب يروم تحقيق المثل الآرى «يعمل أبى فأنسج على منواله» فهو مباين للشرق والغرب باعتقاده أن الله ليس بقوة النواميس (١) الطبيعية و لا هو بالفضاء اللانهائى ، و إنما هو رب العالمين المهيمن الذى يصرف عباده بالهامه الى مقاومة القوى الهيولية وتأثيرها فيهم بافسادها مواهبهم الشريفة السامية . ومن خواص خليقة الرجل الجنوبى أنه لا يملك نفسه إلا حيناً وأحياناً ، تملكه غطرسة حركاته ، وأنه يعلى قيمة السطحيات لمقاومة نفوذ المادة . و يتأتى لنا كشف سره بتحليل اشاراته و إيمائه و وقفته وطبعه . وقبل أن ألتفت اليه ألتزم بأن أقول — بكل صراحة — : لا شرق و لا غرب . فما النور الآتى من الشرق إلا ذاك الذى ينسحب ويتقلص عن أوربا مجتازاً بأميركا ومعيداً دورته ، لتقفل السنة والسنون .. أما اذا أردنا ذاك الشرق البعيد ، الشرق الذهبى الموصوف فى أقاصيصنا القومية ، فلنطلبه ببوصلة كركطو Cocteau الذى يقترح علينا الفحص عن اللؤلؤة الشرقية فى لونها وهيئتها الخ . و إلا فما الشرق سوى هوس فى قلوبنا يجعلنا نصبو دائماً إلى الأشياء الغريبة السحرية .

«للكلام بقية»

---

١ — أى الله تعالى

الأزهر

« ننشر هذه القصيدة المملوءة بالدعابة . فى وصف الأزهر من قبل بمناسبة النهضة الحالية التى اكتسحت ذلك الجمود الذى طالما خيم على الأزهر القديم . ليعرف الناس الفرق بين الحالين »

وسائل « ما الأزهر الشريف وما حديث قومه الطريف
ماذا يقول الوصف فى صحراء جدباء لم تطلب الأنداء
أمحل فيها كل نجم أزهرا وضل فيها كل نجم أنورا
وسايرتها رحل بداة عشيهم ليس له غداة
ترطمهم دجنة فى أخرى ويبلغ الوعر سراهم وعرا
حتي اذا ماسئموا كلالا ووزن العى لهم وكالا
ظلوا تجاه الترب واللحود ليعبدوا مراقم الجدود
اذا دعا داعى الهدى لم يسمعوا لايسمع الصم اذا الصم دعوا
ماذا يفيد الرشد من أقوام لم يعكفوا الا على أصنام
أيستحبون العمى على الهدى ويحسبون النصح لهوا ودا
ويتركون داعى المجد سدى ويلبسون بين آل وعدا
تقدم الدهر وهم جمود وانتبه الكون وهم هجود
ياسائلى عن القرون الخالية وما بها من الرسوم البالية
وسائلى عن جهلها المكنون وموتها المدبج المصون
تعرف الأزهر وادرس قومه وادرس — بحق — كتبه وعلمه
أنتَ إذن من الزمان الأول فاقرأ لنا حديثه ورتل
ماذا يفيد العلم من « خبيصى » ومن عقائد ومن تلخيص
ومن « يقول الشيخ لكن أعترض » ومن « اذا كان كذا » ومن « فرض »

« وعبر الشيخ بياء دون لام وفيه أشكال وما وفى المقام »

* * *

يا أيها السائل عنهم وعنى مايفعل الجسم اذا الروح فنى
يدخله الأيفع والنضير ويخرج العيي والكسير
يقول « قطنى قد علمت العلما حتى قتلت كل سفر فهما »
وهل درى ما قاله الحكيم « ان السليم عقله السليم »
ثم يسير فاذا به كبا لأول الخطو فيلوى آيبا
يصدر مثلما « سنمار » صدر لكن سنمار درى الخير وبر
متى يحسون بوخز الداء ويعرفون موطن الدواء
ويتركون للقديم القدما ويصعدون للحياة سلما
ويشهدون العلم إذ يحيا به من كان قبل اليوم فى ترابه
أنى الأولى سموهمو كفارا ما انبهر الدهر له انبهارا
وعلموا الجماد حتى النطقا وذللوا الآفاق أفقا أفقا
وكلموا — وهم بأعلى — الصين من كان منهم فوق أرض السين
ورفعوا الأرض الى السماء وساقوا الحيتان فى الدأماء
وفجروا وسجروا البحارا وحيروا العالم حتى حارا
ماذا تفيد الناس من سقام ومن لحى كوبر الأنعام
وعمم كالقبب الفواشى وجبب طويلة الحواشى
وخلق كالحرة الرمضاء ومنطق مرقع الأثناء
وكتب كنصب معبودة وأمم كبهم مقودة
ان الحياة بعد خمسة عشر ولا يسحن الجهل من أحدى الكبر
أيؤخذ الذكى بالغبى ويترك القوى للعيى
يارب إن اليوم غير أمسه فانتشل العلم لهم من رمسه
وميز الغث من السمين واقشع دجى الوهم عن اليقين

* * *

ما للحياة طعمها مرير وشرها على مستطير
سجنت روحى فى الشقاء يدى وضل جدى فى الأنام بدديه

أسير فى الأزهر كالسوانى ثم أعد العمر بالثوانى
وأنظر الأسفار بابا بابا فأقرأ العجائب العجابا
مالى وما للأزهر المعمور وما لحصن الظلل المستور
أجلس تلقاء تماثيل خوت أقرأ فيهن أساليب عفت
شقيت حتى ملنى الشقاء وطوحتنى للردى أرزاء
كيف أجشم الزمان الماضيا بدارسيه أن يعود ثانيا
لاهم بين لى بيانا حاسما فى آجلى كيلا أسير هائما
البس لكل زمن لبوساً ولا ترد طاسمه المطموسا
ودر مع الزمان حيث دارا ولا تقف وتلم الأقدارا
كل امرىء بسعده مفتون وهو بما يكسبه مرهون
وإنما شعبت الطرائق واختلفت فى نهجها الخلائق
والعقل إن لم ترعه التجارب ضلت به الأوعار والسباسب
والناس إما ناهج وعقله أو تابع نهج الذين قبله
ماخلق المرء لكى يقادا ويروى الصلاح والفسادا

م . ت . ا

العجز

اذا تأمَّلتُ مجهودي وقد طَمَحَتْ نفسي إلى بَذْلِ أَقصى جهْدِهَا الفَنى
سَخِرْتُ منه ومن نفسي متى مُنِعَتْ به ، وأسرفتُ في نَقْدٍ وفي طَعْن
وَكِدتُ أبكي على عُمْرٍ مَضَى تلفاً فصِرْتُ أهلاً به للغمزِ واللَّمْز
صغرْتُ عن حشراتٍ كنتُ أصغِرُهَا فليتني مَنْ يُسَاوِى دودةَ القَز

أبو شادى

الوعظ القصصى[1]

تلخيص الأستاذ سيد ابرهيم

قال لى صاحبى و هو يحاورنى

«لقدنكبتنا و زارة الأوقاف حين احتكمت علينا أن نؤلف خطباً و نسجلها فى الدفاتر!»

قلت : «لقدأسدت إليكم معروفاً أى معروف ! »

قال : «أفى مقدورى أن أعظ وأن أخطب»

قلت: «ولم لا؟»

قال : — «إنى لأعجز عن تسجيع جملتين اثنتين فى يوم واحد؟»

قلت : — «و ماشأن هذا بالخطابة؟»

قال : — « و كيف تكون خطابة بلاسجع؟»

قلت : — «بل كيف يكون سجع وخطابة؟»

قال : — «أمرك عجيب!»

قلت: — «أمرك أعجب»

قال : — «دع المزاح جانباً وخذ فى الجد»

قلت : — « انى لا أمزح ، وهل تسمى الصدق مزاحاً؟ إنك تتصور الخطابة تصورا فاسدا خاطئاً ، و هذاالتصور وحده هو علة عجزك عن القيام بها، إن الوعظ أيسر مما تظن بكثير

إن كل أمر بالمعروف و كل نهى عن المنكر هو وعظ له قيمته وخطره

فاذا سرت فى الطريق ورأيت حادثاً من الحوادث — خيرا كان أو شرا — ، فقصصته على مستمعيك مثنياً على جانب الخير منددا بالجانب المرذول حاثا الناس على الاقتداء بالأول محذرا إياهم من الوقوع فى الثانى، فقد أحسنت وأجدت و كنت الخطيب المفوه والواعظ المرشد الأمين

---

(١) خلاصة المحاضرة التى ألقاها الاستاذ كامل كيلانى فيها بجمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

وبهذا تكون قد قدمت للناس أمثلة يقتدون بها وأمثلة يحذرون الوقوع فيها ، ووعظتهم بما حدث لسواهم من خير وشر

« والسعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ بنفسه »

قال : ـــ

« ما كنت أحسب الوعظ بهذه السهولة »

قلت ـــ :

« إن سوء فهم كثير من الخطباء معنى الوعظ هو علة تخبطهم فيه وعجزهم عن القيام به »

***

قالوا : « إن مربية اولاد لويس الرابع عشر طلبت إلى أحدهم ـــ وكان صغير السن ـــ أن يكتب كتاباً إلي أبيه ـــ وكان بعيداً عنه

فقال لها مدهوشاً ـــ :

أفى قدرتى أنا أن أكتب كتاباً

فقالت له ـــ :

هب أباك حضر فماذا أنت قائل له ؟

قال ـــ :

أقول له لقد أوحشتنا واشتقنا لرؤيتك !

قالت ـــ :

فاكتب له هذا .

ثم قالت له ـــ :

قل له إن البيت يحترق !

فقال لها :

هذا كذب !

قالت ـــ :

« قل له إذن إن الخادم تنظف غرفة الاستقبال »

قال : —

« وهذا خبر تافه . »

قالت : —

لقد عرفت الآن كيف تكتب الكتاب ، فليس يكلفك ذلك اكثر من ان تكتب ماتشعر به مبتعدا عن الكذب وعن الحقائق التافهة !

و هذه أيها السادة هى وظيفة الخطيب تماما

***

وفى إحدى روايات «موليير» نرى احد المولعين بالدرس — على كبر — يشرح له معلمه النظم والنثر، فيقول له: —

النظم هو الكلام الموزون المقفى

فيسأله : و ما النثر ؟ فيقول له — :

هو ما تتكلمه الآن

فيقول : « وا عجباً ،إذن فأنا أتكلم النثر بعين سنة و انا لا ادرى !»

***

ولعل أكثرهم سيدهش أيضاً حين أقول له إنك كثيراً ما تكون خطيباً — عن غير قصد منك — و انك تكون واعظاً بليغاً كلما قصصت على اخوانك أو أهلك أو طلبتك قصة بليغة ذات مغزى حكيم !

ولعل أيسر وأبلغ طريقة يتبعها الواعظ فى بيته وطريقه وعلى منبره، هى ضرب الأمثال و رواية القصص .

ولقد فرغ رجال التربية من التدليل على أهمية الأمثال والقصص ، وقد سبقهم القرآن الكريم الى ذلك، فقال:

« وتلك الأمثال نضربها للناس »

وقال « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين »

ولقد بلغ ولوع بعض الناس بالأسلوب القصصى حداً عجيبا

أذكر لكم ان مدرساً فاضلا من مدرسى العربية كان يدرس لنا — فى مدرسة أم عباس الابتدائية — وكانت نتائجه أبهر النتائج وتلاميذه أقوى التلاميذ ، وكان السر فى ذلك هو اسرافه فى حب القصص ، وقد بلغ به ولعه بالأسلوب القصصى حداً مدهشاً جعله يشرح لنا فى قواعد اللغة ، «أثر كان وأخواتها وأثر إن وأخواتها» بأسلوب قصصى جذاب يحبب فى النحو أزهد الناس فى النحو .

***

وكثيراً ما لجأ أبى — فى تربيتى — الى ضرب الامثلة والقصص

أذكر لكم أن بعض أشقياء الصبية أغرانى بتسلق الترام وأنا صغير ، فرآنى أبى وانا افعل ذلك ، ولم اره

فلما عاد الى المنزل قال لى — :

لقد حدث اليوم ياولدى امر عجيب ، فقد هوى ولد شقى تحت عجلات الترام فقطعته شطرين ، وظل الناس يلعنونه ويلعنون أهله :

« وهنا ذكرتك ياولدى فحمدت الله على حسن أدبك وبعدك عن هذه الدنايا »

اقول لحضراتكم ان الأرض كادت تغوص بى وكان هذا آخر عهدى بهذا العمل الممقوت.

وفى ذات يوم قلت له — وكنت طفلا — :

انى لأخشى العفاريت والحشرات المؤذية حين اصعد سلم البيت فى ظلام الليل .

فقال لى — :

من الذى يحرسك وانت نائم

قلت — : هو الله

قال — : اتظن ان من يحرسك نائماً لا يحرسك وانت يقظان ؟

فكان ذلك آخر عهدى بالخوف ايها السادة

ولقد قرألى أبى كثيراً من القصص فى فجر حياتى ، لا أزال مديناً لها — الى الآن — بما يظنه فى بعض من يحسنون الظن بى من خيال وأدب

ليست وظيفة الواعظ منحصرة فى أن يقول « اتقوا الله واخشوا عذابه واحذروا ناره فى كل أسبوع بعبارات مختلفة وأن يقول :

«عباد الله»

أوصيكم وإياى بطاعته ، واحذركم وإياى من عصيانه ومخالفة أمره إلى آخر هذه الكليشيهات والعبارات المحفوظة حفظاً والجمل المرصوفة رصفا .

ولكن وظيفته تنحصر فى أن يحسن التعبير عما يشعر به من خوالج وعواطف صادقة، ولو كنت خطيباً فى مسجد ، لما صعب على أن أهتدى إلى موضوع صالح — كل يوم — فضلا عن كل أسبوع

أمامى الحياة اليومية أقتبس منها ألف مثل مما أراه فى الطرقات وغيرها .

أمامى التاريخ الحافل بالعظات والعبر والمثل العليا

موقعة أحد

خذ مثلا على ذلك موقعة أحد

فهى وحدها تصلح موضوعا لعدة خطب

(١) عاقبة المخالفة

كان النصر محققاً للمسلمين فى بدئها

فلما خالفوا أمر النبى (ص) وانتقلوا من مواضعهم كر عليهم المشركون وقتلوا منهم عدداً كبيراً فيهم حمزة عم النبى (ص)

واستطاع العدو أن يخلص إلى النبى (ص) فيرميه بالحجارة

قالوا — : ووقع لشقه

فأصيبت رباعيته وشج وجهه وكلمت شفتاه ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته وسقط فى إحدى الحفر التى حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون الخ

أليس هذا موضوعا جليلا يبين لنا عاقبة المخالفة !

(٢) وفاء الصحابة

وفى هذه الموقعة يتجلى لنا مثل عال من أمثلة الاخلاص والتفانى فى الوفاء . إذ يقبل الصحابة على النبى مستبسلين يفدونه بأرواحهم

يأخذه على يده

ويرفعه طلحة بن عبيد الله

ويحيط به جماعة من الأنصار والمهاجرين ليقوه السوء بنفوسهم .

وتتجلى شجاعة المرأة العربية واضحة فلا تقل عن شجاعة جان دارك التي لا يكاد يخلو من ذكرها كتاب ، والتي ملأوا الدنيا اعجابا بها

تنحاز أم أم نسيبه بنت كعب إلى النبي (ص) وتتفانى فى الذود عنه

— وكانت تسقى الماء فى أول النهار فلما رأت هزيمة المسلمين ، أسرعت إلى النبي تفديه بنفسها ،ضاربة بسيفها مرة ورامية عن قوسها أخرى حتى أثخنتها الجروح .

أتريدون أمثلة أخرى من هذه الموقعة؟ لو شئتم لما وفت الليلة كلها اذا قصرناها على هذه الموقعة وحدها،فلنجتزى بذلك ففيه الكفاية . أتريدون أمثلة على فضل الصبر

فضل الصبر

صبر الصحابة

كان (النبى) يذكر يوما مالقى من قومه من الجهد والشدة ، قال .

«لقد مكثت أياما وصاحبى هذا (يشير الى أبو بكر) بضع عشرة ليلة مالنا فيها من طعام إلا البرير (ثمر الأراك) فى شعب الجبال»

***

وكان عتبة بن غزوان يقول — اذا ذكر البلاء والشدة التى كانوا عليها بمكة — لقد مكثنا زمانا ، مالنا من طعام الاورق البشام . أكلناه حتى تقرحت أشداقنا ، ولقد وجدت يوما تمرة ، فجعلتها بينى وبين سعد ، وما منا اليوم الا وهو مير على كورة

وكانوا يقولون فى من وجد تمرة نقسمها بينه وبين صاحبه : «إن أسعد الرجلين من حصلت النواة فى قسمه ، يلوكها طول يومه وليلته من عدم القوت »

قال (ص) «لقد رعيت غنيمات أهل مكة لهم بالقراريط »

***

أتريدون أمثلة على الاعتداد بالنفس !

جاء (ص) يوما ليدخل الكعبة

فدفعه عثمان بن طلحة العبدرى ،ـــ :

فقال ـــ : « لا تفعل يا عثمان ، فكأنك بمفتاحها بيدى أضعه حيث شئت! »

فقال ـــ : « لقد ذلت قريش وقلت

قال ـــ : « بل كثرت وعزت »

وانظروا الى حواره (ص) مع قريش حين قالت له تفاخره ـــ :

***

« أتباعك من هؤلاء الموالى « كبلال وعمار وصهيب » خير من قصى بن كلاب

، وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس »

فقال ـــ : « نعم »

والله لئن كانوا قليلا ليكثرن، ولئن كانوا ضعفاء ليشرفن .

حتى يصيروا نجوما يهتدى بهم ويقتدى فيقال ـــ :

« هذا قول فلان »

« وذكر فلان »

فلا تفاخرونى بآبائكم الذين موتوا فى الجاهلية .

فلما يد هده الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها .

فاتبعونى أجعلكم أنسابا

والذى نفسى بيده ، لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر ! »

فقال له عمه أبو طالب ـــ :

« أبق على وعلى نفسك ! »

فظن النبى أنه خاذله فقال :

« ياعم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر

حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته »، ثم استعبر باكياً ، ثم قام .

فلما ولى ناداه

أقبل يا ابن أخى

فأقبل

فقال : « اذهب وقل ماشئت ، فوالله لاأسلمتك لسوء أبداً ! »

***

أرأيتم خيرا من هذه الامثلة يسوقها الخطيب يعظ بها قومه ويضرب لهم بها أعلى الامثال ؟

***

زعموا أنه كان أسد فى أجمة ، وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه ،فأصاب الأسدجرب ، وضعف شديدوجهد ، فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : « مابالك ياسيد السباع، قد تغيرت أحوالك؟ »قال :«هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء إلا قلب حمار وأذناه»قال ابن آوى « ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حماراً لقصار يحمل عليه ثيابه ،وأنا آتيك به ، ثم دلف إلى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له:« مالى أراك مهزولا ؟قال :ما يطعمنى صاحبى شيئاً فقال له:وكيف ترضى المقام معه على هذا ؟ قال فما لى حيلة فى الهرب منه كلما أتوجه إلى جهة أضر بى إنسان فكدنى وأجاعنى قال ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان ، خصيب المرعى،فيه قطيع من الحمر لم ترعين مثلها حسناً وسمناً ، قال الحمار: وما يحبسنا عنها ؟ فانطلق بابن آوى نحو الأسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار فخرج إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعا على وجهه، فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له :أعجزت ياسيد السباع إلى هذه الغاية؟ فقال له إن جئتنى به مرة أخرى . فلن ينجو منى أبدا .فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له : ما الذى جرى عليك ؟ إن أحد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحباً بك ولو ثبت له لآنسك ومضى بك إلى أصحابه؟فلما سمع الحمار كلام ابن آوى — ولم يكن رأى أسداً قط — صدقه وأخذ طريقه إلى الأسد فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف فى هذه النوبة فانه إن أفلت فلن يعود معى أبداً.فجاش جاش الأسد لتحريض ابن آوى وخرج إلى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها ثم قال

«قد ذكر الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور ، فاحتفظ به حتى أعود

فآكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك لك قوتا فلما ذهب الاسد ليغتسل ، عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا يأكل منه شيئاً

ثم إن الاسد رجع إلي مكانه فقال لابن آوى — :

أين قلبه وأذناه ؟ فقال له — :

ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفقه به وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع اليك بعدما نجا من الهلكة (١)

٭٭٭

اليست هذه مصداق الحديث « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين »

٭٭٭

ثم ذكر المحاضر امثلة أخرى كثيرة ثم ختم محاضرته بقوله :

فاذا أردت مثل العقوق ومثل الوفاء فأمامك حكاية « أبي صير وابي قير » وهي في ألف ليلة

واذا أردت مثل القضاء والقدر ، فأمامك حكاية الملك عجيب وهي فيها أيضا

واذا أردت مثلا على أن لكل مقام مقالا فاقرأ حكاية العم « عمارة » وهي مشهورة لا حاجة بنا لذكرها

وجماع القول أن القصص وضرب الأمثلة محببان إلى نفوس الكبار والصغار معا وهما من خير الوسائل التي يلجأ اليها الخطيب لتقرير فكرة أو مبدأ في أذهان سامعيه .

سيد ابراهيم

---

(١) من كليلة ودمنة

أبو دهبل

الجمحى

أخبرنا التوزى عن أبى عبيدة ، قال : كان أبو دهبل الجمحى جميلا وضيئاً وكان عفيفاً فخرج إلى الشام فنزل جيرون فجاءته عجوز فقالت له : ان ابنة لى وردها كتاب من حميم لها وليس عندها أحد يقرأه فتدخل اليها فى هذا القصر فتقرأه فتحتسب الأجر فيها ، ففعل فدخل فأغاق الباب دونه ، وإذا امرأة فى القصر رأته فأعجبها فدعته إلى نفسها فأبى فأمرت حشمها فسجنوه فى منزل من الدار ومنع من الطعام والشراب حتى كاد يهلك ثم أمرت به فأخرج ودعته إلى نفسها فأبى وقال : أما الحرام فلا ، ولكن إن أردت أن أتزوجك فعلت ، فقالت نعم وأحسنت اليه حتى ردت له روحه فتزوجته ومنعته من الخروج حتى طال ذلك عليه ثم قال لها ذات يوم قد أثمت فى ولدى وأهلى فأذنى لى أن أطالعهم وأرجع اليك فقالت : لا أستطيع فراقك فعاهدها ألا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر وأعطته مالا كثيراً وغير ذلك ، فخرج حتى قدم على أهله بمكة فوجدهم قدنعي لهم واقتسم ولده ماله وزوجوا بناته ووجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئاً وبكت عليه حتى غمضت ، فقال لبنيه : أما أنتم فحظكم ما أخذتم من مالى وقال لزوجته هذا المال لك فاصنعى به ماشئت وأقام عندها حتى قربت المدة ثم مضى إلى الشام فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه فقال فيها :

صاح حيا الآله حباً ودودا ... عند أصل القناة من جيرون

عن يسارى إذا دخلت إلى الدا ... ر وان كنت خارجاً فيميني

نبئتك اغتربت فى الشام حتى ... ظن أهلى مرجمات الظنون

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغو ... اص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها ... فى سناء من المكارم دون

تجعل المسك واليلنجوج والند ... صلاء لها على الكانون

ثم ماشيتها إلى القبة الخضـ ـراء نمشى فى مرمر مسنون

قبة من مراجل ضربتها قبل حد الشتاء فى قيطون

ثم فارقتها على خير ما كا ن قرين مفارقا لقرين

فبكت خشية التفرق للبـ ـين بكاء الحزين أثر الحزين

فسلى عن تذكرى واطمئنى بأبى وان هم عذلونى



قصيدة ابن زيدون (١)

ما للمدام تديرها عيناك ... فيميل فى سكر الصبا عطفاك
هلا مزجت لعاشقيك سلافها ... ببرود ظلمك ، أو بعذب لماك
بل ما عليك ـ وقد محضت لك الهوى ـ ... فى أن أفوز بحظوة المسواك
ناهيك ظلما أن أضر بى الهوى ... برحاً ، ونال البرء عود أراك

***

واهاً لعطفك والزمان كأنما ... صبغت غضارته ببرد صباك
والليل ـ مهما طال ـ قصر طوله ... هاتى ـ وقد غفل الرقيب ـ وهاك
ولطالما اعتل النسيم فخلته ... شكواى رقت . فاقتضت شكواك
إن تألفى سنة النوم خلية ... فلطالما نافرت فى كراك
أو تحتبى بالهجر فى نار القلى ... فلكم حلت إلى الوصال حباك

***

أما منى نفسى ، فأنت جميعها ... يا ليتنى أصبحت بعض مناك
يدنو بوصلك ـ حين شط مزاره ـ ... وهم أكاد به أقبل فاك
ولئن تجنبت الرشاد بغدرة ... لم يهوبى فى السعي غير هواك
فلجهورى أبى الوليد خلائق ... كالروض أضحكه الغرام الباكى
ملك يسوس الدهر منه مهذب ... تدبيره للملك خير ملاك
جارى أباه ـ بعد ما فات المدى ـ ... فتلاه بين الفوت والادراك
شمس النهار وبدره ونجومه ... أبناؤه من فرقد وسماك

---

(١) طلب الينا أديب كبير أن ندله على قصيدة ابن زيدون التى فيها قوله
أما منى نفسى فأنت جميعها ... يا ليتنى أصبحت بعض مناك
يدنو بوصلك حين شط مزاره ... وهم أكاد به أقبل فاك
ونحن ننشرها له ولفائدة القراء

يستوضح السارون زهر كواكب ... منهم تنير غياهب الاحلاك
بشراك يا دنيا ، وبشرانا معا ... هذا الوزير أبو الوليد فتاك
صنع الضمير إذا أجال بمهرق ... يمناه فى مهل وفى إيشاك
نظم البلاغة فى خلال سطوره ... نظم اللآلى التوم فى الأسلاك
نادى مساعيه الزمان منافسا : ... أحرزت كل فضيلة ، فكفاك
ما الورد فى مجناه سامره الندى ... متحليا إلا ببعض حلاك
كلا ولا المسك النموم أريجه ... متعطر ، إلا بوسم ثناك
اللهو ذكرك ، لا غناء مرجع ... يفتن فى الاطلاق والامساك
طارت اليك بأوليائك هزة ... تهفو لها أسفا قلوب عداك
يا أيها القمر الذى لسنائه ... وسناه تعنو السبع فى الأفلاك
فرح الرياسة - إذ ملكت عنانها - ... فرح العروس بصحة الاملاك
من قال إنك لست أوحد فى النهى ... والصالحات فذان فى الاشراك

***

قلدنى الرأى الجميل فانه ... حسبى ليوم زينة وعراك
وإذا تحدثت الحوادث بالدنا ... سرا إلي ، فقل لها : إياك

تيوسيديد

المؤرخ العظيم

بقلم الأستاذ أبى « مصطفى »

ولد «تيوسيديد» سنة ٤٦٠، وتوفى سنة ٣٩٥ ق . م، وهو من أسرة موسرة متصلة بيت الملك فى تراقة وقد ورث عن أبيه أملاكا واسعة ومناجم للذهب فى هذا الأقليم وانتخب قائداً فى ٤٢٤ ق . م ، وكلف بحماية سواحل تراقة بأسطوله، ولكنه وصل متأخراً فسقطت فى يد القائد الاسبرطى

فاتهموه بالخيانة فاعتزل عمله وهجر البلاد ومكث بعيداً عنها نحو عشرين سنة كتب غضونها تاريخ حرب البلوبونيز ، وزار بنفسه البلدان التي حدثت فيها الوقائع الهامة وعاد إلى أثينا سنة ٤٠٤ ق . م، بعد أن استولى عليها الاسبرطيون، ومات سنة ٣٩٥ ق . م موتاً جنائياً ، وقد يقال بأن جماعة من اللصوص فتكوا به وهو عائد إلى ثراقة

أما مؤلفه التاريخى فقد نهج فيه منهجاً فلسفياً لاعتقاده أن للتاريخ قوانين لايحيد عنها ، فبحث فى أسباب الحوادث وتعرف أخلاق الأفراد والشعوب وتكلم فى المواضع الجغرافية ونظام الحكومات وقوة البلاد الحربية وحالتها المالية وفى العلاقة بين ذلك وبين الحوادث التاريخية

واستنتج أن المنفعة كثيراً ماتحدو الناس إلى تخطى الحق وانتهاك حرمة الفضيلة وكان خبيراً بالسياسة عالماً بالحروب، ويمتاز عن غيره بأنه كان لايكتب شيئاً إلا بعد أن يتثبت منه ويناقشه بعدل ونزاهة مناقشة خالية من الغرض، فجاء تاريخه موثوق الأخبار صادق الرواية حسن الترتيب

وإذا كان « أكاتييه» أول من فكر بعض التفكير فى أن يناقش بعض الحوادث التاريخية فان « تيوسيديد » أول من عرف كيف يضع لمناقشة الحوادث وتمحيصها قوانين لم يحدعنها قيد شعرة كما أسلفنا، ووصل ببحثه إلى درجة يشكره عليها كل

مؤرخ منصف، ويرى القارىء — خلال حوادثه — الطبيعة مرتسمة خالية من كل تكلف عارية عن كل صقال وزينة، ثم إنك لتجد الأشخاص الذين يسردهم لك فى التاريخ يفصحون عن خوالجهم بوضوح تام فتتأثر بأقوالهم كما لو كنت معاصرهم، وتراه يشرح لك بعض الخوالج النفسية كالنفاق مثلا شرحا يبينه لك مجانساً لما نشاهده فى اخلاق معاصرينا، وهو فضلا عن ذلك يتدفق يراعه حكمة وانصافا حين يقص عليك نبأ من الأنباء فتلمح فيه الصدق وصفاء الذهن الفياض مما يجعل أعظم المؤرخين العصريين حقيقاً بدرسه والاستفادة منه!

وإذا شئتم فأنى أحيلكم على وصفه للطاعون فى أثينا فيما لا يتعدى الخمس صفحات وما أوضحه فيه من اضطراب النظام وتحليله الفسيولجى الدقيق الذى يحسده عليه الطبيب الماهر بأسلوب يعلمنا كيف نؤثر الصدق والبساطة فى التعبير على غيرهما، ولقد ترى فى كثير من أوصافه كيف أن طبع الانسان واحد لم يتغير — رغم اختلاف الأزمان والبقاع والظروف — وكيف أن طباع وغرائز الأثينين فى ذلك الوقت شديدة القرب جداً من طباع ساكنى لندن وباريس اليوم

ويقولون إن «تيوسيديد» سمع «هيرودوت» المؤرخ الشهير يشرح بعض حوادث التاريخ وكان الأول غلاماً فبكى شغفاً بما سمع وهام بالتاريخ هياماً، وقد أخبر «هيرودت» أبا «تيوسيديد» أن ابنه سيكون مؤرخاً ذا شأن، وقد صدقت نبوءته. وكان شغوفا جداً بهيرودوت المؤرخ

ولقد يذكرنا ذلك بالشاعر «أبى نواس» حين كان صغيراً وكان جد شغوف برؤية «والبة ابن الحباب» الشاعر الذى كان ذائع الصيت فى عصره، وحدث أن أبا نواس اضطرته الحال بعد موت أبيه وهو صغير أن أسلمته أمه إلى عطار، واتفق أن والبة بن الحباب قدم الأهواز فمر بذلك العطار فلقى أبا نواس فتوسم فيه النباهة لصباحة وجهه، ولما جالسه أنس فيه قريحة وقادة، فقال له: إن فيك مخايل أرى ألا تضيعها وستقول الشعر». وعرفه بنفسه ففرح بمعرفته أبو نواس وكان ما قال والبة

نرى أمثال هذه الحكايات غالباً فى تاريخ حياة النوابغ والعظماء، وعندى أن هذا الشغف الذى يلازم الصبي — منذ نشأته — بأى فن من الفنون، هو وحده آية نبوغه.

فى مستقبل حياته، وأنت تجد النابغ يميل من صغره إلى سماع أقوال العظماء وتقدير أعمال النوابغ أمثاله، ولكنه يفرد بالاجلال والاكبار النوابغ فى الفن الذى شغف به

وهذا الشغف الذى بدا على «تيوسيديد» وأبى نواس بما نبغا فيه، هو وحده الدليل الذى استدل به هيرودوت وابن الحباب على مستقبل كل منهما من تلميذيهما !

لقد ملأ هيردوت أسفاره بكثير من الأحاديث والكلمات الخالدة التى فاه بها أبطاله فوق مسرح التاريخ أما «تيوسيديد» فكان أول مبتكر لسلاسل الخطب الطويلة الشأن التى عابه عليها المعاصرون ولم يقره عليه بعض القدماء — منذ خضعت أثينا لسلطان روما — فالشأن فى الأمم المستعبدة أنها رهن إرادة السيد الآمر، على أن الأمر فى الأمم الحرة يرجع إلى قوة الحجة ونصاعة البرهان وأثرهما فى أقناع الناس

كانت الخطب اليق الشؤون بعصر تيوسيديد، فبها استطاع الزعماء أن يسوقوا جموع الأمة إلى أقرارهم على إعلان الحرب وعقد السلم ومد يد المحالفة

وكان لها الأثر الأكبر فى إحلال العقاب بالمجرم الأثيم وتسريح المتهم البرىء، أما رنينها فى مسامع الجند حين يخطبهم قوادهم فكان الأثر الدافع لهم على خوض غمار الحرب، غير هيابين، وكانت أكبر مؤثر فى التاريخ، وانه لحق أن «تيوسيديد» لم ينقل الخطب كاملة كما قيلت، بل نقل ماحصل عليه منها أو على الأقل مافيها من النقط الهامة، على أنه حين تعذر عليه سماعها ضن بكرامة فنه أن يقررها فى كتابه !

وانه لجميل ماهتدى اليه (بيرو اليانكور) خلال بحثه وملاحظته الصادقين، من بعد نظر «تيوسيديد» فى إدخال هذه الشؤون البديعة فى تاريخه فقد رفعت قدره

ولقد أصاب إذ رأى أن المحاضر يستطيع ان يتتبع الفكرة ولا يخطئها لطول الحديث وتعدد مناحيه وكثرة الافكار، وعجيب أن تعلم رأيه فى الحوادث الهامة وفى أبطال تاريخه فقد استشف برأيه الثاقب حقائق كثير من المسائل السياسية الشأن وهذا هو الذى ميزه على كثير من المؤرخين، ولقد اعتبرت خطابات «تيوسيديد» شيئاً تكميليا لعمله التاريخى لطولها ولا مرما وسعت كثيرا من الاشياء التى لاحاجة بها، فان رغبته فى ان يدون كل الأراء التى علم بها قد أرهقت أسلوبه ولم تسع كلماته معانيه

هذه الخطابات الغنية بمعانيها الفقيرة بألفاظها ومبانيها كانت فى خفائها وغموضها

بحيث تعذر على كثير تتبع أفكار تيو سيديد واقتفاء أثرها، ولذا لم يكن عجيبا ان شيشرون رأى فيها كثيرا من الآراء التى عجز عن ادراكها وتفهمها

وليس السبب فى خفاء آرائه راجعا الى الالفاظ فحسب، ولكن للاضطراب فى الوضع أيضاً. فقد أولع بالمجاز الذى أباه كثير من متفقهى اللغه فى اليونان والذى ذهب ببهاء معانيه، ولطالما أولع باستعمال الأساليب الشعرية الغنائية فتعذر على القارىء أن يتتبع رأيه، ولقد تملكه حب استعمال كثير من الكلمات الدفينة واستحداث كثير من التى لم تعرف وادخاله فى النثر أساليب الشعر

وان اقتناعه بعظمة الموضوع الذى يكتب فيه قد قاده الى الاغراق فى استعمال كثير من الأساليب والتراكيب الغامضة، معتقدا أن جمال الشعر ورفعته مما يلائم تمام الملاءمة فخامة موضوع كتابه (صفة لصقت بنفسه فعلقت بكتابته)

وانه ليتراءى فى أسلوبه جافا لشدة رغبته فى أن يلقى فى روع سامعه المعنى الذى يريده فهو جد مكثر من الكلمات الدالة على النغم، وهو لا يرضى ان يغفل فى كتابته رنين الاسلحة وصراخ الجند وعجيج الجموع الهائلة!

« المقارنة بينه وبين هيردوت »

وان هيردوت لم ينل ذلك التفضيل من نفوس كثيرين إلا لأنه يجهد نفسه فى امتاع القارىء، على ان الراغبين فى اجهاد رؤسهم فى التفكير لا يحجمون عن تفضيل تيوسيديد

وان غرام ديموستين بتيو سيديد قد دفعه الى نسخ تاريخه ثمانى مرات بيده اذ رآه أكبر مقتدر على الأبانة عما فى نفسه بفصاحة عجز الكثيرون عنها

كتب بعضهم فى عام ذكراه « ليست فصاحة تيوسيديد كما ذهب اليها شيشرون فى كتابه عنه، جد ملائمة لفضاء دور القضاء ولم تكن لتنال الاثر الكبير فى المجامع العامة، ولكنها قدرة الخطيب الذى يجد الوسائل المتعددة التى تستنهض الفكر وتعين على تحسين قواعد الفن!

وان تيوسيديد ـ بين جميع المؤرخين ـ الرجل المطاع بين رجال الامة الواحدة التى يطمع كل رجل منها أن يكون يوما مديرا لدفة حكومته»

وان مندو بامن كبار نواب الانكليز لم يتردد أن اعلن فى غرفة البرلمان أن من العسير

جدا أن يلقى سؤال أو يعرض مشروع على هيئة التشريع لانترسم فيه شعاعا من نو ر تيوسيديد

و ان شار لكان — أكبر سياسى فى عصره — قددرس ترجمة تيوسيديد الفرنسية (ليسيسيل) واصطحبه معه فى كل رحلاته الحربية ، شأن الاسكندر فى اصطحابه ديوان هوميروس فى معامع فتوحاته

ولم يضع مجهود توسيديد ولم يعجز معاصروه عن الحصول على مسودة كتبه التى سقطت مصادفة فى يد فرد كفء قدير هو (زينوفون) المؤرخ والكاتب الحلو الحديث وان كان يشوبه شىء من الضعف، على خلاف تيوسيديد ذلك المنافس المخيف و المناظر المنتصر ولقد كان فى وسعه أن يخفى اسم تيوسيديد الى الابد ولكن شيئاً من هذه الهواجس لم يداخل نفس (زينوفون) فلقد قنع ان يشيد بناء مجده على نشر قطعة من التاريخ خالدة عجز عن محاكاتها غير أنه رضى بنشرها وتخليدها

***

واذا نظرنا الى العصر الذى نشأ فيه تيوسيديد عرفنا السبب الذى جعل له هذه المكانة وادركنا ان الجو الذى نشأ فيه كان جو قادة ومفكرين وأن عصره كان عصر نوابغ، وحسبنا ان نقول انه هو ومن عاصره من النوابغ والعظماء كانوا نتيجة طبيعية لازمة لعصر زاهر كعصر بركليس الذى وصلت فيه اثينا الى ذروة المجد وعلا كعبها فى العلوم والمعارف بعد انتصارها الباهر على الأمة الفارسية ، وأشهر معاصرى تيوسيديد من العظماء هم : اسخيلوس وسوفكليس وافريبيذس من الشعراء، وسقراط الفيلسوف وبقراط الطبيب واريستوفانس الكاتب وليسياس الخطيب ، ولكل واحد من هؤلاء أثر فى فنه شبيه بآثار الآخر . ويمكن ان يقال عنهم بالاختصار : ان كل واحد منهم قد ابتكر نوعا هاما فى فنه وجاء فيه بشىء جديد لم يكن من قبل

وإنى الفتكم ياسادة الى أن سقراط هو أول من قلب نظام التفكير والفلسفة فى اليونان وأوجد طريقة التفكير فيما يكفل للانسان سعادته الحقة ، طارحا كل ماعنى به متقدموه من الترهات

وتيوسيديد هو أول من ابتكر نظاما وقوانين خاصة بالبحث فى التاريخ وجعله

خاضعا للنقد و البحث والتمحيص — كما أسلفنا — وهو يمتاز عن هيردوت بأن الثانى يكثر من قص الحوادث عليك باسهاب ، بينا نجد تيوسيديد يوجز الايجاز كله فيما يقول دون ان تفلت منه نقطة هامة وهو يفكر أكثر مما يقول، فيضطر المطلع على تاريخه الى التفكير أكثر مما يقرأ

وقد كان بودنا ان نعقد مقارنة شاملة بين هيرودت و تيوسيديد، ولا بأس من تركها الآن

ولقد عاب بعض المؤرخين المحدثين على المؤرخ تيوسيديد شيئاً واحدا وشاركهم فى رأيهم بعض المؤرخين القدماء ، وهو ذكره الخطب أثناء سرد حوادث التاريخ كما أسلفنا، و يمكن أن يدفع عنه هذا الانتقاد بأن ذكر الخطب التى تقال فى عصور الاستبداد والظلم ليس فيه فائدة لأن كلمة واحدة يقولها الحاكم فى تلك العصور كفيلة أن ينفذها الشعب المستعبدون دون تردد أو مقاومة ، فاما فى عصور الحرية فان الرأى العام، رأى الشعب، يكون دائماً صاحب الكلمة النافذة المسموعة ، فلا يمكن أى قائد أو حاكم أن يحرك دفة الشعب أو يهيمن على الجمهور إلا بالخطب البلاغية الملأى بالتأثير الخطابى والسحر، لذلك كانت أمثال هذه الخطب قيمة باعثة فى القارىء نشاطاً، ولا شك أن الخطب التى نقلها الينا تيوسيديد فى مؤلفه جاءت مختصرة ملأى بالمعانى الجليلة و الأغراض السامية وهو لم يدونها بحذافيرها كما قد يتوهم بعض الناس، ولكنه كان يعرف فحواها ثم يعمل على تلخيصها والاتيان بأهم النقط التى يركز عليها الكلام، ولم يشأ أن يقطع على القارىء سلسلة الحوادث بملاحظاته لعلمه بأن تتبع الحوادث التاريخية المرتبطة ببعضها أمر طبيعى

أسباب الحرب البلوبونيزية (بأيجاز)

أولا: دسائس الفرس للتفريق بين اليونانين

ثانياً: غيرة اسبرطة من نهضة اثينا الأدبية والسياسية

ثالثاً: نفور مدن التحالف من اثينا لمعاملتها معاملة السيد للمسود

رابعاً: تذمر الذوريين أهل ميغارا وكورنثة من تعطيل تجارتهن بمنافسة أثينا

هذا وإذا عرفنا طبيعة الأمة اليونانية الجبلية الميالة إلى الشغب و علمنا أن السبب القوى الذى كان يدعوهم إلى التكاتف — وهو حربهم مع الفرس — قد زال، سهل علينا ادراك أن شبوب تلك الحرب كانت نتيجة طبيعية لهذه المقدمات، و لا بأس من الكلام قليلا

على النقطة الثانية، وهى غيرة اسبرطة من نهضة اثينا الأدبية والمناقشة السياسية بينهما التى بدأت من سنة ٤٣١ إلى ٤٠٤ قم

وكان كلاهمايطمع فى أن ينفرد بزعامة الأمم الأغريقية ، وكان ثمة عدو ثالث شديد الخطر على أثينا، وهو كورنثه التي رأت أن مصالح اثينا واتساع تجارتها كانت مرتكزة عليها وعلمت أنها تضحى بثروتها فى سبيل انماء ثروة اثينا — وهى لاتنتفع نفسها بهذه التضحية — بينا تجد اثينا مخمورة تياهة متغطرسة عليها ،وكان أهل طيبة يكرهون الاثينيين أشد الكره و يتحينون كل فرصة للانتفاع بها فى القضاء على أثينا التى كان لها اعداء آخرون عديدون ينفسون عليها قوتها و يودون لوسحقوها سحقاً

وأول شرارة بدأت فى شبوب هذه الحرب هي المنازعة التى قامت بين اثينا وكورنثه وأفضت إلى إرهاق الثانية وتدميرها فتظلم الكورنثيون إلى اسبرطة وعضد الأخيرة كثيرمن البلوبونيزيين الذين أسرعوا الى محالفتها وشنوا جميعاً الغارة على أثينا

وكان سبب هذه الشرارة الأولى هو أن كورنثه لما همت بتأديب جزيرة كورسيريا مستعمرتها التجأت هذه إلى اثينا لما علمت من قوة كورنثه وأدركت أنها لا تستطيع مقاومتها،وأرسلت وفداً يستنجد بأثينا .وخشى الكورنثيون أن تحالفها اثينا فبعثوا وفدا آخر ليعارض أقوال وفد كورسيريا

وارتجل كل منهما خطبة — غاية فى البلاغه — وعقدت أتينا بعد ذلك جلستين للتحكيم والنظر فى ماقاله كل من الفريقين ، فحكمت لكورنثة فى الجلسة الأولى ،ثم نقضت حكمها فى الجلسة الثانية ، و رفضت محالفتها وأعلنت قبولها محالفة كورسيريا، فاضطرت الثانية للالتجاء إلى اسبرطة التى شدت أزرها وبدأت تلك الحروب الطاحنة التى انتهت بانهاك قوة الاغريق والتى لم تكد تنتهى حتى أغار على بلاد الاغريق الملك الناهض فيليب ملك مقدونيا الناهضة وأبو الاسكندر المقدونى .

***

وانى أنتقل الآن إلى هاتين الخطبتين النفيسين،وسترون صدق ذلك حين تسمعونهما وتجدون كيف كانوا يؤدون المعنى بأسلوب سياسى خلاب يصعب على الناقد البصير أن يجد فرقاً كبيراً بينه وبين الأساليب السياسية الحاضرة وما يسمونه لغة السياسة

اليوم، وهما حافلتان بالنقط الهامة ،وانى أجتزىء الكلام اجتزاءاً و ألفتكم إلى تذكير كورنثة لاتينا فى خطابتها بما أدته اليها من الخدمات الجليلة فى معاونتها فى كثير من الأحيان على اخضاع مستعمراتها واخماد شكواهم وتسألها فى نظير ذلك أن تطلق لها الحرية فى تأديب مستعمرتها كورسيريا كما أطلقت لها الحرية فى تأديب مستعمراتها الثائرة من قبل. وإنى أسألكم: أليس هذا هو ما تتبعه الدول القوية دائماً فى اخماد شكوى مستعمراتها — تتغاضى كل واحدة منها عن أعمال الأخرى فى نظير أن تتغاضى الثانية عما تأتيه الأولى من الجور والعسف

وهكذا كان يقتسم الأقدمون البلاد بنفس الطريقة التى لا يزال يتبعها المتمدينون المعاصرون ، ولا غرو فان الطبائع البشرية لم تختلف عما كانت عليه منذ آلاف السنين وهى لا تزال كما كانت خاضعة للطمع والجشع

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

واليكم مثلا مافعله الرومان مع قرطاجنة فيما قاله العلامة مونتسكيو فى كتابه «عظمة الرومان»وهو لا يختلف عما نجده الآن

وسترون فى خطبتها أيضاً نقطتين كلاهما لا تقل عن هذه أهمية فى الدفاع عن نفسها فيما اتهمها به الكورسيريون من العسف والظلم، إذ ستشهد أولا على حسن سلوكها وسوء سلوك كورسيريا بأن جميع مستعمراتها على وفاق تام معها.وأنهن يحببنها و لم يندعن ذلك الا كورسيريا وذلك يدل على سوء سلوكها الشاذ

و تعتذر عن استعمالها القوة مع كورسيريا بأنها وجدت من غطرستها و اعتداءاتها المتوالية ما اضطرها إلى ذلك، ثم تقول: « و لوكنا بادئيهم ألم يكونوا جديرين بأن يرشدونا بالحسنى و الأناة؟ إنهم لو فعلوا ذلك إذن لاضطررنا إلى الاعتذار عن خطئنا» وهاتان النقطتان نجدهما واضحتين فى أعمال الأمم القوية دائماً

أولا : إذا ثارت مستعمرة على حاميتها تطالب منها الحرية برفق وأناة فأنها لا تصيخ اليها و تستعمل القوة فى إخمادها

فاذا اضطرت المستعمرة أيضاً إلى استعمال القوة مع حاميتها وجدت من الأمة الحامية مثل هذا الجواب وهو «لقد كانوا جديرين أن يرشدونا بالحسنى والأناة لا بالعنف والغطرسة

ثانياً حينما تناقشتها الأمة المحمية الحساب أمام آخرين تجد الأمة الحامية تستشهد على حسن سلوكها معها برضاء جميع الأمم الأخرى عنها وحبها إياها وتقول أن هذه شاذة عن بقية المستعمرات ولو ثار سواها من تلك المستعمرات التى تزعم الأمة الحامية أنها ممن يحببنها لكان اعتذارها واحدا لايتغير وهو أن هذه مستعمرة شاذة وهكذا كان شأن كورنثه قديماً، شأن كل قوى فى الماضى والحاضر

واليكم خطبة الكورسيريين

أيها الأثينيون: إن أمة لم تسد إلى جاراتها خدمة ولم تمنحهن يد المساعدة فى الماضى ولم تحالف أحدا منهن قط ولم تسد اليهن صنيعاً يمكن أن تذكرهن به حين تستصرخهن وتسألهن مساعدتها فيرددن اليها الاحسان بالاحسان. إن أمة لم تفعل شيئاً من ذلك جديرة إذا هى وقفت أمام أحد هؤلاء المستصرخين كما نقف نحن أمامكم الآن نطلب منكم النجدة والمساعدة أن تبرهن لهم أمرين أساسيين:

الأول أن تثبت لهم أن مساعدتهم إياها نافعة ومجدية أو على الأقل غير ضارة بمصالحهم

والثانى: أنها ستحتفظ لهم بعرفان جميلهم وأنها لن تنساه لهم مادام فيها عرق ينبض

فاذا أخفقت الأمة المستنجدة فى تقرير هاتين النقطتين وإثباتهما فلا تحزن إذا خاب ملتمسها ورجعت بالفشل

وقد عرف الكورسيريون أنهم — حين يطلبون منكم المساعدة - قادرون على تقرير هاتين النقطتين تقريرا، وبهذه الثقة أوفدونا إليكم — فنحن نشعر أن سلوكنا الماضى يجب أن يبدو لكم أنه كان منافياً للحزم ويجب أن نحس أن هذه الأزمة الحالية قد جعلته مضاداً لمصالحنا، فنحن الذين ضنا بمحالفتنا على كل الناس ولما نمنحها احدا نأتى الآن ونقف أمام غيرنا طالبين منهم المحالفة.

لقد كان ذلك المذهب السياسى الأول الذى كنا نتبعه هو سبب عزلتنا عن الناس فى هذه الحرب الحالية ضد كورنثه، وقد بدا لنا جلياً أن إحجامنا عن مشاركة غيرنا فى حروبهم التى اقتحموها ومساعدتهم فى خوض وقائع لاعلاقة لنا بها ولا فائدة لنا منها كان رأيا مأفوناً ملؤه الخطل وضعف الرأى

ونحن وإن كنا - منفردين - قد قهرنا الكورنثيين بقوانا فحسب، فاننا نراهم يزدادون زيادة مروعة ويجمعون قوى عديدة مختلفة من أرجاء بيلوبونيزيا وباقى البلاد الأغريقية بحيث لانستطيع مقاومتهم بقوانا وحدها، وأنها ستكون الطامة الكبرى إذا فازوا باخضاعنا فاضطرتنا الحاجة الشديدة إلى استصراخهم واستصراخ كل أمة يونانية أخرى مؤملين منكم الصفح الجميل عن ذلك السلوك الأول المضاد لسلوكنا الحالى والذى نشأ عن خطأ فى الحكم وليس عن سوء نية

فاذا اقتنعتم بوجوب مساعدتنا فانكم بلا ريب مهنئو بعضكم بعضاً للأسباب الآتية

أولا: أنكم تمدون يد المساعدة لأمة ترزح تحت أعباء الظلم دون ان تقترف إثما

ثانيا: ان كل مانملك الآن من قوة وبأس قد اصبح تحت خطر هذه الحرب الحالية وإنكم إذ اصرختمونا فى مثل هذه الأحوال العصيبة مكنتم لكم فى قلوبنا شكرا يبقى أبد الدهر

ثالثاً: اننا إذا استثنينا قوتكم وجدنا ان قوتنا هى الأولى بعدكم فى «هيلاس» قدروا ذلك منصفين، ألاترون كم تكون هذه الفرصة قيمة ونادرة الوقوع وهل ترون أنكى لعدوكم من أن يرى قوتنا الحربية العظيمة النادرة تقدم نفسها لكم بلااجر وبدون مقابل طائعة مختارة - ولها مثل هذه العدد الحربية العديدة المروعة، وتجعلكم تظهرون امام العالم اجمع بمظهر المنتصر لأمة مهضومة الحق، والقوى من فاز فى حرب عظيمة كهذه

نقبوا كل حوادث من مضى بانعام واناة، نقبوا فان صفحات التاريخ امامكم وانا الكفيل بانكم لن تستطيعوا العثور على مثل هذه المعاهدة الفائزة التى بكتسب منها المحالف المساعد من المستنصر به كل هذه المزايا والفخر دون ان يعرض نفسه لخطر او ينفق شيئاً

ولكن قد يحسب احدكم أن نفع هذه الحرب مقتصر علينا فاذا اعتقد أحدكم ذلك فهو جاهل لاينظر إلى ابعد من انفه وهو غافل عن ان لسيد من La cedemon ينظر إليكم بعين ملؤها الحقد والغيرة، وأن كورنثة القوية تطلع اليكم وهى عدوة لدودة وتحاول اخضاعنا اولا ليكون ذلك سبيلا يمهد لها اخضاعكم فيما بعد وهى تسعى لذلك

جهدها وتتخذ طريقة إيقاع العداوة بيننا وبينكم حتى لا تنضم اليكم ثم هى بعد ذلك شارعة في احد امرين

إما أن تسحق قوتنا سحقاً ثم تشرع فى سحق قوتكم بعد، و إما أن تضمنا اليها للقضاء عليكم

فواجبنا حينئذ أن تتكاتف معاً وأن نسرع برسم الخطط التى يجب علينا اتباعها أزاء ذلك، ثم نبدأ بمهاجمتها قبل أن تبدأ هى بمهاجمتنا أولا، فنشتغل بالدفاع عن أنفسنا مضطرين، فاذا احتجت على تحالفكم معنا بأننا مستعمرة من مستعمراتها وأن ليس لكم حق التداخل والمحالفة فلتعلم كورنثه ان كل مستعمرة تعامل معاملة عادلة تخدم حاميتها التى تنتمي اليها، ولكنها إذا عوملت معاملة سيئة فانها بلا ريب تصبح غريبة عنها لعسفها. فان المستعمرة لم تخلق لتعبد بل لتعامل معاملة الند للند والقرين للقرين وغنى عن البيان ان كورنثة قد أرهقت ارهاقاً فانهم وضعوا أهل أيبدمنس تحت الأحكام العرفية عاملين على إخماد شكواهم بالحرب بدلا من إخمادها بوضع محالفة عادلة

ألا وليكن سلوكهم معنا — على ما بيننا وبينهم من قرابة — مثلا طيباً لكم يمنعكم من الوثوق بهم والانخداع بكلامهم اللين، ولتعلموا أنكم كلما ازددتم عنهم بعدا كلما كنتم أقرب إلى السلامه والأمن، فاذا اعترض عليكم بأن قبولكم محالفتنا يعد خرقاً للمعاهدة التى بينكم وبين لسيدمن Lacedaemon فانا نجيب على هذا بأنا أمة محايدة والمعاهدة صريحة النص على أن لأى أمة محايدة حق الانضمام إلى أى جانب تشاء

وانه لمن الأشياء التى لا تطاق أن يسمح لكورنثة ان تضم اليها ماتشاء من قوى عديدة دون أن تقتصر على قوى حليفاتها فحسب، بل تتعداها إلى جميع قوى «هيلاس» فتجمع منهم عدداً عظيما بينما أنتم تحرمون من ضمنا اليكم والانتفاع بقوتنا مع أن نص المساعدة صريح فى جواز تمتعكم بانضمامنا اليكم وانضمام قوى أخرى غيرنا

ولئن رفضتم محالفتنا — نحن المخلصين لكم — وساعدتم الكورنثيين أعداءكم الذين يتمنون تدميركم فى أقرب فرصة فسيكون ثم مجال واسع لتألمنا منكم ولنا الحق فى ذلك كيف ؟ ؟ أتحالفونهم ثم لا تقتصرون بعد ذلك على منحهم المحالفة بل تتعدون ذلك إلى

اعطائهم ما يلزمهم من العدد والذخائر التى يطلبونها منكم — وهم أعداؤكم ومحالفو أعدائكم — وتتخلون عنا نحن الذين لم يسيئوا اليكم قط

لكم منا أن نقسم وأن نثبت لكم محالفتنا إياكم إثباتاً لا يجعل مجالا لاحتمال الشك. وإذ بينت لكم الفوائد العديدة التى تكتسبونها بمحالفتنا فى أول خطبتنا فانى أزيدكم وثوقاً بما قلت فأقول: هل تثقون بشىء أكثر من أن نحالفكم محالفة تمحو كل فرق بيننا فيصبح عدو آثينا عدونا وتصبح قوتنا على أهبة واستعداد لمحاربة كل خائن ومعاقبة كل معتد، إذن فلتعملوا على أن لا تبقوا أية قوة بحرية خلاف قوتكم وقوة من يحالفكم. فاذا فعلتم ذلك أحرزتم صداقة القوى البحرية العظيمة التى ترغب حينئذ فى الانضمام اليكم حتى لا تمنع من وجودها فى البحر — إذا أقررتم ذلك وخاف أحدكم ان يكون فى ذلك خرق للمعاهدة فانى مجيبه على هذه النقطة

تقرير مبدأ «الحق للقوة»

فلأن تخرقوا المعاهدة وانتم اقوياء مرهوبو الجانب والسطوة تتحاماكم جميع القوى خوفاً ورعبا خير لكم من أن تتبعوا نصوص المعاهدة دون ان تحيدوا عنها قيد شعرة واحدة وأنتم ضعفاء لينوا الجانب تطمع فيكم القوى العديدة فيجر ذلك الطمع الى حربكم وقهركم

ومتى كنا معكم فانكم تكونون اقوياء مرهوبى السطوة، فاذا فقدتمونا فقدتم قوة عظيمة تجر الى وهنكم، ولا تنسوا ان مصلحتكم فى محالفتنا لا تقل عن مصلحة كورسيريا فى محالفتكم، وانكم لن تكونوا قد قمتم لآثينا بفروض الخدمة والوطن التى يحتمهما عليكم واجبكم إذا لم تتخذونا عدة لكم وعوناً تدرؤون به حرباً منتظرة قريبا شبوبها وليس فيكم احد يجهل ولاءنا وقوتنا وكفايتنا واستعدادنا لخوض غمار تلك الحرب معكم، وانى مختصر خطابى بالكلمة النهائية الموجزة لأريكم فيها شدة ما يصل اليه حمق وجهل من يضحى منكم كورسيريا فى هذه الحرب الحالية، دون ان ينتفع بقوتها. فلتعلموا علم اليقين ان فى هيلاس ثلاث قوى عظيمة وهى آثينا وكورسيريا وكورنثة فاذا سمحتم لثنتين من هذه القوى ان تجتمعا وضممتم كورنثة اليها فانكم

ستواجهون اساطيل عديدة لكورسيريا وبيلوبونيزيا ، اما اذا حالفتمونا فستكون معكم سفننا تعززكم فى المعركة و تنصركم على اعدائكم

خطبة الكورنثيين

أما والكورسيريون لم يقتصروا على طلب محالفتهم فحسب، بل تعدوا ذلك إلى اتهامنا بالظلم والعسف، وأبدوا لكم أننا أرهقناهم فى حرب طاغية مجحفة لاحظ لهم فيها، فان علينا أن نبدأ فى مناقشة هذه التهم بادىء بدء ثم نتطرق إلى ما جئنا بصدده ونوضحه لكم توضيحا حتى تثق من أننا قد كونا لكم فكرة صحيحة وعقيدة ثابتة عنا وعنهم، بحيث لا تترددون لحظة فى تخييب ملتمسهم ولكى تكون لكم مندوحة لرفض ماسألوكم فيه — محقين فيما تعملون عادلين فى ردهم خائبين — ذلك واجبنا الاول الذى نبدأ بشرحه وتبيانه . واليكم برهاننا

أما عن اعتذارهم عن سياستهم الاولى القديمة التى اختطوها لأنفسهم من ميلهم لرفض كل تحالف مع غيرهم من الامم فانها كانت سياسية ظاهرها الاعتدال والحزم وباطنها الخبث وسوء النية ، وذلك لانهم كانوا لايعربون عن محالفة سواهم إلا خشية ان يطلع على ما يرتكبونه من عسف وإرهاق واستبداد مع غيرهم من الامم المرهقة وحتى لايخجلهم حلفاؤهم إذا رأوا منهم أمثال تلك الافعال المخزية. والكورسيريون — على منعة موقعهم وحسن مركزهم الذى يكفل لهم الاستقلال بانفسهم عن مساعدة الآخرين ويساعدهم على أن يكونوا الخصم والحكم للأمم المجاورة التى تضطر إلى تحكيمهم فى شئونها إضطراراً — تجدهم قلما يبحرون إلى سواهم من الامم، بينا تدفع الحاجة غيرهم من الامم بحكم المصادفات ان تعرج عليهم فيزورهم كثيرا من الامم القريبة عنهم، والآن وقد انتهينا من تقرير أسباب تألمنا وجشع خصومنا وسوء نيتهم وأثبتنا ذلك بالحجة والبرهان ، فان علينا أن نوضح لكم نقطة تعمد الكورسيريون أن يخطئوكم فى فهمها مؤولين المعاهدة حسب أهوائهم، نعم إن فى إحدى نصوصها ان لكل امة لم يدرج اسمها فى القائمة ان تحالف من تشاء وتنضم إلى جانب من تريد، ولكن لا يفهم من ذلك أن تقبلوا محالفة امة ترمى بانضمامكم اليها الاضرار بأخرى — ذلك شرط خاص بمحالفة لاتؤدى إلى إيذاء الغير وتحدو الامة التى

يبلغ بها الهوس والحق إلى حد أن تقبل حماية امة مجرمة الى الهلاك و توقعهافى حرب طاحنة ، ذلك مايؤول اليه أمركم اذا قبلتم معاهدتهم و لم تصيخوا الينا ، فلن تستطيعوا محالفتهم دون ان تجلبوا على أنفسكم عداوتنا و تشركوهم فى جرائمهم و تقع عليكم طائلة العقاب القريب — كونوا محايدين إن شئتم ، اولا فكونوا محالفينا ضد الكورسيرين . فأننا لا نزال حلفاءكم فى حين أنهم لم يحالفوكم قط

و احذروا الحذر كله أن تقرروا مبدأ جديدا هو تعضيد الخاطىء و نصر الباطل وتذكروا أننا لم نتعرض لكم و لم نقف فى وجوهكم حين أردتم تأديب الساميانين على خطئهم ، وقد كانت آراء البلوبونيز متشبعة بما يحب عمله ، فأقنعناهم بوجوب الحيدة حتى تؤدبوهم و تمسكنا بمبدإ ان لكل امة الحق فى تأديب محالفيها (مستعمراتها) وقلنا ذلك أمام اعينهم و أنتم تشهدون

فهل تريدون أن تقرروا مبدأ آخر ، هو تعضيد الخاطىء ؟؟؟

لقد صدرت منهم أهانات متعددة واغاظات متوالية لا تطاق ، وفضلا عن ذلك فانهم كانوا جديرين إذا رأوا منا سوءا فى معاملتنا أن يترفقوا فى أرشادنا بالحسنى والأناة والتفاهم معا ، لا بأسلوب المتغطرس بل بأسلوب رفيق مخلص — لو انهم افعلوا ذلك معنا إذن لأرغمونا على احترامهم والنزول على إرادتهم ولحفظنا لهم ولاءهم ونبل فعلهم ولما كان فى قدرتنا أن نستمر على عنادنا ومناوأتنا إياهم ، ولكن ماذا نعمل وقد أبوا حسن التفاهم كل الأباء ولم يشاؤا إلا أن يعاملونا باحتقار ممض حتى جرهم احتقارهم إيانا وإساءتنا التى لم تقف عند حد الى ان تدخلوا فى ولايتنا (منميمس) واستخلصوها عنوة ، ولما أدركوا إننا لن نغتفر لهم هذه الأهانة و رأوا من قوتنا وبطشنا ماهالهم وهلعت له قلوبهم ، لجأوا الى طلب التحكيم

متى يطلبون التحكيم ؟؟؟ ألآن وفى هذا الوقت الذى رأوا فيه أن القصاص حائق بهم والعقاب منزل عليهم ؟ كلا لن يكون ذلك بعد فوات الفرصة وقد كان أحرى بهم أن يلتجئوا اليكم قبل أن يقترفوا الآثام ، لا بعد أن عرفوا انا محاسبوهم على ماجنوه حساباً عسيرا ، فلاذوا بأكنافكم غير مكتفين بما اقترفوا من الآثام ، بل تعدوا ذلك لا الى طلب محالفتكم فحسب ، بل لتشركوهم فى جرائمهم وتقبلوهم . بالرغم من اننا معهم

فى حال عداء وحرب ــ لقد كانوا جديرين بذلك وقت ان كانوا بمأمن من الخطر . لا فى هذه الظروف العصيبة التى يسألونكم فيها ان تمنحوهم محالفة كانوا يضنون بمنحها لأيةامة والتى لم يمنحوكم إياها من قبل حين كانوا آمنين

إنهم كما ترون أحوج ما يكونون الى أن لا يحالفوا أحداً يشهد ما يرتكبونه من الآثام والجرائم التى يساعدهم على اقترافها حسن موقعهم ومنعة بلادهم ، وهم كما ترون فى حاجة الى أن يكونوا فى عزلة تامة تبعدهم عن المهيمن والرقيب، وهى سياسة لؤم ونفاق وخبث لا يستطيعون التملص من مغبتها مهما انتحلوا من الأسباب والاعتذارات .

انهم هنا يدعون الامانة والصلاح والاستقامة وينادون بالعدل ويطلبون التحكيم، ولو أنهم كما يصفون أنفسهم حقيقة لظهرت منهم بوادر ذلك فى وقت ان كانوا بنجوة من الخطر . وبمأمن من المهاجمة، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن لا فى معاملة سوانا ولا فى معاملتنا .

يقولون اننا لم نستعمر لنستعبد ونعامل معاملة سيئة ونحن نجيبهم باننا أيضاً لم نستعمرهم لتصلنا منهم اهانات متعددة واغاظات متوالية لا نستطيع احتمالها، بل لنكون لهم بمنزلة الرأس المدبر المحترم ، ونتقبل منهم ما يبدونه لنا من شارات الاحترام والولاء . وأكبر دليل على ما نقول أن غيرهم من مستعمراتنا العديدة يجلوننا بل هم يحبوننا حباً جما، وطبيعى انه اذا أحبتنا جميع مستعمراتنا وشذت واحدة منها مثل كورسيريا ، فان أسباب شذوذها تكون غير معقولة وتكون ناشئة عن سلوكها الخاص لا غير، لأن أهلها هم المنفردون ــ دون سواهم ــ بالشكوى من معاملتنا. وبديهى أنه ليس هناك سبب يحملنا على افرادهم بمعاملة خاصة .

وأى شىء يدعونا الى أن نخصهم بالحرب دون سواهم لو لم تصلنا اهاناتهم ؟ كيف ؟ ؟ انكم لو قررتم مبدأ تعضيد التأثير المذنب لوجدتم ان الكثيرين من مستعمراتكم قد لجؤا الينا وقت ان تشرعوا فى تأديبهم على عصيانهم . وسيلحق بكم ذلك المبدأ الجديد من الضرر اكثر مما يلحق بنا . ذلك ما يقوله قانون المعاهدة

ونحن ننصح لكم ان تظلوا على ولائكم معنا وتظلوا على تقديركم لصنيعنا اذ

ليس عليكم من خطر من جهتنا، فليس بينكم و بيننا شيء من العداء ولا تزال اواصر محبتنا و ولائنا لكم متينة الاسباب والعرى فاحذروا ان تفصموها فى هذه الظروف

ولا تنسوا ان كورنثة قد امرت لكم بعشرين سفينة حربية لمساعدتكم فى الحرب قبل الفتح الفارسى ، فاذا اضفتم هذا الصنيع الى ما عملناه مع البلوبونيز يبين فى مسألة الساميانين اذ حملناهم على عدم التدخل فى شأنكم معهم وعدم ابداء أية مساعدة لهم، حتى مكناكم من فتح اجنانيا ومعاقبة سامس (Samos) وعلمتم ان هذا كان شأننا معكم دائما قدرتم اقوالنا وعرفتم ولاءنا

ولا تنسوا اننا اسدينا لكم تلك الخدمات فى الوقت الذى كنتم جد مشتغلين بمناوأة أعدائكم فى تلك الظروف العصيبة التى يشتغل الانسان بها عن كل شيء ، وينسى كل شيء فى سبيل الانتصار على العدو وانتم تعلمون ان فى تلك الأوقات يعتبر عدوا خطرا كل من يعترضكم فى سبيلكم ، ولو كان اصدق ولى لكم مخلص فيما مضى و يعتبر صديقاً كل من أدى لكم خدمة ما ولو كان ألد أعدائكم فيامضى. قدروا كل هذه النتائج منصفين ولينقل شبانكم عن شيوخكم انه « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان »

وأضيفوا إلى ذلك ان ما نشير به عليكم ليس هو الأحكم فقط ، بل أن الحرب التى يجعل الكرسيريون منها شبحاً مرعباً يخيفونكم به حتى تحالفوهم، ليس لها أصل ما ولئن كانت، فانها لا تجشمكم أن تتحملوا عداوة كورنثة القوية المخلصة

فلا تسيئوا إلينا فانا لم نسيء إليكم ، ولا تنسوا كما قلنا من قبل اننا ساعدناكم فى تلك الظروف التى يتنكب فيها الأخ عن مساعدة أخيه، ونحن الآن فى هذا الظرف العصيب وفى تلك الأزمات التى تجعلنا نعد من يقف فى سبيل تحقيق رغباتنا عدواً ولو كان أوفى الناس لنا فى الماضى ، وختاماً أحذركم التحذير الأخير أن تكونوا حلفاء الكورسيريين فى إجرامهم و آثامهم

فاعلموا، وفقكم الله إلى الرأى الأسد وألهمكم الصواب

اعملوا. فان أملنا فيكم عظيم، ولا تنسوا أن تقرروا ما فيه مصلحتكم و مصلحة بلادكم والسلام

انشتين المفهوم

في هذا المقال من المغالطات ما لايصح السكوت عليه فقد ذكر كاتبه أن العلامة آينشين لا يفهم « فروض » نظريته التي تحققت بوجوه عديدة وأثبتتها امتحانات أكابر العلماء وهي الآن في نفس الموضع الذي أرادها به معلنها ولا يمكن أن تنقض لأنها لا ترتكز على فروض الغيبيات كما ظن حضرة الكاتب، بل على المعادلات الرياضية الصرفة التي لا تقبل الشك ، وكيف يكون آينشتين نفسه معلن نظرية النسبية غيرفاهم نظريته بينما يقره عليها، ليس اثنا عشر من العلماء كما توهم، بل جمهور كبيرمنهم وقد أخذت الجامعات الجرمانية تدرس مذهبه بدلا من مذهبي نيوتن وليبنز؟؟.

ان ظن حضرة كاتب هذا المقال فاسد من هذه الجهة فسادا لا يخفى على اللبيب .

لأن الفروض الرياضية التي يقول عنها إنها تشبه الايمان الديني لا محل لها في نظرية آينشين ، وقد يرجع إلى نفسه ويحاسبها على هذه الهفوة لو قرأ كتاب «النسبية مستقلة عن فروض الغيبيات» للأستاذ فاركوليه وكتاب «المادة والنشاط حسب نظرية النسبية ونظرية الكم» للأستاذ لويس روجيه، وكتاب « مرمى نظرية النسبية» للورد هولدين ،وكتاب «مبادىء النسبية وناموس الاثقال» للاستاذ بكرل وغيرها من عشرات الكتب التي تبحث النسبية وتثبتها ولا حاجة لذكر اسمائها هنا : أما اذا كان حضرته لايقدر أن يحل هذا العمل الرياضي فكيف يحل له أن يكتب عن نظرية أبسط معادلاتها هذه المعادلة:

$$\begin{cases} X_1 = \dfrac{X - VT}{\sqrt{1 - \dfrac{V^2}{C^2}}} \\ T_1 = \dfrac{T - \dfrac{V}{C^2} X}{\sqrt{1 - \dfrac{V^2}{C^2}}} \end{cases}$$

بل كيف يستمرىء القول انه يلوح له أن مذهب النسبية أصعب من مذهب الجاذبية الذي ينقضه ويفسر الحركات السماوية بتفسير غير تفسيره ؟؟ ومن قال له إن نظرية النسبية تنقض مذهب الجاذبية ؟؟ .. ان نظرية النسبية لا تنقض مذهب الجاذبية

بل تحوره والنقض شيء والتحوير شيء آخر ، فنيوتن قال ان الاجرام تنجذب من بعضها بنسبة أحجامها، ولكنه لم يعرف مصدر الجذب. وآينشتين أكمل ما كان قد ابتدأ بعمله نيوتن و بين أن الجذب يكون حسب الأحجام من حيث أن الحجم تحنى الفضاء و يوجد مجال الجذب، فالأجرام الصغيرة تنجذب من الكبيرة لأن الكبيرة تحنى الفضاء أكثر من الصغيرة وعندما يقترب جسم صغير من حدود مجال جذب جسم كبير ينجذب الى الكبير من جراء احديداب الفضاء الناتج من وجود هذا الجسم ولما كان سقوطه مقرراً على سطح هذا الأخير ، فان حركة تنتج توجد السرعة التى هى القوة فيبتدىء الجرم الصغير فى الدوران حول الجرم الكبير .

أما البعد الرابع الذى قال عنه إنه من المجهولات و إن الناس سيألفونه كما ألفوا الجاذبية بدون أن يتعرفوا أسراره ، فلا دخل له بالجذب مباشرة لأنه يختص بالوقت. فالمحسوسات الطبيعية ليست سوى مظهر من مظاهر اعلال الزمان ، والزمان مع الفسحة لا وجود لهما ، لأنهما من صفات المادة فلايين السنين النورية التى يقطعها النور كيما يصل الينا مع عظمة المكان الذى تتطلبه، لاوجود لها لو لم تجد المادة وما يتفاعل على على سطح هذه الكرة بملايين السنين لا يحسب شيئاً بالنسبة إلى البعد الشاسع فى الكون وما يتطلب من الوقت.

بيروت فى ٥ يونيو سنة ١٩٢٩ ابراهيم حداد

الوضع العلمى

فى عصر التجديد

لايعنى الذين يرددون كلمة التجديد فى هذه الايام بأن يبحثوا صور التجديد فى العلم ولاصور التجديد فى الفلسفة و لاصور التجديد فى الفن . هذه ظاهرة لاتفوت كل مطلع على حركة الآداب الحديثة ، مساير لتيارها فى العقدين الفارطين من السنين . فاذا قيل تجديد انصرفت الاذهان الى الأدب واذا قيل نهضة انصرفت الأذهان كذلك إلى الأدب ، كأن مرافق الحياة العقلية فى مصر خاصة والشرق عامة ، عبارة عن بناء قائم على الأدب وحده ، وأنه ليس لشرقى من علاقة ذهنية بغير الادب وصور الأدب.

على أنى لم أجد بجانب هذا أديباً واحدا صرف ذهنه إلى التفكير فى هذه الناحية ، بل انصرف الجميع يقولون التجديد ويشيدون بالتجديد ، وهم فى كل هذا لايعنون منه إلا حركة الأدب ، كأنه ليس وراء العالم العربى من ماض إلا الأدب ، وأن ليس له فى التاريخ من رجعى يرجع اليها فى الفلسفة أو العلم أو الفن . على أن السبب فى ذلك ظاهر كل الظهور . فان الآداب وفنونها أروح على النفس واسبق ظهوراً فى نهضات الأمم التى انقطع مابين حاضرها وماضيها وفصل بين سلفها وخلفها بقرون من الانحطاط ودهور من الجمود الذهنى

لم ينصرف الناس فيما يعنون بالتجديد لسوى الأدب . هذه حقيقة يجب أن نعنيها دائما إذا أردنا أن نكتب فى حركة التجديد الحديثة . ولعل السبب فى هذا راجع إلى أن الحضارة العربية قامت على الأدب وعلى الفن وعلى اللاهوت ، دون العلم والفلسفة. نعم كان للأسلاف فلسفة وقام منهم فلاسفة وكان لهم علم وكان منهم علماء ، ولكن الحقيقة أن الأدب واللاهوت والفن ، وفن البناء على التخصيص ، كانت الدعامات التى قامت عليها المدنية التى ورثنا عنها آدابنا العربية الوضاحة

هذا وجه خطر من أوجه التفكير فى حركة التجديد لأن الأدباء والمتأدبين إذا انصرفت أذهانهم إلى التفكير فى التجديد على أنه أدب أولا وأنه فن ولاهوت ثانيا وأنه

علم وفلسفة ثالثا اصطبغت الحضارة التى نقيم أساسها الآن بصبغة لا نرضاها . ذلك لأنى اعتقد أن الأدب إن كان من الاسس الأدبية فى خلق صورة غير كاملة على كل حال من صفات كل شعب من الشعوب الشرقية فانى اعتقد أن صور التأمل الفلسفى و الانتاج العلمى هى لدى الحقيقة الصورة الكاملة التى تصور حقيقة كل شعب من الشعوب وتكون لدى البحث فكرة عامة عن مبلغه من الحضارة الصحيحة

وليس الخطر الحقيقى فى الانصراف الى الادب وإلى فكرة أن التجديد محصور فى الأدب — بل الخطر فى أن نعتقد بان الأدب — على عجزه عن التعبير عن مبلغ الشعوب من الرقى — كاف وحده لان يقيم حضارة تعبر عن حقيقة مؤهلاتنا المدنية . لهذا يجب أن نوازن بين الخطوات التى نخطوها فى هذه السبيل، وان نجعل للتأمل الفلسفى والانتاج العلمى أوسع مجال فى تكوين صورة حقة من الحضارة التى نرمى الى تشييدها على اساس ثابت امين .

ولدى على أن الأدب لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الامم ومؤهلاتها برهان ينحصر فى ان الادب اكثر ما يكون مقروءاً اذا كان قصة شعبية أو صوراً من صور الصحف الصفراء التى تعنى بجمع اخبار الجرائم والحوادث اليومية . فى حين ان الادب المنتج ، اى الادب العلمي الفلسفى ، لم يجد من الرواج حتى فى أوربا وأمريكا ، ميدانا واسعا أو رواجا يمكن أن يتخذ اساساً تقاس به درجة الامم من الرقى . فان الادب الراقى لا يزال منحصراً اثره فى طبقات قليله لا تزيد على الطبقات التى تعنى بالعلم والفلسفة الا قليلا

والناس يخطئون كل الخطأ اذ يقيسون النهضة بمقياس العدد الذى تخرجه المطابع من المطبوعات أو العدد الذى تصدره الصحف . ذلك لان الحكم على هذه الاشياء لا يرجع الى الكمية بل الى الكيفية . فجريدة تطبع عشرين ألفاً فيها صور بعض المجرمين وطريقتهم فى الاجرام وأساليبهم فى السلب والنهب لا يمكن ان تعد قياساً تقاس به درجة الامة من الرقى ، بل على الضد اعتقد انه أصح مقياس تقاس به درجتها من الانحطاط وفساد الطبع و الانصراف عن الجد الى الهزل وعن الانتاج الى الاسراف وعن الفضيلة الى الاسفاف

هذا رأينا الصريح .أما الانصراف عن الادب؛ وعن الادب الاصفر على الاخص، الى العلم والتأمل الفلسفى ، فلا يمكن أن نكون مجددين فيه بحق، الا اذا قام شعور تام بأن العلم والفلسفة من الضروريات لا من الكماليات

فأن هذا المعتقد وحده كفيل بان يخرجنا بنهضة صحيحة وتجديد صحيح تتوازن فيه القوى وتتسق الخطا .

وهذا الاصلاح الصحيح مطلوب رأساً من هيأتين . أولاهما هيئة الجامعة والثانية هيأة الازهر . فاذا استطعنا ان نخلص من مجهود هاتين الهيأتين بهذه النتيجة ، استطعنا أن نقول بحق اننا فزنا بنهضة واننا نجدد تجديداً قيما صحيحاً .

«فلان»

التعاون طبيعة في الخلق

أفلت منا هذا المقال الى آلة الطبع وقد سهى على المصحح أن يقرأه، فوقعت فيه بعض اغلاط مطبعية لا تغير المعنى؛ نعتذر عنها لحضرات القراء ولحضرة كاتبه الأستاذ الجليل.

قصص الاطفال

فليته ألف ليلة بحياة .. رجعتها له الجهود العنيفه
« قصة السندباد » دلت تماماً أن باكورة الجهود لطيفه
كنت قبل اجتلائها لا أسمى مثل تيك الأشياء الاسخيفه
رغم تقريظ ألف ليلة كانت فى اصطلاحى سقيمة وضعيفه
ملكتنى — ولم أسر فى ضياها فكرة نحوها لدى مخيفه
غير أنى قرأت شيئاً جديداً رد زعمى ولم أتم صحيفه !
كان من فوقها الجفاف ستاراً تختفى تحته المعانى الطريفه
سطحها آسن وما هو إلا قشرة تحتها المياه النظيفه
أى عقل أحال جسماً سوياً بعد طول الفساد تلك الجيفه
لم أجد مثل « كامل » عبقرياً فى يديه الكتان صار قطيفه !
هذه اللقطة الثمينة كانت قبل وجدانها لقى فى تنوفه
ما عهدنا من قبل هذا لطفل لغـة فى خطابه معروفه
بل رأينا الكثير منا أرادوا عبثا عن مرادهم تعريفه
إن ما كان للرجال غريباً صار للطفل عادة مألوفه
يا أبا مصطفى بأى جهاد أصبحت فى السمان تلك النحيفه !؟
هات أشباهها فان فعلاء الدين يرجو من فضلكم تثقيفه
ثم أمطره لنا الكتاب تباعاً نجتلها أطروفة أطروفه

محمد صادق عرنوس

فهرست العدد

ص			
١	ـ	العصور فى سنتها الثالثة	. . . .
٢	ـ	مطالعات فى سفر التكوين	اسماعيل مظهر
١٦	ـ	شعر التصوير ـ القصر الحزين	ابو شادى
١٨	ـ	على السفود . عباس محمود العقاد	. . .
٢٧	ـ	الزباء ـ زنوبيا . عن غيبون	أحمد ابراهيم
٣٣	ـ	نظرات فى تاريخ الاسلام	كامل كيلانى
٤١	ـ	صور تاريخية ـ البانوقة	السندباد
٤٢	ـ	الوعظ الكاذب . الباز واللقلق	كامل كيلانى
٤٣	ـ	مضى الامس ـ قطعة شعرية	عبد الله عبد العزيز
٤٤	ـ	على فراش الموت . عن الشاعر «هود» الانجليزى	سيد ابراهيم
٤٥	ـ	التعاون طبيعة فى الخليقة	محمود خاطر بك
٤٧	ـ	التحنيط عند قدماء المصريين	عبد المجيد سيد احمد
٤٩	ـ	مرمى نظرية النسبية	ابراهيم حداد
٥٦	ـ	ابحاث زراعية علمية :	
		خاصية قوة امتصاص الارض للماء	عبد المجيد سيد احمد
٦٢	ـ	المرأة الساحرة . تلخيص وتعليق . قصة	ك . ك
٧٩	ـ	فى سبيل الفن	الاستاذ شعبان زكى
٨٢	ـ	قصص بوكاتشو . العجوز وتقويمه السنوى	. . . . .
٩٣	ـ	ابو شادى شاعراً	أحمد الشايب
	ـ	غوكفريد ويلهم ليبنتز	ا . ح
١٠٧	ـ	بيئتنا . قطعة شعرية	أبو شادى

تابع الفهرست

ص		
١٠٨ —	شهيد الواجب . قطعة شعرية	محمد صادق عرنوس
١١٠ —	الثقافة والساميوّن	عبد القادر بن عزوز الشط
١١٩ —	الازهر ـ أرجوزة	م . ت . ا
١٢١ —	العجز . قطعة شعرية	ابو شادى
١٢٢ —	الوعظ القصصي . تلخيص	سيد ابراهيم
١٣١ —	أبو دهبل الجمحى	. . . .
١٣٣ —	القاب المشهورين	عن مجلة الاخاء
١٣٤ —	قصيدة ابن زيدون	. . . .
١٣٦ —	تيوسيديد ـ المؤرخ العظيم	أبي مصطفى
١٥٢ —	انشتين المفهوم	ابراهيم حداد
١٥٤ —	الوضع العلمي	فلان
١٥٧ —	شاعر يرثى نفسه	. . .
١٥٧ —	بغض متبادل	. . .
١٥٨ —	قصص الاطفال	عرنوس

